

نَهْائِةُ الْأَدَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلِيفُ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوَوِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٧٣٣ هـ

١٨-١٧

تَحْقِيقُ

الْأَسْتَاذُ عَبْدِ الْمَجِيدِ تَرْحَمَنِي

الْأَسْتَاذُ عَلِيُّ مُحَمَّدٌ هَاشِمٌ

مَنْشُورَاتُ

مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ

بِكَلْبُوت - لُبْنَانُ

منشورات دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohatory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohatory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3883-9



9 782745 138835

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

ذكرُ غزوات رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات

كانت غزوات رسول الله ﷺ التي حضرها بنفسه سبعا وعشرين غزاة، كلها بعد هجرته ﷺ إلى المدينة وهي:

غزوة الأبواء، وهي غزوة ودّان، ثم غزوة بواط، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة ذي العُشيرة، ثم غزوة بدر الكبرى، ثم غزوة بني قَيْنُقاع، ثم غزوة السَّوِيق، ثم غزوة قَرْقَرَةَ الْكُدْر، وهي غزوة بني سُلَيْم، ثم غزوة غَطَفَان إلى نجد، وهي غزوة ذي أَمْرِ^(١)، ثم غزوة بني سُلَيْم بَنَجْران، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حَمْرَاءِ الْأَسَد، ثم غزوة بني النَّضِير، ثم غزوة بَدْرِ الْمَوْعِدِ^(٢)، ثم غزوة ذَاتِ الرِّقَاع، ثم غزوة دُومَةَ الْجَنْدَل، ثم غزوة بني الْمُضْطَلِقِ بِالْمُرَيْسِيع، ثم غزوة الْخَنْدَق، وهي غزوة الْأَحْزَاب، ثم غزوة بني قُرَيْظَةَ، ثم غزوة بني لُحْيَان، ثم غزوة الْغَابَةِ، وهي غزوة ذِي قَرْد، ثم غزوة الْحُدَيْبِيَّة، ثم غزوة خَيْبَرَ، ثم غزوة الْفَتْح، ثم غزوة حُنَيْن، ثم غزوة الطَّائِف، ثم غزوة تَبُوك؛ ومنهم من عدَّ عُمرة الْقَضَاء مع الغزوات، وكانت بعد خَيْبَر وقبل الْفَتْح.

قاتل رسول الله ﷺ من هذه الغزوات في تسع، وهي: بدر الكبرى، وأُحُد، وَالْخَنْدَق، وَقُرَيْظَةَ وَالْمُضْطَلِق، وَخَيْبَرَ، وَحُنَيْن، وَالطَّائِف؛ وقيل: إنه قاتل في بني النَّضِير، وَالْغَابَةِ.

(١) ذو أمر: موضع بناحية النخيل بنجد من ديار غطفان.

(٢) غزوة بدر الموعد: هي بدر الآخرة، وسميت بذلك للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد.

وسراياه ﷺ نحو من ستين سرية^(١).

ذكر أول لواء عقده ﷺ

كان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لعمه حمزة^(٢) بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لواء أبيض، حملة أبو مرزئد كَنَاز بن الحُصَيْن الغَنَوِي^(٣)، حليف حمزة، وبعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يَغْتَرِضُ لِعِير قريش وقد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام^(٤) في ثلثمائة رجل، فبلغوا سيف^(٥) البحر من ناحية العيص^(٦)، فالتقوا، وصَفُّوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً^(٧) للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة، حتى حَجَزَ بينهم.

ذكر سرية عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطلب^(٨) إلى بطن رابغ

بعثه رسول الله ﷺ في شَوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في ستين رجلاً

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يحضره، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو، سرية وبعثاً. (راجع كتاب المغازي من كتاب المواهب اللدنية ١: ٤٦٧).

(٢) حمزة بن عبد المطلب: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش (٥٤ ق هـ - ٣ هـ = ٥٥٦ - ٦٢٥ م) عم النبي ﷺ وأحد صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة... ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ... فقصدته الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وأن حمزة سيمنعه... هاجر مع النبي ﷺ وحضر وقعة بدر وغيرها. قتل يوم أحد فدفته المسلمون في المدينة. (الأعلام: ٢: ٢٧٨).

(٣) كَنَاز بن الحُصَيْن الغَنَوِي: كَنَاز بن الحُصَيْن بن يربوع الغنوي، أبو مرثد (١٢ - ١٠٠ هـ = ٦٣٣ - ٦٣٣ م) صحابي من السابقين إلى الإسلام، كان ترباً لحمزة بن عبد المطلب. شهد بدر والخندق وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة. وهو ابن ٦٦ سنة (الأعلام: ٥: ٢٣٤).

(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (... - ٢ هـ = ٦٢٤ م) أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودعاتها في الجاهلية. سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم»، فدعاه المسلمون «أبا جهل»، استمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشدها مع المشركين فكان من قتلها (الأعلام: ٥: ٨٧).

(٥) سيف البحر: ساحله.

(٦) العيص: موضع بناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام.

(٧) موادعاً: مسالماً، مهادناً.

(٨) عبيدة بن الحارث: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث (٦٢ ق هـ - ٢ هـ =

من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وعقد له لواء أبيض، حملة مسطح بن أثانة بن المطلب بن عبد مناف. حكاه محمد بن سعد. قال ابن إسحاق: أو ثمانين رجلاً من المهاجرين، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي به جمعاً عظيماً من قريش.

قال الشيخ شرف الدين الدميّاطي^(١) رحمه الله: فلقي أبا سفيان بن حرب^(٢)، وهو في مائتين على ماء يقال له أخياء، من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، فكان بينهم الرمي ولم يسئلوا السيوف، ولم يصطفقوا للقتال، وكان سعد بن أبي وقاص^(٣) أول من رمى بسهم في سبيل الله، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم^(٤)؛ وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل. وقال أبو محمد بن هشام: كان عليهم مركز بن حفص بن الأخيف.

قال ابن إسحاق: وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهْراني حليف بني زهرة، وعُتْبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصلا^(٥) بهم. وقدم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة.

ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَار^(٦)

بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مُهاجره في عشرين

= ٥٦٢ - ٦٢٤ م) من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة وأسلم قبول دخول النبي ﷺ دار الأرقم وعقد له النبي ﷺ ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة. شهد بدرًا وقتل فيها. (الأعلام: ٤: ١٩٨).

(١) شرف الدين الدميّاطي: عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي أبو محمد، شرف الدين: (٦١٣ - ٧٠٥ هـ = ١٢١٧ - ١٣٠٦ م) حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. (الأعلام: ٤: ١٦٩).

(٢) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٧ ق هـ - ٣١ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٢ م) صحابي من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). توفي بالمدينة، وقيل بالشام. (الأعلام: ٣: ٢٠١).

(٣) سعد بن أبي وقاص: آخر العشرة المبشرين بالجنة، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ هـ على خلاف.

(٤) حاميتهم: وجههم.

(٥) ليتوصلا: ليتمكننا من الوصول حيث جعلنا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين.

(٦) الخَرَار: موضع بالحجاز.

رجلاً من المهاجرين، وعقد له لواء أبيض حملَه المقداد بن عمرو البهراني، وساروا يعترضون لغير قريش، وعهد إليه رسول الله ﷺ ألا يُجاوزَ الخزار.

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمنُ النهار ونسير الليل، حتى صبحناها صبحَ خمس، فنجد العير قد مرّت بالأمس.

ذكر غزوة الأبواء^(١) وهي غزوة ودان^(٢) وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره، وحملَ لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عباد^(٣)، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأبواء يعترض لغير قريش، فلم يلقَ كيداً.

وفي هذه الغزاة وادعَ مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه، على ألا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً.

وكانت غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة.

ذكر غزوة بواط

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره وحملَ لواءه سعد بن أبي وقاص وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ^(٤). وقال ابن هشام: استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون. وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش، فيها أُمَيَّة بن خلف الجُمحي ومائة رجل من

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفا مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

(٢) ودان: قرية جامعة من نواحي الفرع على طريق الحاج.

(٣) سعد بن عباد: سعد بن عباد بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت (.... - ١٤ هـ = م) صحابي من أهل المدينة كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد أحداً والخندق وغيرهما. ولما توفي رسول الله ﷺ طمع بالخلافة ولم يبايع أبا بكر. ولم يلبث أن خرج إلى الشام مهاجراً فمات بحدوران. (الأعلام: ٣: ٨٥).

(٤) سعد بن معاذ: سعد بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري (.... - ٥ هـ = ٦٢٦ م) صحابي من الأبطال، من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحملَ لواءهم يوم بدر. وشهد أحداً، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي ﷺ. (الأعلام: ٣: ٨٨).

قريش وألف وخمسمائة بعير، فبلغ بواطاً، وهي من جبال جُهينة من ناحية رَضَوَى، وهي قريب من ذي خُشب مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة بُرْد، فلم يلق كيداً، فرجع ﷺ.

ذكر غزوة بدر الأولى

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مُهاجره، لطلب كرز بن جابر الفهري^(١)، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة^(٢)، وكان كرز قد أغار على سرح^(٣) المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء^(٤)، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

ذكر غزوة ذي العُشيرة

العُشيرة بالشين المعجمة، وقيل: بالسین المهملة، وقيل: العُشيرا بالألّف. غزاها رسول الله ﷺ في جمادي الآخرة، على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي. وخرج في خمسين ومائة، ويقال في مائتين من المهاجرين ممن انتدب، ولم يكره أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها^(٥)، وخرج يعترض لغير قريش حين ابتدأت إلى الشام، فبلغ ذا العُشيرة، وهي لبني مُذَلج بناحية يَنْبُع، فوجد العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام، وهي العير التي خرج أيضاً يريدُها حين رجعت من الشام، فكانت فيها وقعةٌ بدر الكبرى.

(١) كرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسيل، ويقال ابن حسيل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب. الفهري... أسلم بعد الهجرة. وحسن إسلامه. وقتل كرز يوم الفتح وذلك سنة ثمان من الهجرة في رمضان. (الاستيعاب، هامش الإصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٣١٠).

(٢) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة. أسر وهو غلام يفعة، وأُتي به إلى سوق عكاظ، فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعتمته خديجة. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة ٢٨٩٠).

(٣) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(٤) الجماء: موضع على ثلاثة أميال من المدينة (اللسان: جمع).

(٥) يعتقبونها: يتناوبون ركوبها.

وفي هذه الغزاة وادَّع رسول الله ﷺ بني مُذَلَج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة. وفيها كَتَب رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه أبا تراب^(١)، وقيل في غيرها.

ذكر سرية عبد الله بن جَحْش^(٢) الأسدي إلى نخلة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مُهاجرِهِ في اثني عشر رجلاً من المهاجرين. كل اثنين يعتقبان بغيراً.

قال ابن إسحاق: وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ويمضي لما أمره به، ولا يستكره أحداً من أصحابه.

قال: وكان معه أبو حُدَيْفَة بن عُتْبَة بن ربيعة، وعُكَّاشَة بن مِخْصَن، وعُتْبَة بن غَزْوَان بن جابر، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله التميمي، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث، وسُهَيْل بن بيضاء. هؤلاء الذين عدَّهم ابن إسحاق؛ وكان معهم المقداد بن عمرو، حكاه محمد بن سعد.

قال ابن إسحاق: فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم». فلما نظر عبد الله في الكتاب قال: سمع وطاعة. ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم: قد نهاني رسول الله ﷺ أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ، فمضوا كلهم، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن^(٣) فوق الفرع يقال له بخران، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَة بن غَزْوَان بغيرهما، فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زيباً وأدماً^(٤) وتجارة من تجارة قريش - قال ابن سعد: وخمراً - وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

(١) قال السهيلي: في الروض الأنف: ٣: ٥٨، إن أصح الأقوال في تكنية علي بأبي تراب ما رواه البخاري في جامعه وهو: أن رسول الله ﷺ وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يحث التراب عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب. وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة.

(٢) عبد الله بن جحش: حليف لبني عبد شمس، أو لحرب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين، مات يوم أحد، ومثل به، ودفن مع حمزة في قبر واحد. انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٤.

(٣) المعدن: المكان الذي يقيم فيه سكانه بشكل دائم، صيفاً وشتاءً (اللسان: عدن).

(٤) الأدم: الجلد.

فلما رأهم القوم هابوهم؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم^(١)، فأمنوا.

وقال^(٢) لهم عثمان: لا بأس عليكم منهم. قال: فسرّحوا ركبهم، وصنعوا طعاماً. قال: فتشاور القوم فيهم، وذلك آخر يوم من شهر رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم في هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به، وإن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام. فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فخرج واقد، بن عبد الله يقدم المسلمين، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبد الله وأصحابه بالعين والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ.

فلما قدموا عليه قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. ووقف^(٣) العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فأسقط^(٤) في يد القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعثفهم المسلمون فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا الرجال؛ وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ فُتِلُوا فِيهِ قُلْ فِتَالُ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم «والفتنة أكبر من القتل» أي قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم، فذاك أكبر عند الله من القتل.

قال: فلما نزلت الآيات قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فدايهما، فقال: لا، حتى يقدم صاحبانا، يعني سعد بن أبي وقاص، وعُتبة بن غزوان، فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبينكم. فقدم سعد وعُتبة، فأفادهما رسول الله ﷺ.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل

(١) انظر شرح المواهب: ١ : ٤٧٩.

(٢) في طبقات ابن سعد: ٢ : ٥ : «وقالوا هم عمار».

(٣) وقف: لم يحتفظ.

(٤) أسقط في يد القوم: «زلوا وأخطؤوا وندموا وتحيروا».

يوم بئر معونة^(١) شهيداً، وأما عثمان فلحق بمكة، فكان بها حتى مات كافراً.

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، قال: وقسم رسول الله ﷺ الفئء فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه، وخمسه إلى الله ورسوله.

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون. وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وقال عبد الله بن جحش في هذه الواقعة، ويقال إنها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش، أبياتاً يخاطب بها قريشاً: [من الطويل]

تَعُدُّون قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدُ رَاشِدُ
صُدُّوْكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفِّرَ بِهِ وَاللَّهُ رَءٍ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلُهُ	لَثَلَا يَرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ	وَأَزْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ ^(٢)
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا	بَنَخْلَةً لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ ^(٣)
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا	يُنَازَعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ ^(٤)

ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها^(٥)

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ سمع بإقبال أبي سفيان بن حرب من

(١) بئر معونة: المكان الذي توجهت إليه سرية المنذر بن عمر الساعدي.

(٢) أَرْجَفَ: تَقَوَّلَ. اخْتَلَقَ.

(٣) الْحَضْرَمِيِّ: المقصود: عمرو بن الحضرمي.

(٤) الْقِدِّ: شَرَكٌ يَقْطَعُ مِنَ الْجِلْدِ. وفي شرح المواهب: ١: ٤٨١ «عاقِد».

(٥) وتسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر قرية بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة، وقيل: ماء مشهور أسفل وادي الصفراء، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد. وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع: شرح المواهب اللدنية: ١: ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها في غزوة ذي العُشيرة، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص^(١) بن وائل، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها^(٢)، فانتدب الناس، فخفت بعضهم وثقل بعض.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس^(٣) الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان عن أمر رسول الله ﷺ تخوفاً على ما معه؛ فأخبره بعض الركبان: أن رسول الله ﷺ قد استنفر أصحابه لقصده، فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري؛ فبعثه إلى مكة وأمره أن يستنفر قريشاً إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة.

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير^(٤) رضي الله عنهم.

قالا: ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعتهما، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له: والله لقد رأيت رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شراً أو مصيبة؟ فاکتم عني ما أحدثك به، قال: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح^(٥)، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل عُذر^(٦)! لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا، ثم دخل المسجد

(١) عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله فاتح مصر. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. وهو أحد دهاة العرب (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤ م) انظر: (الأعلام: ٥: ٧٩).

(٢) ينفلكموها: يمكنكم منها.

(٣) يتحسس: يتسمع بنفسه.

(٤) عروة بن الزبير: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٢ - ٩٣ هـ = ٦٤٣ - ٧١٢ م) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر، فتزوج وأقام بها سبع سنين وعاد إلى المدينة فتوفي فيها. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. و«بئر عروة» بالمدينة منسوبة إليه. (الأعلام: ٤: ٢٢٦).

(٥) الأبطح: مسيل واسع فيه دقيق الحصى.

(٦) في اللسان: غدر معدول عن غادر للمبالغة، ويقال للذكر: غدر، والأنثى غدار، وهما مختصان بالنداء في الغالب، وقد ضبطه السهيلي بضم الغين والدال (راجع الروض الأنف: ٢: ٦١).

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيرُهُ على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل عُذْر! لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيرُهُ على رأس أبي قُبَيْس^(١) فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكة فلا دارَ منها إلا دخلتها منها فُلُقَة؛ قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنّ فاكتمها.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتْبَة بن رَبِيعَة^(٢)، وكان صديقاً له؛ فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبَة؛ ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريش.

قال العباس: فغدوت لأطوفَ بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رأي أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأت إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدّثت فيكم هذه النبيّة؟ قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة، فقلت: وما رأيت؟ فقال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم! فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب؛ قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أتني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، قال: ثم تفرّقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقرّزتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنّت تسمع؛ ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت! قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير؛ وأيم الله لأتعرّضن له، فإن عاد لأكفينكته.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد^(٣) مُغْضَبٌ أرى أنني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيتُهُ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال، فأوقع به، إذ خرج نحو باب المسجد يشد^(٤)، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكل هذا فرق^(٥) مني أن أشاتمته! وإذا هو قد سمع ما لم

(١) أبو قُبَيْس: جبل مشرف على مكة.

(٢) الوليد بن عُتْبَة: الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان بن حرب الأموي (.... - ٦٤ هـ = ٦٨٤ - ... م) أمير من رجال بني أمية، ولي المدينة (سنة ٥٧ هـ) في أيام معاوية. عزله يزيد (سنة ٦٠ هـ)، ثم أعاده (سنة ٦١ هـ) وثورة عبد الله بن الزبير في إبانها... ثم عزله يزيد وظل الوليد في المدينة. وحج بالناس سنة ٦٢ وتوفي بالطاعون. (انظر الأعلام: ٨: ١٢١).

(٣) حديد: من الحدة: أي الغضب.

(٤) يشد: يعدو.

(٥) الفرق: الفرع، الخوف.

أسمع؛ صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جذع^(١) بعيره وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة^(٢) اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث! قال العباس: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر.

فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أيطن محمد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي؟ كلا! والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إما خارج، وإما باعث رجلاً مكانه، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم وكانت لأبي لهب عليه، فخرج عنه.

وروى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني^(٤) في كتابه المترجم بالأغاني^(٥) بسند يرفعه إلى مصعب بن عبد الله^(٦) قال: فأمر أبو لهب العاصي بن هشام في عشرة من الإبل فقمره^(٧)، ثم في عشرة فقمره، ثم في عشرة فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيئاً، فقال له: إني أرى القداح^(٨) قد حالفك يا بن عبد المطلب، فهل أقامرك يا بن عبد المطلب، فأئنا غلب كان عبداً لصاحبه. قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم فقال: أفتدوه مني بعشرة من الإبل، فقالوا: لا والله ولا بوبرة. فاسترقه، فكان يرعى له إبله إلى أن خرج المشركون إلى بدر. قال: وقال غير مصعب: فاسترقه واحتبسَه قيناً^(٩) يعمل الحديد.

(١) جذع: قطع أنفه أو أذنيه.

(٢) اللطيمة: الإبل التي تحمل الطيب والبر.

(٣) أوعبت قريش: يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٤) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م) من أئمة الأدب والأعلام، في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد بأصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه الأغاني. لم يعمل في بابيه مثله جمعه في خمسين سنة. (الأعلام: ٤؛ ٢٧٨).

(٥) راجع الأغاني: ٤؛ ١٧٤، طبع دار الكتب. والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا.

(٦) مصعب بن عبد الله: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله (١٥٦ - ٢٣٦ هـ = ٧٧٣ - ٨٥١ م) علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ. كان أوجه قريش مروءة وعلماء وشرفاً. وكان ثقة في الحديث شاعراً. ولد بالمدينة، وسكن بغداد وتوفي بها. (الأعلام: ٧؛ ٢٤٨).

(٧) قمره: غلبه في المقامرة.

(٨) القداح: سهام المقامرة.

(٩) القين: الحداد.

فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجه أبو لهب عنه لأنه كان عليلاً، على أنه إن عاد اعتقه، فقبل العاصي.

قال ابن إسحاق: وكان أمية بن خلف قد أجمع القعود^(١) وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عتبة بن أبي مغيط وهو جالس في المسجد بين قومه بمجمرة، فوضعها بين يديه، وقال: يا أبا علي، استجبر، فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به. ثم تجهز وخرج مع الناس.

قال: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا. فكادوا يثنون؛ فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المذلي، وكان من أشرف كنانة، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء مما تكرهونه فخرجوا سراعاً.

هذا ما كان من أمر قريش.

ذكر خروج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين إلى بدر

قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان.

وقال محمد بن سعد: خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره، واستعمل على المدينة عمرو بن أم مكتوم، واسمه عبد الله، ليصلي بالناس، ثم رد أبو لبابة من الرضاء^(٢) واستعمله على المدينة، وخرج ﷺ في ثلثمائة رجل وخمسة عشر رجلاً، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون، وسائرهم من الأنصار بعد أن رد من أصحابه من استصغرهم، ولم يكن غزا بالأنصار قبلها.

قال محمد بن سعد: وتخلف من أصحاب رسول الله ﷺ ثمانية لعله، ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم؛ ثلاثة من المهاجرين: وهم عثمان بن عفان، خلفه رسول الله ﷺ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فأقام عليها حتى ماتت، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، بعثهما يتحسسان خبر العير، وخمسة من الأنصار، وهم: أبو لبابة بن عبد المنذر، خلفه على المدينة، وعاصم بن

(١) راجع (اللسان: قعد).

(٢) الرضاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

عدي، خلفه على أهل العالية، والحارث بن حاطب رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصمة، وخوات بن جبير، كُسرا بالروحاء.

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بغيراً يعتقبونها^(١)، فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بغيراً.

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بغير، وكان أبو لبابة، وعلي، زميلي رسول الله ﷺ، فكان إذا كانت عقبه النبي ﷺ قال له: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، وأما أنا أغنى عن الأجر منكما».

قال ابن إسحاق: وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة مولى رسول الله ﷺ يعتقبون بغيراً؛ وكان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن^(٢) عوف، يعتقبون بغيراً.

قال ابن سعد: وكانت الخيل فرسين: فرس للمقداد بن عمرو^(٣)، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي^(٤). قال ابن إسحاق: وفرس للزبير بن العوام^(٥).

قال: ودفع رسول الله ﷺ اللواء إلى مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أبيض، قال: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأخرى مع الأنصار.

(١) يعتقبونها: يتناوبون على ركوبها.

(٢) عبد الرحمن بن عوف: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد، الزهري القرشي (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) صحابي من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. (الأعلام: ٣: ٣٢٠).

(٣) المقداد بن عمرو: المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود النهري، وقيل: الحضرمي. وقيل كنيته أبو عمرو وقيل: أبو سعيد. أسلم قديماً، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد بعدها. واتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان. قيل: وهو ابن سبعين سنة انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٥٥ رقم الترجمة ٨١٨٣).

(٤) مرثد بن أبي مرثد: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي، وكان مرثد يحمل الأسرى. استشهد في صفر سنة ثلاث في غزوة الرجيع. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٣٩٨ رقم الترجمة ٧٨٧٨).

(٥) الزبير بن العوام: ابن عمه رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل.

قال ابن سعد: وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن مُعَاذ، وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صغصعة أخا بني مازن بن النجار. قال: ولما كان رسول الله ﷺ قريباً من الصُّفراء^(١) بعث بسبّس بن عمرو، وعديّ بن أبي الزغباء الجهنيتين إلى بدر يتحسّسان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره.

ثم ارتحل ﷺ إلى دُفْران - وإِيسَارَ الصُّفراء - وأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَآذِهِبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد^(٢) لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تبلغه؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له.

ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس - وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس - فقال له سعد بن مُعَاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل؛ قال: فقد آمنا وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى عدونا غداً، إنا لضبّر في الحرب، صدّق في اللقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسير بنا على بركة الله، فقال ﷺ: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

ثم ارتحل ﷺ من دُفْران^(٣) حتى نزل قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني مَنْ أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدّق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي ترك به رسول الله ﷺ أصحابه - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا

(١) الصُّفراء: وإِ من ناحية المدينة، كثير التخل والزرع في طريق الحاج، وبينه وبين بدر مرحلة. وقيل: قرية فوق ينبع مما يلي المدينة.

(٢) برك الغِمَاد: (بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد: بالضم، والكسر أشهر) موضع في أقاصي أرض هجر، وقيل: موضع أقصى اليمن. وقال الهمداني: موضع بالجبهة.

(٣) دُفْران: وإِ قرب وادي الصفراء.

وكذا، فإذا كان الذي أخبرني صدَّقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - ثم قال: من أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ويقال: إن الشيخ سفيان الثوري قال: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر، فأصابوا راوية^(١) لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص، فأتوا بهما؛ فسألهما رسول الله ﷺ عن قريش، فقالا: هم وراء هذا الكيبب الذي تَرَى بالعدوة القُصوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالوا: كثير؛ قال: ما عدَّتْهم؟ قالوا: لا ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: تسعاً، ويوماً عشراً؛ فقال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عُتْبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنصر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وثبيته ومُنْبَه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت أفلاذ كبدها.

قال: وبلغ أبا سفيان الخبر بمقدّم رسول الله ﷺ، وقد ورد ماء بدر، فرجع إلى أصحابه سريعاً وصرف وجهه عيره عن الطريق، فساحل بها^(٢)، وترك بدرأ يساره، وانطلق. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحفة^(٣)، ورأى جهنم بن الصلت مخرمة بن عبد المطلب رؤيا فقال: إني فيما يرى النائم، أو إني لبين النائم واليقظان، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له، ثم قال: قُتِل عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبَةُ ابن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأمّية بن خَلَف، وفلان وفلان، فعدد رجالاً ممّن كان قُتِل يوم بدر من أشرف قريش، ورأيته ضرب في لَبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خِباء من أخية العسكر إلا أصابه نَضْح^(٤) من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل بن هشام فقال: وهذا أيضاً نبئ آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم

(١) الراوية: الإبل التي يستقى عليها الماء.

(٢) ساحل بها: أي أخذ بها جهة الساحل.

(٣) الجُحفة: قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة.

(٤) النضج: الرّش.

لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا! فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، - وكان بدرٌ مويماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام، - فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان^(١)، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابونا أبداً بعدها، فامضوا.

فمضت قريش حتى نزلوا العُدوة^(٢) القُصوى من الوادي، والقلْب^(٣) ببدر في العُدوة^(٤) الدنيا؛ قال: وبعث الله السماء، وكان الوادي دُهساً^(٥)، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير.

وقال ابن سعد: كان المسلمون يومئذٍ يَمِيدُونَ مِنَ النَّعَاسِ وَنَزَلُوا عَلَى كَثِيبٍ^(٦) أَهْيَلٍ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ فَصَارَ مِثْلُ الصَّفَا^(٧) يَسْعَوْنَ عَلَيْهِ سَعِيًّا. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا يَغْشَاكُمْ السَّيْلُ فَمِنْ أَمْنِهِ مَنَّهُ وَيَرْزُقْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبْ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن إسحاق: وأصاب قريشاً منها ما لم يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْتَجِلُوا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبَادِرُهُمْ إِلَى الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ مَاءِ بَدْرِ نَزَلَ بِهِ، فَأَتَاهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْمَنْزِلُ مَنْزِلُ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدِّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلِ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَتَنْزِلْهُ، ثُمَّ نَعُورْ^(٩) مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْتَنِي عَلَيْهِ حَوْضاً فَنَمْلَأُهُ مَاءً، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرِبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ»، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ وَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، نَزَلَ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعُورَتْ، وَبَنَى حَوْضاً عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ، فَمَلَأَهُ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآبِيَةَ.

(١) القيان: الجواري المغنيات.

(٢) العُدوة القصوى: أي جانب الوادي القريب من مكة.

(٣) القَلْب: جمع قلب، وهو البئر.

(٤) العُدوة الدنيا: أي بالجانب الأدنى من المدينة.

(٥) الدَّهْس: كل مكان سهل، ليس برمل ولا تراب.

(٦) كَثِيب أَهْيَلٍ: أي: رمل سائل.

(٧) الصفا: الحجارة الصلدة.

(٨) في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو.

(٩) نَعُورُ الْقَلْب: ندفنها.

فقال سعد بن معاذ: يا نبي الله، نبئتني لك عريشاً^(١) تكون فيه، وتكون عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلسنا على ركائبك، فلجفت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حُباً منهم، ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصرحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى رسول الله ﷺ عليه خيراً، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه.

قال: وارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٢) وفخرها، تُحاذك^(٣) وتكذب رسولك، اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني، اللهم أجنهم^(٤) الغداة».

قال ابن سعد: كانت قريش تسعمائة وخمسين، وخیلهم مائة فرس، وكان لهم ثلاثة ألوية؛ لواء مع أبي عزيز بن عُمير، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة.

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره، عن أشياخ من الأنصار، قال: لما اطمأن القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمحي فقالوا: احزُر^(٥) لنا أصحاب محمد، فجال بفِرسه حول العسكر؛ ثم رجع إليهم، فقال: ثلثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر، ألقوم كمين أو مدد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً؛ فرجع إليهم، فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني رأيت يا معشر قريش البلاء^(٦) تحمل المنايا، نواضح^(٧) يثرب تحمل الموت الناقع^(٨)، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ترونها خُرصاً لا يتكلمون، يتلمظون^(٩) تلمظ الأفاعي؛ والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم

(١) العريش: شبه الخيمة، يستظل به.

(٢) الخيلاء: الكبر والإعجاب.

(٣) تحاذك: تعاديك.

(٤) أجنهم: أهلكتهم.

(٥) الحزور: التقدير بالحدس والظن.

(٦) البلاء: جمع بلية، وهي الناقعة، تربط على قبر الميت فلا تelf ولا تسقى حتى تموت. وكان بعض

العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحشر عليها.

(٧) النواضح: الإبل التي يستسقى عليها.

(٨) الناقع: الثابت البالغ في الإفناء.

(٩) يتلمظون: تلمظت الحية: إذا أخرجت لسانها (اللسان: لمظ).

أُغْدَاهُمْ، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رَأْيَكُمْ.

فلما سمع حَكِيم بن جِزَام ذلك مشى في الناس؛ فَأَتَى عُتْبَةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيدُها، والمطاعُ فيها، هل لك ألا تزال تُذكرُ منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حَكِيم؟ قال: تَرْجِعُ بالناس وتحملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحَضْرَمِيِّ. قال: قد فعلتُ، عليَّ عَقْلُهُ^(١)؛ فَأَتِ ابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ، يعني أبا جهل بن هشام، قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يا أبا الحكم، قد أُرسلني إليك عُتْبَةُ بكذا وكذا، فقال: انتفخ واللَّهِ سَخْرُهُ^(٢) حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا تَرْجِعُ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، ثم بعثَ إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يَرْجِعَ بالناس، وقد رأيتُ ثَارَكَ بعينك، فقم فانشدْ خُفْرَتَكَ^(٣)، ومَقْتَلَ أخيك، فقام عامر فاكتشف^(٤) ثم صرَّخ: وَاَعْمَرَاهُ، وَاَعْمَرَاهُ! فحميت الحزب وحَقِب^(٥) أمر الناس، واستوسقوا^(٦) على ما هم عليه من الشر. قال: فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيِّئَ الخلق، فقال: أَعَاهَدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَيْنِ من حوضهم أو لأهدمته، أو أموتن دونه، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنَّ^(٧) قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يُبْرِزَ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله. ثم خرج بعده عُتْبَةُ بنُ ربيعة، بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا بَرَزَ من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار، وهم: عَوْفٌ ومُعَوَّذُ ابنا الحارث، وعبدُ الله بن رَوَاحَةَ، فقالوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فقالوا: رَهْطٌ من الأنصار؛ قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديبهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفَاءَنَا من قومنا، فأخرج لهم رسولُ الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وعليَّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما دَنَوْا منهم قالوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فسَمَّى كل رجل منهم نفسه، قالوا: نَعَمْ أَكْفَاءُ كِرَامٍ؛ فبارز عبيدة - وكان أَسَنُ القوم - عُتْبَةَ، وبارز حمزة شَيْبَةَ، وبارز عليَّ الوليد بن عتبة، فأما حمزة وعليَّ فإنهما لم يُمهلا مُبارزَيهما أن قتلاهما، واختلف عُبَيْدَةُ وعُتْبَةُ بينهما ضربتين كلاهما

(١) عقله: ديته.

(٢) انتفخ سحره: يقال: للجبان الذي ملأ الخوف جوفه، والسحر: الرثة.

(٣) انشد خُفْرَتَكَ: أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً.

(٤) اكتشف: تعرى من ثيابه. وفي الطبقات: «فكشف عامر وحشا على استه التراب».

(٥) حَقِب: اشتد.

(٦) استوسقوا: اجتمعوا.

(٧) أطنَّ: أطار.

أُثْبِتَ^(١) صاحبه، وَكَرَّ حمزة وعليّ بأسياهما على عتبة فذَفَفَا^(٢) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه^(٣) إلى أصحابه.

قال محمد بن سعد: وفي عُبيدة وَعُتْبَةَ نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصَمَانِ أَحْصَاؤُهُمَا فِي رَيْبِهِمْ﴾ [الحج: ١٩]. قال: ثم زَحَفَ الناس ودنا بعضهم من بعض.

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة.

وعَدَلَ رسول الله ﷺ الصَّفُوفَ، ورجع إلى العَرِيشِ، فدخله هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو ﷺ يناشد ربه^(٤) ما وعدّه من النصر، ويقولُ فيما يقول: اللهم إِنْ تَهْلِكْ هذه العصابة اليومَ لا تُعْبَدُ، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعضُ مناشدتك ربك، فإن الله مُنْجِرُكَ ما وعدك. وَخَفَقَ^(٥) رسول الله ﷺ خَفَقَةً ثم انتبه، فقال: أَبَشِّرْ يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله، هذا جبريل آخِذٌ بعنان فرسه يقوده، على ثنياه النَّقْعِ^(٦).

قال ابن إسحاق: ورُمِيَ مَهْجَعُ مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقِئِلَ، وكان أول قَتِيلٍ قُتِلَ من المسلمين، ثم رُمِيَ حارثَةُ بن سُرَاقَةَ، أَحَدُ بني عَدِيّ بن النَجَّارِ، وهو يشربُ في الحوض بسهم، فأصاب نُخْرَهُ، فُقِئِلَ.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس يُحَرِّضُهُمْ، وقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيقتلُ صابراً محتسباً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ، إلا أدخله الله الجنة»، فقال عُمَيْرُ بن الحُمَامِ أخو بني سلمة، وفي يده تمراتٌ يأكلهن: بَخْ بَخْ^(٧)! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتِلَ.

وقال عَوْفُ بن الحارث - وهو ابنُ عَفْرَاءَ - يا رسول الله: ما يُضْحِكُ^(٨) الربَّ من

(١) أثبت صاحبه: جرحه جراحة لم يقم معها.

(٢) ذففا عليه: أسرعا قتله.

(٣) حازاه: ساراه في رفق.

(٤) يناشد ربه: يسأله ويرغب إليه.

(٥) خفق: نام نوماً يسيراً.

(٦) النقع: الغبار.

(٧) بخ: كلمة تقال في موضع الإعجاب.

(٨) يضحك الرب: يرضيه غاية الرضا.

عبداه؟ قال: غَمَسَهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا^(١). فنزع دِرْعًا كانت عليه، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ.

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا، ثم قال: شَاهَتْ^(٢) الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: شُدُّوا؛ فكانت الهزيمة على قريش، فقتل الله من صناديد قريش مَنْ قَتَلَ، وَأَسَرَ مَنْ أَسَرَ.

قال محمد بن سعد: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، قلت: وأي جمع يُهْزَمُ وَمَنْ يَغْلِبُ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله ﷺ يَثْبُجُ فِي الدَّرْعِ وَثْبًا وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾^(٣)، فعلمت أن الله تعالى سيهزمهم.

قال: ولَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، مُتَوَشِّحٌ السَيْفَ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُ: لَكَأَنِّي بِكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ؛ قَالَ: أَجَلْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرْكِ، فَكَانَ الْإِثْنَانُ^(٤) فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ.

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين.

قال محمد بن سعد: لما صَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ وَعِبَاءَهُمْ لِلْحَرْبِ، جَاءَتْ رِيحٌ لَمْ يَزَلْ مِثْلُهَا شَدَّةً، ثُمَّ ذَهَبَتْ، فَجَاءَتْ رِيحٌ أُخْرَى ثُمَّ ذَهَبَتْ، فَجَاءَتْ رِيحٌ أُخْرَى، فَكَانَتْ الْأُولَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالثَّانِيَةُ مِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَنْ مَيْمَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالثَّالِثَةُ إِسْرَافِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَنْ مِيسَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ سَيِّمًا^(٥) الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ عَمَائِمَ قَدْ أَرَخَوْهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ: خُضْرٌ وَصُفْرٌ وَخُمْرٌ مِنْ نُورٍ، وَالصُّوفُ فِي نَوَاصِي خِيَلِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّيَتْ^(٦) فَسَوُّوْا، فَأَعْلَمُوا بِالصُّوفِ فِي مَغَافِرِهِمْ^(٦) وَقَلَانِسِهِمْ.

(١) حاسراً: مكشوفاً.

(٢) شاهت: قبحت.

(٣) الإثنان: المبالغة.

(٤) سيمًا: علامة.

(٥) سَوَّيَتْ: حملت علامتها المميزة.

(٦) المغافر: المغفر: وهو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه.

قال: وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلُق^(١).

وقال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر أنه حدّث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدّثني رجل من بني غِفَار قال:

أقبلتُ أنا وابن عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكونُ الدائرة؛ ننتهب مع من ينتهب، فبينما نحنُ في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمَحَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدِمُ^(٢) حَيَزُوم. قال: فأما ابنُ عمي فأنكشف قِنَاعَ قلبه، فمات مكانه. وأما أنا فكدت أن أهلك، ثم تَماسَكتُ.

وروى ابن إسحاق عن أبي أُسَيْد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدرًا - قال - بعد أن ذهب بصره -: لو كنتُ اليوم ببدر ومعِي بصري لأَرَيْتُكم الشُّعْب^(٣) الذي خرجت منه الملائكة، لا أَشُكُّ ولا أُمَارِي^(٤).

وعن أبي داود المازني، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل إن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت سيما الملائكة يومَ بدر عَمَائِمَ بَيْضاً قد أرسلوها في ظُهورهم، ويوم حُتَيْنِ عَمَائِمَ حُمْراً، وفي حديث آخر عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت سيما الملائكة يوم بدر عَمَائِمَ بَيْضاً قد أرخوها على ظُهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء.

وعن ابن عباس^(٥) رضي الله عنهما، قال: لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا فيما سواه من الأيام عَدَدًا وَمَدَدًا لا يَضْرِبُونَ.

قال: وكان شِعَارُ أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابنُ إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذٍ يرتجز وهو يقاتل ويقول:

(١) بُلُق: لونها أسود وأبيض.

(٢) أَقْدِمُ: كما صوبه صاحب اللسان: كلمة تزجر بها الخيل. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(٣) الشَّعْب: الطريق في الجبل.

(٤) أُمَارِي: أشك.

(٥) عبد الله بن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ ق هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧ م) حبر الأمة الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ. وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف، وتوفي بها. (الأعلام: ٤: ٩٥).

ما تَنْقِمُ الحربَ العَوانَ مِنِّي بازلُ عامينَ حديثُ سَنِي^(١)

* لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنِي أُمِّي *

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر أن يَلْتَمَسَ أبو جهل بن هشام في القتلى، فمرَّ به عبدُ الله بن مسعود، قال: فوجدته بآخر رَمَقٍ فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، فقال لي: لقد ارتقيت يا زُوَيْعِي^(٢) الغنم مُرتَقَى صعباً، ثم قال: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ فقلت: لِلَّهِ ولرسوله؛ ثم احتَرَزْتُ رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل؛ فقال^(٣): أَللهُ الذي لا إلهَ غيره؟ قلت: نعم واللَّهِ الذي لا إلهَ غيره، ثم أَلقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطَرَّحُوا في القَلْبِ، طَرَحُوا فيه إلا أُمَيَّةَ بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاًها فذهبوا لِيُحَرِّكُوهُ فَتَزَايِلُ^(٤)، فَأَقْرُوهُ وَأَلْقُوا عليه ما غِيَّه من التراب والحجارة، قالت: ولما أَلْقُوا في القَلْبِ، وقف رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل القَلْبِ، هل وجدْتُم ما وعدَ ربكم حقاً، فإني قد وجدْتُ ما وَعَدَنِي ربي حقاً»، قالت: فقال له أصحابه: يا رسولَ الله، أَتَكَلِّمُ قوماً مَوْتَى؟ فقال لهم: «لقد علموا أنَّ ما وعدهم ربهم حق». وعن أنس رضي الله عنه نحوه، إلا أنَّ فيه: فقال المسلمون: يا رسول الله، أَتَنَادِي قوماً قد جَيَّفُوا^(٥)؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم^(٦)»، ولكن لا يَسْتَطِيعُونَ أن يُجِيبُونِي.

قال ابن إسحاق: وكان الفِتْيَةُ الذين قُتِلُوا يَبْدِرُ - فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ [النساء: ٩٧] - الحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أُمَيَّة بن خَلْف، والعاصُ بن مَنبَه.

(١) الحرب العوان: هي التي قُتِلَ قبلها مرة. البازل: أصله في البعير، يقال: بعير بازل، إذا استكمل السنة الثامنة، وطعن في التاسعة، والكلام هنا على التشبيه. يريد أن يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة.

(٢) رُوَيْعِي: تصغير راع.

(٣) كانت يمين رسول الله ﷺ، راجع الروض الأنف: ٢: ٧٢.

(٤) تَزَايِلُ: تَفَرَّقُ.

(٥) جَيَّفُوا: صاروا جيفاً.

(٦) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَى يَسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، تجلده واضحاً في الروض الأنف: ٢: ٧٤. وفي شرح المواهب اللدنية: ١: ٥٢٢.

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسهم أبائهم وعشائريهم بمكة وقتلهم فافتنوا، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر، فأصيبوا كلهم.

قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، واختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: ما أنتم بأحق منا، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه، فما أنتم أحق به منا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، نزلت السورة بجملتها في غزوة بدر.

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين والنفل^(١)، وجعل على النفل عبد الله بن كعب المازني، فلما خرج رسول الله ﷺ من مضيق الصفراء، نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية^(٢)، يقال له: سير، إلى سرحة^(٣) به وهو من المدينة على ثلاث ليال، فقسم هناك النفل الذي أفاء الله على المسلمين على السواء.

قال ابن سعد: وتنقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، فكان صفته يومئذ؛ وأخذ رسول الله ﷺ سهمه مع المسلمين، وفيه جمل أبي جهل بن هشام، وكان مهرياً^(٤)، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، وبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية.

قال ابن سعد يرفعه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا، فقال: «اللهم إنهم خفأة فاحملهم، اللهم إنهم غرأة فاكسهم، اللهم إنهم جياغ فأشبعهم».

ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، فاكسوا وشبعوا.

(١) النفل: الغنيمة.

(٢) النازية: عين على طريق الأخذ من مكة إلى المدينة، قرب الصفراء.

(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.

(٤) مهري: نسبته إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن.

وقال يرفعه إلى عكرمة قال: قيل لرسول الله ﷺ لما فرغ من أهل بدر: عليك بالغير ليس دونها شيء، فناداه العباس: إنه لا يصلح ذلك لك، قال: لِمَ؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين، فقد أعطاك ما وعدك.

ذكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب^(١)

قال ابنُ إسحاق: كان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتِلَ عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأمِيَةُ بن خلف، وزَمْعَةُ بن الأسود، وتُبَيْيَه ومَنْبُه ابنا الحَجَّاج، وأبو البَخْتَرِي، وجعل يعدد أشراف قريش، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر،: والله إن يغفل هذا فاسألوه عني، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلَا.

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتُم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر كبته^(٢) الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة، وعزاً، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حُجرة زمزم، فوالله إنني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي وعندِي أم الفضل جالسةً، وقد سَرْنَا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجرُ رجله بشر، حتى جلس على طُنب^(٣) الحجرة، وكان ظهري إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلم إليّ، فعندك لعمري الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني

(١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش (.... - ٢هـ = ٦٢٤ م) عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً. كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره، وحرص عليهم، وقتلهم. وفي الآية ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ① مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② كان أحمر الوجه مشرقاً، فلُقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهداها. (الأعلام: ٤: ١٢).

(٢) كبته: أذله.

(٣) طنب الحجرة: طرفها. والطنب أيضاً: جبل طويل يشد به سرادق البيت.

كيف أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً، على خيل بُلق بين السماء والأرض، والله ما تُليق^(١) شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعتُ طُئِبَ الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته^(٢) فاحتملني، فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنتُ رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة فأخذته فضرته به ضربة فلقت رأسه شجّة منكراً، وقالت: أتستضعفه أن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة^(٣) فقتلته.

وقالت قريش في قتلى بدر مرثي كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره، تركنا إيرادها رغبة في الاختصار، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدد، إلا أنها تشهد بقتل من قُتل ممن نذكره إن شاء الله تعالى.

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

كان جميع مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من المسلمين ومن ضُرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون.

فأما من شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، ومن ضُرب له بسهمه وأجره، فشَهِدَهَا من بني هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً، وهم: سيدنا رسول الله ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأنسُ الحبشي، وأبو كبشة الفارسي، مَوَالِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو مَرْثَدَ كَنَازَ بن حُصَيْن، وابنه مَرْثَد، حليف حمزة بن عبد المطلب، وعُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطلب، وأخواه: الطَّفِيلُ، والحصين، ومسطح، واسمه عَوْفُ بن أثانة بن عباد بن المطلب.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلاً، وهم: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولاه. ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة عبد

(١) ما تليق: ما تقي.

(٢) ثاورته: واثته.

(٣) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون. وكان العرب يتشاءمون بها، ويرون أنها شديدة العدوى.

الله بن جحش بن رثاب، وعُكَّاشَةُ بن مَخْصَن، وشُجَاع بن وهب بن ربيعة، وأخوه عُقْبَةُ، ويزيد بن رُقَيْش^(١) بن رثاب، وأبو سِنَان بن مَخْصَن بن حُرْثَانَ أَخُو عُكَّاشَةَ، وابنه سِنَان، ومُخَرِّز بن نُضْلَةَ بن عبد الله وربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو. ومن حلفائهم من بني كبير بن غَنَم بن دُودَانَ بن أَسَد: ثَقُفُ بن عمرو، وأخواه مالك، ومُذَلِّج، وهم من بني حَجْر آل بني سُلَيْم، وأبو مَخْشِي، حَلِيفَ لَهُمْ.

ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما: عَثْبَةُ بن غَزْوَان، وَحَبَّابُ مَوْلَاهُ. ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى ثَلَاثَةُ نَفَر، وهم: الزبير بن العَوَام وحاطبُ بن أبي بلتعة، وسعد مَوْلَاهُ.

ومن بني عبد الدار رجلان، وهما: مُضْعَبُ بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وسُوَيْطُ بن سعد بن حُرَيْمَلَةَ، ويقال: ابن حرملة بن مالك بن عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار.

ومن بني زُهْرَةَ بن كِلَاب وحلفائهم تسعة نفر، وهم: عبد الرحمن بن عَوْف، وسعدُ بن أبي وقاص، وأبو وقاص مالكُ بن أَهْنَب، وأخوه عَمِير بن أبي وقاص، ومن حلفائهم: المِقْدَادُ بن عمرو بن ثَعْلَبَةَ، وعبد الله بن مسعود بن الحارث، ومسعود بن ربيعة بن عمرو، وذو الشمالين^(٢) عَمِير بن عبد عمرو بن نُضْلَةَ وَحَبَّابُ بن الْأَرْت. ومن بني تَيْم بن مَرَّة ومواليهم أربعة نفر، وهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومواليه، بلال بن رِبَاح، وعامرُ بن فَهَيْرَةَ، وَصُهَيْبُ بن سِنَان.

ومن بني مخزوم خمسة نفر، وهم: أبو سَلَمَةَ عبدُ الله بن عبد الأسد وَشَمَّاسُ بن عثمان بن الشريد، واسم شَمَّاس عثمان، والأَرْقَمُ بن أبي الأرقم، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أَسَد، وعَمَّارُ بن ياسر، ومُعْتَبُ بن عَوْف بن عامر حليفُ لَهُمْ.

ومن بني عدي بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلاً، وهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخوه زيد، ومِهْجَعُ مولى عمر، وعمر بن سُرَاقَةَ بن الْمُعْتَمِر، وأخوه عبد الله، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَزْرَيْن، حليفُ لَهُمْ، وعامر بن البَكِير، وأخواه خالد وإياس، حلفاء بني عدي، وَخَوْلِي بن أبي خَوْلِي، وأخوه مالك، حليفان لَهُمْ - ومنهم من عدَّ هلال بن أبي خَوْلِي - وعامرُ بن أبي ربيعة، حليفُ لَهُمْ.

ومن بني جُمَح خمسة نفر، وهم: عثمان بن مَطْعُون، وابنه السائب وأخواه قُدَّامَةُ، وعبد الله: ابنا مَطْعُون، وَمَعْمَرُ بن الحارث بن معمر.

(١) هذه رواية ابن هشام. وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة «رقيش بن رباب». وفي الأصول: «قيس بن رثاب».

(٢) قال ابن هشام: إنما قيل له: «ذو الشمالين» لأنه كان أعسر.

ومن بني سهم بن عمرو: حُنَيْس بن حُذَافَة بن قيس .

ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم: أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَي، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَي، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو - وكان قد خرج مع أبيه سُهَيْل، فلما نزل الناس بدرًا فرّ إلى رسول الله ﷺ فشَهِدَها معه - وَعُمَيْر بن عَوْف، مولى سُهَيْل بن عمرو، وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم .

ومن بني الحارث بن فهر خمسة نفر، وهم: أبو عُبَيْدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعُمرو بن الحارث بن زُهَيْر، وسُهَيْل بن ربيعة بن هلال، وأخوه صَفْوَان بن وَهَب، وهما ابنا يِضَاء، وعُمرو بن أبي سرح بن ربيعة .
هؤلاء الذين شهدوا بدرًا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره، فثلاثة نفر، وهم: عثمان بن عَقَّان - وقد تقدّم خبره - وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وكانا قد بعثهما رسول الله ﷺ إلى الشام يتَحَسَّسان له خبر العير، فقدمَا بعد غزوة بدر، فَضَرَبَ لهما رسول الله ﷺ بسهميهما، قالا: يا رسول الله، وأَجْرُنا؛ قال: وأَجْرُكما .

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وضُرِبَ له فيها بسهمه وأجره، فهم أحد وستون رجلاً، شَهِدَها منهم ستة وخمسون رجلاً، وهم: سعد بن مُعَاذ بن النعمان، وأخوه عمرو بن معاذ، والحارث بن أَنَس بن رافع، وسعد بن زيد بن مالك، وسَلَمَة بن سلامة بن وَقْش، وعَبَّاد بن بشر بن وَقْش، وسَلَمَة بن ثابت بن وَقْش، ورافع بن يزيد بن كُرْز، والحارث بن خَزَمَة بن عديّ، حليف لهم، ومحمد بن مَسْلَمَة بن خالد، حليف لهم، وسَلَمَة بن أسلم بن حَرِيش، حليف لهم، وأبو الهَيْثَم بن التَّيْهَان، وأخوه عُبَيْد بن التَّيْهَان - قال ابن هشام: ويقال: عَتِيك بن التَّيْهَان - وعبدُ الله بن سُهَيْل، وَقَتَادَة بن النعمان بن زيد، وعُبَيْد بن أوس بن مالك - وعبيد هو الذي يقال له: مُقَرَّن، لأنه قرَنَ أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذٍ، ونصر بن الحارث بن عبد بن رِزَاح بن كعب، ومُعْتَب بن عبيد وعبد الله بن طارق حليف لهما من بَلِيّ، ومسعود بن سعد بن عامر، ويقال فيه: مسعود بن عبد سعد، وأبو عَبْس بن جَبْرِ بن عمرو، وأبو بُزْدَة بن نِيَّار، واسمه هانئ، حليف لهم من بَلِيّ، وعاصم بن ثابت بن قيس، ومُعْتَب بن قُسَيْر، وأبو مُلَيْل بن الأزعر بن زيد، وعُمرو بن مَعْبِد بن الأزعر، وقيل فيه: عُمَيْر بن مَعْبِد، وسَهْل بن حُثَيْف بن واهب، ومُبَشَّر بن عبد المُنْذِر بن زَنْبَر^(١)، وأخوه رفاعَة، وسعد بن عُبَيْد بن النعمان، وعُوَيْم بن ساعدة بن

(١) كذا في الإصابة والسيرة. وفي الأصول: «زبير»، تصحيف.

عَنْجُودَة، وعبيد بن أبي عُبَيْد، وَثَعْلَبَة بن حاطب، وَأُنَيْس بن قَتَادَة بن ربيعة، وَمَعْنُ بن عَدِيّ بن الجَدّ من حلفائهم، وثابت بن ثَعْلَبَة، وعبد الله بن سَلَمَة، وزيد بن أَسْلَم بن ثَعْلَبَة، وربيعي بن رافع بن زيد، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بَلِيّ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان، وعاصم بن قيس بن ثابت، وأبو ضِيَّاح ثابت بن النعمان وأخوه أبو حَنَة - ويقال: أبو حَنَة - وسالم بن عُمر بن ثابت بن النعمان، والحارث بن النعمان بن أمية، ومُنْذَر بن محمد بن عَقْبَة، وأبو عُقَيْل بن عبد الله بن ثَعْلَبَة من حلفائهم، وسَعْد بن خَيْثَمَة بن الحارث، ومُنْذَر بن قُدَامَة، ومالك بن قُدَامَة بن عَزْرَجَة، والحارث بن عَزْرَجَة، وتَمِيم مولى بني غَنَم، وجَبْر بن عَتِيك بن الحارث ومالك بن نُثَيْلَة، حليف لبني معاوية من مُزَيْنَة، والنعمان بن عَصَر^(١)، حليف لبني معاوية من بَلِيّ. هؤلاء الذين شهدوها من الأوس.

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم فخمسة نفر، وهم: أبو لُبَابَة واسمه بَشِير بن عبد الله، والحارث بن حاطب، وحاطب بن عمرو بن عُبَيْد وعاصم بن عَدِيّ بن الجَدّ بن العَجْلَان، وَخَوَات بن جُبَيْر بن النعمان.

وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلاً: خَارِجَة بن زيد بن أَبِي زُهَيْر، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير وعبد الله بن رَوَاحَة بن امرئ القيس، وخَلَاد بن سُويد بن ثَعْلَبَة بن عمرو وبَشِير بن سعد بن ثَعْلَبَة، وأخوه سِمَاك بن سعد، وَسُبَيْع بن قيس بن عَيْشَة بن أمية، وأخوه عَبَاد بن قيس، وعبد الله بن عَبَس، ويزيد بن الحارث بن قيس وَخَبَّيْب بن إِسَاف بن عَتَبَة، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلَبَة، وأخوه حُرَيْث بن زيد، وسفیان بن نَسْر^(٢) بن عمرو بن الحارث، وتَمِيم بن يَعَار^(٣) بن قيس، وعبد الله بن عُمر بن عَدِيّ، وزيد بن المَزَيْن^(٤) بن قيس، وعبد الله بن عَزْرَفَة بن عَدِيّ، وعبد الله بن ربيع بن قيس، وعبد الله بن عبد الله بن أَبِي [بن]^(٥) مالك، وأوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث، وزيد بن وداعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء وعَقْبَة بن وَهَب بن كَلْدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن عَطْفَان، ورفاعة بن عمرو بن ثَعْلَبَة، وعامر بن سَلَمَة بن عامر، حليف لهم من اليمن، وأبو حميضة عَبَاد بن قُسَيْر بن المُقَدَّم، وعامر بن البُكَيْر، حليف لهم، وَتَوَقَّل بن عبد الله بن نَضْلَة، وعُبَادَة بن

(١) في الأصول: «عيسر» وهو تحريف.

(٢) في الأصول: «بشر»، تصحيف.

(٣) في الأصل: «معاذ»، وهو تصحيف.

(٤) كذا ضبطه الدارقطني بضم الميم وفتح الزاي وتسكين الياء. راجع أسد الغابة: ٢: ٢٤١.

(٥) زيادة عن جميع المراجع.

الصامت بن قيس بن أصرم، وأخوه أوس بن الصامت والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، وهو الذي يقال له: قَوَّلٌ^(١)؛ وثابت بن هزال بن عمرو بن قُزَيْبُوس، ويقال: قُزَيْبُوس، ومالك بن الدَّخْشَم بن مالك، وربيعة بن إياس، حليف لبني لَوْذَانَ من اليمن، والمُجَذَّر بن زياد بن عمرو؛ واسم المجذر، عبد الله حليف لهم من بلي، وعُبَاد^(٢) بن الحَشْخَاش بن عمرو، حليف، ونجاش بن ثعلبة بن خزيمة^(٣)، ويقال: بَحَاث، وعبد الله بن ثعلبة بن خزيمة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سليم، وأبو دُجَانَةَ سَمَّاك بن خَرْشَةَ.

قال ابن هشام: سَمَّاك بن أوس بن خَرْشَةَ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة، وأبو أَسِيدٍ مالِك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البَدِي^(٤)، وعبد ربه بن حَقِّ بن أوس بن وَقْش بن ثعلبة بن طَرِيف.

ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن جَمَاز بن ثعلبة - ويقال: حِمَار، وهو من عُبْشَان - وَضْمَرَة، وَبَسْبَس، وزِيَاد، بنو عمرو.

وعبد الله بن عامر من بلي، وخراش بن الصُّمَّة بن عمرو بن الجَمُوح، وتَمِيم مولى خراش بن الصُّمَّة، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجَمُوح، وَخَلَاد بن عمرو بن الجَمُوح، وعُقْبَة بن عامر بن نَابِي، وَحَبِيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث، وثلعة الذي يقال له: الجِدْع، وعمير^(٥) بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث، ويُسْر بن البراء بن مَعْرُور بن صخر، والطُّفَيْل بن مالك بن النعمان، وَسِنَان بن صَيْقِي بن صخر وعبد الله بن الجَدَّ بن قيس بن صخر، وخَارِجَة بن حُمَيْر، وعبد الله بن حمير، حليفان لهم من أَشْجَع من بني دُهْمَان، وَجَبَّار بن صخر بن أمية بن خُنَّاس، ويزيد بن المُنْذَر بن سَرَح، وأخوه مَعْقِل بن المُنْذَر، وعبد الله بن التُّعْمَان بن بَلْدَمَة، ويقال: بُلْدَمَة وبُلْدَمَة، والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة، وسَوَاد بن زُرَيْق بن ثعلبة؛ وَمَعْبُد بن قيس بن صخر، وأخوه

(١) قال في الاستيعاب: «إن النعمان هذا كان ذا عزة ومنعة، فكان يقال للخائف إذا جاءه: «قول له: شئت فأنت آمن». فقيل لبني غنم وبني سالم لذلك. قوافلة، وفي القاموس: القول: اسم أبي بطن من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو يشرب قال له: «قول في هذا الجبل وقد أمنت»، أي أرتق.

(٢) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «عبادة». وفي رواية: «الحسحاس».

(٣) في الأصول: «خزمية»، وهو تصحيف. والتصويب عن القاموس والإصابة.

(٤) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «البدن».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن النعمان، والنعمان بن يسار مولى لبني النعمان، وأبو المُنذر بن يزيد بن عامر بن حديدة، وسُلَيم بن عمرو بن حديدة، وقُطَبة بن عامر بن حديدة، وعَنْتَرَة^(١) مولى سليم بن عمرو وعبس بن عامر بن عدي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، وأبو اليسر وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو، وسهل^(٢) بن قيس بن أبي كعب، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشم، وقَيْس بن مِخْصَن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس بن حِصْن، وأبو خالد، وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مخلد وأخوه عَقْبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، وذُكْوَان [بن عبد]^(٣) قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، ومسعود بن خلدَة بن عامر بن مخلد، وعَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسعد بن مَزِيد بن الفاكه بن زيد بن خَلْدَة، والفاكه بن بَشْر بن الفاكه بن زيد، ومُعَاذ بن مَاعِص بن قيس بن خلدَة، وأخوه عائذ بن مَاعِص، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَة، وِرْفَاعَة بن رافع بن مالك بن العَجْلَان، وأخوه خَلَاد بن رافع، وعُبَيْد بن زيد بن عامر، وِزْيَاد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان، وقَرْوَة بن عمرو بن وذفة بن عُبيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلَان، وِرْجِلَة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة، وعَطِيَّة بن ثَويرة بن عامر بن عطية، ورافع بن المَعْلَى بن لَوْذَان، وأبو أيوب خالد ابن زيد بن كَلِيب بن ثعلبة، وثابت بن خالد بن النُعمان، وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو، وسُرَاقَة بن كعب بن عبد العُزَّى بن غَرْيَة، وحارثة بن النعمان بن زيد بن عُبيد، وسُلَيم بن قيس بن فُهْد، وسُهَيْل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدي بن أبي الزُّعْبَاء، حليف لبني عائذ من جُهينة، ومسعود بن أَوْس بن زيد، وأبو خُرَيْمَة بن أَوْس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سَوَاد بن زيد، وعُوف، ومُعَوَّذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعَة، وهم بنو عَفْرَاء بنت عُبيد بن ثعلبة، والنعمان بن عمرو بن رفاعَة بن سَوَاد، ويقال: نُعَيْمَان؛ وعامر بن مخلد بن الحارث بن سَوَاد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خَلْدَة بن الحارث بن سَوَاد، وعُصَيْمَة، حليف لبني سَوَاد من أَشْجَع، ووديعَة بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سَوَاد - قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث ابن عَفْرَاء شهد بدرًا - وثعلبة بن عمرو بن مِخْصَن بن عمرو بن عتيك، والحارث بن الصُّمَة بن عمرو بن عتيك، كُسِر بالزُّوحَاء، فضرِب له رسول الله ﷺ بسهمه، وأُبَي بن

(١) في الأصول: «عنيزة» وما ذكر هو الصواب.

(٢) في الأصول: «سهيل».

(٣) زيادة عن الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب.

كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس، وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو شيخ أبي بن ثابت^(١) بن المنذر بن حرام.

قال ابن هشام: أبو شيخ أبي بن ثابت أخو^(٢) حسان بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارثة بن سراقه بن الحارث بن عدي، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك، وأبو سليط - وهو أسيرة بن عمرو - وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدي، وسواد بن غزيّة بن أهيب، حليف لبني عدي بن النجار.

وأبو زيد قيس بن سكين بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس ابن حرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسليم بن ملحان، وأخوه حرام - واسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد - وقيس بن أبي صغصعة - واسم أبي صغصعة: عمرو بن زيد بن عوف - وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أسد بن خزيمة، وأبو داود عُمير بن عامر بن مالك ابن خنساء، وسراقه بن عمرو بن عطية ابن خنساء، وقيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وأخواه لأمه الضحّاك، والثعمان، ابنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك، وبُجَيْر بن أبي بُجَيْر، حليف لبني قيس بن مالك.

هؤلاء الذين عذّهم محمد بن إسحاق.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون في الخزرج ممن شهد بدرًا عتبان ابن مالك بن عمرو بن العجلان، ومُليل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصيمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، وهلال بن المعلّى بن لؤذان بن حارثة.

ذَكَرُ تَسْمِيَةِ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ

كان من استشهد من المسلمين في غزاة بدر أربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة نفر، وهم: عبّيدة بن الحارث بن المطلب، قتله عُتبة بن ربيعة، قطع رجله فمات بالصفراء في قُفول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وعُمير^(٣) بن أبي وقاص، وهو أخو

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن أبي ثابت». راجع الاستيعاب ص: ٧١٥.

(٢) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو».

(٣) ذكر الواقدي أن النبي ﷺ كان ردّ عميراً هذا في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى =

سعيد، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخُزاعي، حليف لبني زُهرة، وعافل بن البُكر، حليف لبني عدي بن كعب من بني سعد بن ليث، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء، من بني الحارث بن فهر.

ومن الأنصار ثمانية، وهم: سعد بن خَيْثمة، ومُبَشَّر بن عبد المنذر بن زُبَيْر، ويزيد بن الحارث، وعُمَيْر بن الحمام، ورافع بن المُعلَّى، وحارثة بن سُرَاقَة بن الحارث، وعُوف، ومُعُوذ، ابنا الحارث بن رفاعَة.

ذكرُ تسمية من قُتل من المشركين في غزوة بدر

كانت عدّة من قتل من المشركين في غزوة بدر سبعين رجلاً

من بني عبد شمس ومواليهم وحلفائهم أربعة عشر رجلاً، وهم: عُقبَة بن أبي مُعَيْط، قُتِلَ صَبْرًا^(١) بِعِرْقِ الظُّبِيَّةِ^(٢) عند قُفُولِ رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال - حين أمر رسول الله ﷺ بقتله -: فمن للظُّبِيَّةِ يا محمد؟ قال: النار! فقتله عاصم بن ثابت بن الأَقْلَح، وحَنْظَلَة بن أبي سفيان بن حرب قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ويقال: اشترك فيه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، والحارث بن الحَضْرَمِي، وعامر بن الحضرمي، حليفان لهم. قتل عامراً عَمَّار بن ياسر، وقتل الحارثُ الثُّعْمَان بن عَصْر، حليف الأوس، وعُمَيْر بن أبي عمير، وابنه، مَوْلِيَان لهم. قتل عُمَيْراً سالم مولى أبي حُدَيْفَة، وعُبَيْدَة بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة، قتله عاصم بن ثابت بن الأَقْلَح، صَبْرًا، وقيل: قتله علي بن أبي طالب، وعُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس، اشترك فيه عُبَيْدَة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب؛ وشَيْبَة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب، والوليد بن عُتْبَة بن ربيعة، قتله علي بن أبي طالب، وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار، قتله علي، ووهب بن الحارث، حليف لهم من بني أنمار، وعامر بن زيد، حليف لهم من اليمن.

ومن بني نُوْفَل بن عبد مناف رجلان، وهما: الحارث بن عامر بن نوفل، قتله حُبَيْب بن إِسَاف، وطُعَيْمَة بن عدي بن نوفل قتله علي، ويقال: حمزة؛ وروى أبو

= النبي ﷺ بكاءه أذن له في الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة (راجع المغازي للواقدي والروض الأنف).

(١) يقال للرجل إذا حُبِس على القتل حتى يقتل: قتل صَبْرًا.

(٢) عرق الظبية: بين مكة والمدينة قرب الروحاء.

عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قتل طُعَيْمَةَ بن عدي صبراً هو وعُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ والنُّضْر بن الحارث.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ سبعة نفر: زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد، قتله ثابت بن الجذع، وقيل: اشترك فيه حمزة وعلي مع ثابت، والحارث بن زَمْعَةَ قتله عمار بن ياسر، وعُقَيْل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة وعلي، وأبو البَخْتَرِيّ - وهو العاص بن هشام - قال بن هشام: العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد، قتله الْمُجَذَّر الْبَلَوِي، وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن قتله، لأنه كان أَكْفُ النَّاسِ عن رسول الله ﷺ، لما كان بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة كما تقدّم، فلما لقيه المجذّر قال له: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك، وكان مع أبي البَخْتَرِيّ زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنَادَةُ بن مُلَيْحَةَ - رجل من بني ليث - فقال أبو البَخْتَرِيّ: وزميلي، فقال المجذّر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. فقال: لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعاً! لا تحدّث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، وقال يرتجز:

لن يُسَلِّمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حتى يموتَ أو يرى سَبِيلَهُ
ثم اقتتلا، فقتل المجذّر أبا البخترِيّ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهّدت عليه أن يستأسر فأتيتك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته. ونوفل بن خويلد بن أسد قتله علي بن أبي طالب، وعقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر وهم: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، قتله علي صبراً بالصفراء^(١)، ولما بلغ ابنته قُتَيْلَةَ بنت النضر خبر مقتلته كتبت إلى رسول الله ﷺ شعراً: [من الكامل]

يا راكباً إن الأثيل مَظَنَّةٌ من صبح خامسة وأنت موفق^(٢)
بلغ به ميتاً بأن تحيَّةٌ ما إن تزال بها النجائب تخفق^(٣)

(١) الصفراء: وادٍ من ناحية المدينة كثير النخل والزرع، وهو على مرحلة من بدر.

(٢) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. ومظنة الشيء: موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه.

(٣) النجائب: الإبل الكريمة.

مِنِي إِلَيْهِ وَعِبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَى تَخْتَقُ^(١)
 هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ بَلْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
 ظَلَّتْ سَيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ لِّلْهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ^(٢)
 قَسْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفَ الْمُقَيِّدُ وَهُوَ عَانٍ مَوْثِقُ^(٣)
 أَمَحْمَدُ أَوْ لَسْتُ ضِمْنَهُ نَجِيبَةٍ فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلُ مُعَرِّقٍ
 مَا كَانَ ضَرْكُ لَوْ مَنَنْتُ وَرَبَّمَا مَنِ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُحْنِقُ^(٤)
 النَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً وَأَحْقَهُمْ إِنْ كَانَ عَثَقُ يُعْتَقُ^(٥)
 أَوْ كُنْتُ قَابِلَ فَدِيَةٍ فَلْيُنْفَقْنِ بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ^(٦)

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى اخضلت^(٧) لحيته وقال: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه» حكاه أبو عمر عن عبد الله بن إدريس، وحكاه الزبير بن بكار، وقال: فرق لها رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت أباها» وزيد بن مليس، مولى عُمر بن هاشم، قتله بلال بن رباح، مولى أبي بكر، ويقال: قتله المقداد بن عمرو، وثبته بن زيد بن مليس، وعبيد بن سليل، حليف لهم من قيس.

ومن بني تميم بن مرة أربعة نفر وهم: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله ضُهير بن سنان. ومالك بن عبيد الله بن عثمان، أسرفمات من الأسار، فعذ في القتلى، وعمرو بن عبد الله بن جُذعان.

ومن بني مخزوم بن يَقْظَةَ بن مرة أربعة وعشرون رجلاً: أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء،

(١) مسفوحة: جارية، مناسبة. جادت لمائحها: تعني أباها لأنه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها.

(٢) تنوشه: تناوله. أرحام تشق: أي: أقارب تقتل مع بعضها.

(٣) قسراً: مرغماً.

(٤) الضن: الأصل: المعرق: الكريم.

(٥) المحق: الغاضب.

(٦) العتق: تحرير العبد وإطلاقه.

(٧) اخضلت: تبللت بالدمع.

حتى أثبتته، وتركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه كما تقدّم، والعاص بن هشام بن المغيرة، قتله عمر بن الخطاب، وكان خال عمر. ويزيد بن عبد الله، حليف لهم من بني تميم، قتله عمار بن ياسر. وأبو مسافع الأشعري، حليف لهم، قتله أبو دجانة الساعدي، وحزملة بن عمرو حليف لهم، قتله خارجة بن زيد، ويقال: بل علي بن أبي طالب ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب. وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ويقال: علي؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله علي، ويقال عمار بن ياسر، ورفاعة بن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله سعد بن الربيع، والمنذر بن أبي رفاعه بن عابد، قتله مغن بن عدي، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه، قتله علي بن أبي طالب، والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على ما حكاه ابن إسحاق.

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن السائب هذا ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة^(١) من غنائم حنين، فقد وقع فيه الخلاف. والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة، وحاجب، ويقال: حاجز بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ، قتله علي بن أبي طالب، وعويمر بن السائب بن عويمر، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة، وعمرو بن سفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طييء، قتل عمرأ يزيد بن رُقَيْش، وقتل جابرأ أبو بُردة بن نيار، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله ضَهَب بن سنان، وزُهَيْر بن أبي رفاعه، قتله أبو أُسَيْد مالك بن أبي ربيعة، والسائب بن أبي رفاعه، قتله عبد الرحمن بن عوف. وعائذ بن السائب بن عويمر، أُسِر ثم افتدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب، وعُمَيْر، حليف لهم من طييء، وخِيار، حليف لهم من القارة^(٢).

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْنص بن كعب بن لؤي سبعة نفر وهم: مُنَبّه بن الحجاج بن عامر بن حُذَيْفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليُسَر، أخو بني سلمة وابنه العاص بن مُنَبّه، قتله علي، ونُئْبَة بن الحجاج، قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، اشتركا فيه، وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، قتله علي،

(١) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن وهو راجع من غزوة حنين. (معجم البلدان).

(٢) القارة: قبيلة تتألف من عضل والدبش ابنا الهون بن خزيمة.

ويقال: النعمان القوقلي، ويقال: أبو دُجانة، وعاصم بن أبي عوف بن صُبيرة بن سَعِيد بن سعد بن سهم، قتله أبو اليَسَر أخو بني سلمة. والحارث بن مُنَبِّه بن الحجاج، قتله صُهَيْب بن سنان، وعامر بن أبي عوف بن صُبيرة أخو عاصم، قتله عبد الله بن سلمة، ويقال: أبو دُجانة.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي أربعة نفر، وهم: أمية ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن ويقال: قتله معاذ بن عَفراء، وخارجة بن زيد، وحُبَيْب بن إساف، اشتركوا فيه. وابنه علي بن أمية بن خلف، قتله عَمَّار بن ياسر، وأُس بن مغير بن لُؤْذان بن سعد بن جُمَح، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله الحُصَيْن بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مَظْعُون، اشتركا فيه، وسَبْرَة بن مالك، حليف لهم.

ومن بني عامر بن لؤي من حلفائهم رجлан، وهما: معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس، قتله علي، ويقال: عُكَّاشَة بن مِحْصَن. ومُعْبِد بن وهب، حليف لهم من بني كلب، قتله خالد وإياس ابنا البَكِير، ويقال: أبو دُجانة.

فجميع من انضبط لنا بالأسماء ممن قُتِل من المشركين يوم بدر ثمانية وستون على الشك في السائب بن أبي السائب، والذي ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.

ذكر تسمية من أسير من المشركين في غزوة بدر

كانت عِدَّة من أسير من المشركين في يوم بدر سبعين رجلاً على ما ورد في الصحيح ودلت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني يوم أحد، وكان قد قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، والذي انضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلاً.

من بني عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم: العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أسره أبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عُبَاد بن عمرو الخزرجي، وكان رجلاً قصيراً، والعباس رجلاً طويلاً ضخماً، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وعَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، أسره عُبيد بن أُوس بن مالك الأوسي، ونُوفَل بن الحارث بن عبد المطلب، وعُتْبَة، حليف لهم من بني فِهْر، قال: وكان العباس وعَقِيل خرجا مُكْرَهَيْن.

ومن بني عبد المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم: السائب بن عُبيد بن عبد

يزيد بن هاشم بن المطلب، ونُعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب، وعَقِيل بن عمرو حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه عمرو بن تميم.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، والحارث بن أبي وَجْرة - ويقال: وخرة بن أبي عمرو - بن أمية، وأبو العاص بن نُوَفل بن عبد شمس، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، وخالد بن أُسَيد بن أبي العيص. ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو، وعمرو بن الأزرق، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي، وأبو العريض يَسار، مولى العاص بن أمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم: عِدِيّ بن الخيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس حليف لهم من بني مازن بن منصور، وأبو نُور، حليف لهم وتَبْهان، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر، وهم: أبو عزيز بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والأسود بن عامر حليف لهم، وعَقِيل، حليف لهم من اليمن.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر، وهم: السائب بن أبي حُبَيْش بن المطلب بن أسد، والحُوَيْرث بن عَبَاد بن عثمان بن أسد. قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد، وعبد الله بن حَمِيد بن زُهَير بن الحارث، وسالم بن شَمَاح، حليف لهم.

ومن بني تيم بن مُرة رجلاَن وهما: مُسافِع بن عياض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يَقْظَة بن مرة عشرة نفر، وهم: خالد بن هِشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسره سواد بن غَزِيَّة، وأمّية بن أبي حُدَيْفَة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصَيْفِيّ بن أبي رفاعَة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعَة بن عابد، وأبو عطاء عُبَيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأَعلم، حليف لهم من خُزَاعَة، ويقال: عَقِيلِيّ. وزعموا أنه أول من فرَّ منهزمًا، وهو الذي يقول: [من الطويل]

ولسنا على الأدبار تَدْمَى كُلُّومُنَا ولكن على أعقابنا تقطر الدِّمَا^(١)

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خمسة نفر، وهم: أبو وداعة ابن صُبَيْرَة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير افتدي من أسرى بدر، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وفزوة بن قيس بن عدي بن حُذافة بن سعيد بن سهم، وحَنْظَلَة بن قبيصة بن حُذافة بن سعيد بن سهم، والحجّاج^(١) بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد^(٢) بن سهم، وأسلم، مولى ثُبَيْه بن الحجّاج.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب أحد عشر نفرًا وهم: عبد الله بن أبيّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح وأخوه عمرو بن أبيّ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جمح، والفاكِه، مولى أمية بن خلف ووهب بن عُمر بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح، وربيعة بن دَرّاج بن العنّس بن أهبان بن وهب بن حُذافة بن جمح، وأبو رُهم بن عبد الله حليف لهم، ومؤليان لأمية بن خلف، أحدهما: نِسْطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف. قال ابن هشام: وحليف لهم ذهب عني اسمه.

ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نَضْر بن مالك بن حِمْش بن عامر، أسره مالك بن الدُخْشَم أخو بني سالم بن عوف، وعبد بن رَمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وعبد الرحمن بن مَشْنُو بن وقْدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وحبيب بن جابر، والسائب بن مالك.

ومن بني الحارث بن فهر أربعة نفر، وهم: الطُّفَيْل بن أبي قُتَيْع، وعُثْبَة بن عمرو بن جَحْدَم، وشافع وشفيع، حليفان لهم من اليمن.

= فلستنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
وهو للخصين بن الحُمام المزي من قصيدة له أولها:
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِدْ لنفسي حياة مثل أن اتقدما
يقول: نحن لا نولي فتخرج في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا؛ ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا؛
فإن أصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا. انظر لسان العرب (مادة دمي)، والحماسة للتبريزي
ص ٩٣، والشعر والشعراء ص ٦٣٠.

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٠٧ «وأحسب ذكر الحجّاج في هذا الموضع وهماً، فإنه من مهاجرة الحبشة، وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر».

(٢) لم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله: «سعيد بن سهم». وقالوا إنما هو سعد.

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن من عليه رسول الله ﷺ (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك

قال: لما قفل رسول الله ﷺ من غزاة بدر ومعه الأسارى سمع العباس^(١) وهو يشنّ ويتأوه، قد ألمه الوثاق، فقلق رسول الله ﷺ تلك الليلة لذلك، فاستأذنه أصحابه رضي الله عنهم، في أن ينفسوا عن العباس وثاقه، فقال ﷺ: «إن فعلتم ذلك بجميع الأسرى فنعم وإلا فلا»، أو كما قال: فنفسوا عن جميع الأسرى.

ولما قدم رسول الله ﷺ وفرّق الأسارى بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً». ثم جاءه جبريل عليه السلام في أمر الأسارى فقال: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابلاً منكم سبعون. قال: فنادى رسول الله ﷺ في أصحابه، فجاءوا - أو من جاء منهم - فقال: «هذا جبريل يخيّركم بين أن تقدّموهم فتقتلوهم، وبين أن تُفادّوهم ويستشهد قابلاً منكم بعدّتهم». فقالوا: بل نُفاديهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون. ففادّوهم. رواه محمد بن سعد.

وروى ابن قتيبة^(٢) عن ابن إسحاق^(٣) أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «افد نفسك وابني أخونك: عقيل بن أبي طالب^(٤)، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب^(٥)،

(١) العباس بن عبد المطلب: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل (٥١ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٧٣ - ٦٥٣ م) من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجدّ الخلفاء العباسيين. عم الرسول ﷺ كان سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه. هاجر إلى المدينة وشهد وقعة «حنين». وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره. كانت وفاته في المدينة. (الأعلام: ٣: ٢٦٢).

(٢) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م) من أئمة الأدب، ومن المصنفين الكثيرين. ولد ببغداد، وسكن الكوفة. وتوفي ببغداد من كتبه: «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار». انظر (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المظليّ بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام توفي سنة ٦٥١ هـ. (الأعلام: ٦: ٢٨).

(٤) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد (... - ٦٠ هـ = ... - ٦٨٠ م). أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي، فصيح اللسان. أخو «علي» و«جعفر»، لأبيهما؛ برز اسمه في الجاهلية. بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسره المسلمون ففداه العباس بن عبد المطلب، فرجع إلى مكة، ثم أسلم بعد الحديبية. عمي في آخر أيامه، وتوفي في أول أيام يزيد، وقيل: في خلافة معاوية. (الأعلام: ٤: ٢٤٢).

(٥) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي: صحابي (... - ١٥ هـ = ... - ٦٣٦ م) =

وحليفك، فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهوني، فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك به، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا». قال: فإنه ليس لي مال، قال: «فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد؟ ثم قلت: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا، ولعبد الله كذا». قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى نفسه بمائة أوقية، وكل واحد بأربعين أوقية، وقال: «تركتني أسأل الناس في كفي». قال: «وأسلم العباس، وأمر عقيلاً فأسلم».

وروى محمد بن سعد^(١) قال: لما أسر نوفل بن الحارث بدر قال له رسول الله ﷺ: «أفدى نفسك». قال: ما لي شيء أفندي به. قال: «أفدى نفسك برماحك التي بجدة». فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحاً غيري بعد الله، أشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح، وقيل: كان إسلام نوفل وهجرته أيام الخندق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر نأخوا على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا^(٢) بهم لا يأزب^(٣) عليكم محمد وأصحابه الفداء. فقال المطلب بن أبي وداعة: صدقتم، لا تعجلوا؛ وانسل من الليل فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، وانطلق به.

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فكان أعلى ما فدى به أسير أربعة آلاف درهم فما دونها إلى ألف درهم.

وقال محمد بن سعد في طبقاته: كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يجد عنده شيئاً أعطي عشرة من غلمان المدينة فعلمهم الكتابة، فإذا

= كان من أغنياء قريش. أخرجه قومه يوم «بدر» لقتال المسلمين، وهو كاره فأسر، ثم أسلم. رجع إلى مكة، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة، حضر حنيناً والطائف... عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب (الأعلام: ٨: ٥٤).

(١) محمد بن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ - ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ - ٨٤٥ م). مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. أشهر كتبه: «طبقات الصحابة - ط» اثنا عشر جزءاً، يعرف بطبقات ابن سعد. (الأعلام: ٦: ١٣٦).

(٢) تستأنوا بهم: تنتظروا بهم، أي تأخروا فداءهم.

(٣) لا يأزب: لا يشتد.

حَدَّثُوا فَهُوَ فِدَاؤُهُ. وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَكْتُبُونَ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَكْتُبُونَ، قَالَ: فَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِمَّنْ عَلَّمَ.

ذِكْرُ خَبَرِ أَبِي سَفْيَانَ فِي أَمْرِ ابْنِهِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَإِطْلَاقِهِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي الْأَسَارَى، فَقِيلَ لِأَبِي سَفْيَانَ: افْدِ ابْنَكَ عَمْرًا؛ فَقَالَ: أَيْجَمَعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ، وَأَفْدَى عَمْرًا! دَعَا فِي أَيْدِيهِمْ يُمَسِّكُوهُ مَا بَدَأَ لَهُمْ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ سَعْدُ بْنُ النُّعْمَانَ بْنِ أَكَّالٍ، أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ مُعْتَمِرًا، وَكَانَ شَيْخًا مُسْلِمًا، فِي غَنَمٍ لَهُ بِالْبَقِيعِ^(١)، وَقَدْ كَانَتْ قَرِيشٌ عَهْدُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْضُدُونَ لِحَاجٍ أَوْ مُعْتَمِرٍ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بِمَكَّةَ فَجَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرٍو، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: [مَنْ الطَّوِيلُ]

أَرْهَطُ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(٢)

فَلِإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَنَاءَمَ أَذْلَهُ إِذَا لَمْ يَفْكَوْا عَنْ أُسَيْرِهِمُ الْكَبَلَا^(٣)

قَالَ: فَمَشَى بَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فَيَفْتَكُوا بِهِ صَاحِبَهُمْ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ، فَخَلَّى سَبِيلَ سَعْدِ بْنِ النُّعْمَانَ.

ذِكْرُ خَبَرِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي فِدَائِهِ وَإِرْسَالِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِسْلَامِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَدَّ زَيْنَبَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ نِكَاحٍ جَدِيدٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فِي الْأَسَارَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، حَتَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ. أَسْرَهُ خِرَاشُ بْنُ الصُّمَّةِ، أَحَدُ بَنِي حَرَامٍ.

وَكَانَ أَبُو الْعَاصِ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ مَالًا وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً، وَكَانَ لَهَا لَبَنَتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ، فَسَأَلَتْ خَدِيجَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَزُوجَها زَيْنَبَ، فَزَوَّجَها بِهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ مَعَهَا وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ وَهِيَ مُسْلِمَةٌ.

(١) البقيع: مكان مقبرة أهل المدينة.

(٢) تَفَاقَدْتُمْ: يدعوا عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.

(٣) الكبل: القيد.

فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها^(١) بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا». قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردّوا عليها الذي بعثت به، وأخذ رسول الله ﷺ عليه أن يخلي سبيل زينب، ولم يُظهر ذلك، ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: «كونا ببطن يأجج^(٢) حتى تمرّ بكما زينب، فتصحبها حتى تأتياني بها». فخرجا وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها، فتجهّزت لذلك، وقدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهراً يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك رجال قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذى طوى^(٣)، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري، فروّعها بالرمح وهي في هودجها، وكانت حاملاً فطرحته، فشر حموها كنانته ثم قال: والله ليدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكرّر^(٤) الناس عنه، ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال: أيها الرجل، كُفّ عنا نبلك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت له بيته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذلّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف وهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثورة^(٥)، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد ردّناها فسّلها سراً وألحّقها بأبيها. قال: ففعل.

فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدمها بها على رسول الله ﷺ، فأقامت عنده بالمدينة وفرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام - وكان رجلاً مأموناً - بمال له وأموال رجال من قريش، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله

(١) أدخلتها بها: منحتها إياها ليلة زفافها.

(٢) يأجج: موضع على ثمانية أميال من مكة.

(٣) ذو طوى: وادٍ عند مكة.

(٤) تكرّر: رجع.

(٥) الثورة: الثأر.

أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس معه خرجت زينب من صفّة النساء وقالت: أيها الناس، إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع. فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» فقالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجيرُ على المسلمين أديانهم»، ثم انصرف رسول الله ﷺ ودخل على ابنته وقال: «أي بُنيّة، أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تُجَلِّين له».

قال: وبعث رسول الله ﷺ إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به». قالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إنّ الرجل ليأتي بالدّلّو، ويأتي الرجل بالشنّة^(١) والإداوة^(٢)، حتى إنّ أحدهم ليأتي بالشطّاط^(٣)، حتى ردّوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً؛ قال: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن يظنّوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أذاها الله إليكم وفرغتم منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح^(٤) الأوّل، ولم يُحدِث شيئاً.

نرجع إلى تنمة أخبار أسارى بدر:

(١) الشنّة: السقاء البالي.

(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد.

(٣) الشطّاط: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالقين، والجمع: أشطّة.

(٤) قال في الروض الأنف: ٢: ٨٣: «وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ ردّ زينب على أبي العاص على النكاح الأوّل، لم يحدث شيئاً بعد سنين. ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ردها عليه بنكاح جديد. وهذا الحديث هو الذي عليه العمل. وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث. لأن الإسلام كان قد فرق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: معنى ردها عليه على النكاح الأوّل أي على مثل النكاح الأوّل في الصداق والحباء، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره».

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدّم أنه كان ممن أُسِرَ يوم بدر، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش ويقال: أسره سَلِيط بن قَيْس المازنيّ الأنصاريّ، فقدم في فدائه أخواه: خالد وهشام، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم. فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذاوكذا لفعلت. ويقال: إنّ النبي ﷺ قال لعبد الله بن جحش: لا تقبل في فدائه إلا شِكَّةَ أبيه الوليد - وكانت درعاً فضفاضةً وسيفاً ويئضةً - فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه، فأقيمت الشكة بمائة دينار، فطاعا بها وسلّماها إلى عبد الله، فلما افتديّ أسلم، فقيل له: هلاًّ أسلمت قبل أن تُفتدى وأنت مع المسلمين؟ قال: كرهت أن تظنوا أنني جزعت من الإِسار فحبسوه بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله ﷺ وشهد عُمرَةَ الْقُصَيْيَةِ^(١). حكاها ابن عبد البر^(٢).

ذكر من منّ عليه رسول الله ﷺ من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق: وكان ممن منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء: أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره. والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عُبَيْد المَخْزوميّ، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله، فلحق بقومه، وصيّف بن أبي رفاعَةَ المَخْزوميّ، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليعثنّ إليهم بفدائه وخلّوا سبيله، فلم يف لهم بشيء، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح^(٣) كان محتاجاً ذا بنات فقال:

(١) عُمرَةُ الْقُصَيْيَةِ: هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص؛ سميت بذلك لأن النبي ﷺ قاضى قریشاً عليها. (انظر الروض الأنف: ٢: ٢٥٤).

(٢) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي المالكي، أبو عمر: (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ - ١٠٧١ م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثه يقال له: حافظ المغرب. ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة. من كتبه: «الدرر في اختصار المغازي والسير»، و«الاستيعاب» مجلدان. (الأعلام: ٨: ٢٤٠).

(٣) عمرو بن عبد الله الجمحي: عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي، (٣٠٠ - ٣ هـ = ٦٢٥ - ٦٣٨ م). شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام وأصر على الشرك يوم بدر، فأُتِيَ به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد علمت ما لي من مال، وإنّي لذنو حاجة وعيال، فامنن علي، ولك أن لا أظاھر عليك أحداً. فامتّن عليه، فنظم قصيدة يمدحه بها، منها البيت المشهور:

فلأنك من حاربته لمحارب شقي، ومن سالمته لسعيد

ثم خرج وسار في بني كنانة، واشترك مع عمرو بن العاص (قبل إسلامه) في استنفاذ القبائل، ونظم =

يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة وذو عيال، فامئن عليّ، فمنّ عليه وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحداً؛ فقال أبو عزة في ذلك: [من الطويل]

مَنْ مَبْلَغُ عُنِّي الرَسُولَ مُحَمَّدًا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِثَّتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودُ^(١)
فَإِنَّكَ مَنْ حَارِبْتَهُ لِمَحَارَبِ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدِرْأٍ وَأَهْلِهِ تَأَوَّبَ مَا بِي حَسْرَةً وَقُعُودُ^(٢)
ومنهم وهب بن عمير الجمحي، ولإطلاقه سبب نذكره.

ذِكْرُ خَيْرِ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ وَإِسْلَامِهِ، وَإِطْلَاقِ وَلَدِهِ وَهْبِ بْنِ عَمِيرٍ

قال ابن إسحاق في سبب إطلاق وهب بن عمير: إن أباه عمير بن وهب بن خلف بن خذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب جلس مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير - قال: وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، وَيَلْقَوْنَ مِنْهُ عَنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ - فذكر أصحاب القليب^(٣) ومُصَابِهِمْ. فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، فقال عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة^(٤) بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة؛ ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم، قال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذَ^(٥) له، ثم سَمَّ، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة، فبينما

= شعراً يحرض به على قتال المسلمين. ثم أسره المسلمون. فقال: يا رسول الله منّ عليّ فقال النبي ﷺ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه. (الأعلام: ٥: ٨٠).

(١) بوّثت فينا مباءة: نزلت فينا منزلة.

(٢) تأوب: رجع.

(٣) القليب: البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر.

(٤) الضيعة: الهلاك.

(٥) شحذ السيف: سته.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال عمر: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهذا الذي حرّش^(١) بيننا وحرّنا^(٢) للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه، قال: فأدخله عليّ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه^(٣) بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير، فدنا ثم قال: انعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة؛ قال: أما والله إن كنت يا محمد بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسّوا فيه؛ قال: فما بالُ السيف في عنقك؟ قال: قَبَحَها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: اصدّقني، ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك؛ قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك. قال عمر: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله تكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهّد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرَبُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع.

(١) حرّش: أفسد.

(٢) الحزر: تقدير العدد تخميناً.

(٣) لبّبه: حزمه.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي مَنْ خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب أو الحارث بن هشام، قد ذكر أن أحدهما الذي رأى إبليس حين نكص^(١) على عقبيه يوم بدر، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفُتَيَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] وكان إبليس قد تشبه لقريش بسُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم وقال: أنا جارٌ لكم من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة، كما قدّمنا ذكر ذلك، قال: وكانوا يرونه في كل منزل في صورة سُرَاقَة لا يُنكرونه. فلما التقى الجمعان يوم بدر ورأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال لهم ما قال.

وقد أخذت هذه الغزوة حقّها من البسْط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل الاختصار، فلنذكر غيرها من الغزوات والسرايا. والله المستعان.

ذكر سرية عمير بن عدي بن خَرْشَة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد^(٢)

قال محمد بن سعد: كانت سرية عمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، قال: وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي ﷺ وتحرض عليه، وتقول الشعر، فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من تُرضعه في صدرها، فجسّها بيده - وكان ضريب البصر - ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: قتلت بنتَ مروان؟ قال: نعم، فهل علي في ذلك شيء؟ قال: لا يتطع فيها عزان^(٣).

(١) نكص: رجع عما كان عليه، أحجم.

(٢) عمير بن عدي: عمير بن عدي بن خَرشَة بن أمية بن عامر بن خطمة. ذكره ابن السكن في الصحابة. كان أول من أسلم من بني خطمة وهو الذي قتل عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، كانت تعيب الإسلام وأهله فقتلها عمير بن عدي ومن يومئذ عز الإسلام وأهله بالمدينة. ولما قتلها عمير قال النبي ﷺ: «لا يتطع فيها عزان»، فكان أول من قالها فصار بها المثل. وكان ذلك لخمس بقين من رمضان من السنة الثانية. (الإصابة ٣: ٣٣ رقم الترجمة ٦٠٤٣) نسبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري؛ قيل لأنها حليفهم أو لكون زوجها منهم. انظر الزرقاني: ١: ٥٤٦.

(٣) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولا له تكير، أي لا يختلف فيه اثنان. انظر مجمع الأمثال: ٢: ١٤٨.

قال محمد بن إسحاق: فرجع عمير بن عددي إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجههم^(١) في شأن ابنة مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون^(٢). قال: فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفي بإسلامه، وعمير هو أول من أسلم من بني خطمة. قال: وأسلم يوم قتلها رجالٌ من بني خطمة لما رأوا من عز الإسلام.

ذكر سرية سالم بن عمير العمرى إلى أبي عفك اليهودي

قال ابن سعد: كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير - وهو أحد البكائين^(٣) وقد شهد بدرًا -: عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه؛ فجاء وقد نام أبو عفك بالفناء في ليلة صائفة، فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى خَشَّ في الفراش، فصاح عدو الله، فثار إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه.

ذكر غزوة بني قينقاع (وهي بضم النوم وقيل بكسرها)

غزاها رسول الله ﷺ في يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجره.

قال ابن سعد: وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة، فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبدوا العهد والمدة، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قينقاع: إن رسول الله ﷺ جَمَعَهُمْ بسوق بني قينقاع^(٤) ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش

(١) موجههم: اضطرابهم وتحيرهم.

(٢) تنظرون: تؤخرون.

(٣) البكاعون: سبعة نفر أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً. فسموا البكائين. راجع القرطبي: ٨: ٢٢٨.

(٤) بنو قينقاع: اسم لشعب من اليهود الذي كانوا بالمدينة أضيفت إليهم سوق كانت بها، فيقال: سوق بني قينقاع.

من الثقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتُم أَنِّي نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهدِ الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، لا يَغُرُّكَ أَنك لَقِيتَ قومًا لا علمَ لهم بالحرب فأصبَت منهم فُرصة، إِنَّا والله لئن حاربناكَ لتعلمن أَنَّا نحن الناس. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْدٌ يُقَالُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَقْسَىٰ إِلَيْهَا ۖ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَى الْأَعْيُنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرِيهِمْ مَنِ يَشَأْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِزَّةٌ لِأَوَّلَىٰ ۖ فَلْيَبْصُرْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣].

حكاه ابن إسحاق بسندٍ يرفعه إلى ابن عباس.

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة: إِنَّ امرأة من العرب حَلَّت بِجَلَبٍ^(١) لها، فباعته بسوق بني قَيْنَقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كَشَف وجهها، فأبت، فعَمَد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعَقَدَه إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءُها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قَيْنَقاع.

عُدنا إلى مَساق حديث ابن سعد؛ قال: فسار رسول الله ﷺ إليهم، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا لُبَابَة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسَ عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكانوا أَوَّلَ من غدر من اليهود، وحاربوا وَتَحَصَّنُوا في حصنهم، فحاصرهم أَشدَّ الحصار، حتى قَذَفَ الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، وأن لرسول الله ﷺ أموالهم، وأن لهم النساء والأذرعية، فأمر بهم فكَتَّفُوا، واستعمل على كِتَافهم المنذر بن قُدَامة السُّلَمي. فكلَّم عبد الله بن أبي فيهم رسول الله ﷺ وألَحَّ عليه، فقال: خذهم، لعنهم الله؛ وتركهم من القتل، وأمرَ بهم أن يُجْلُوا من المدينة، وولَّى إخراجهم منها عُبادة بن الصامت، فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ^(٢)، فما كان أَقلَّ بقاءهم فيها.

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله ابن أبي بن سلول: إنه قام إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله من بني قَيْنَقاع، فقال: يا محمد، أَحْسِن في مَوَالِي. وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أَحْسِن في مَوَالِي. قال: فأعرَض عنه. قال: فأدخلَ يده في جيبِ دِرْع النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أُرسلني، وغَضِبَ حتى ظهر ذلك في وجهه، ثم قال: ويحك! أُرسلني، قال: لا والله

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع.

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء.

لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر^(١) وثلاثمائة دارع^(٢)، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

وحكي أيضاً قال: كان لبني قينقاع من عبادة بن الصامت من الجلف مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فمشى عبادة إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من جلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشُو أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِيرًا ﴿٥٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] وذلك لعبادة بن الصامت.

قال محمد بن سعد: وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي: الكثوم، كُسِرَتْ بأحد، والرُّوحاء، والبيضاء، وأخذ دُرْعَيْن: الصُّغْدِيَّة، وأخرى فضة؛ وأخذ ثلاثة أسياف: سيف قلعي^(٣)، وسيف يقال له: بئار، وسيف آخر؛ وثلاثة أرماح، ووجد في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة، فأخذ ﷺ صفيه^(٤) والخمس، وفض^(٥) أربعة أخماس على أصحابه، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة.

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد: خرج رسول الله ﷺ من المدينة لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حَزَمَ الدُّهْنَ حتى يثار من محمد وأصحابه.

قال ابن إسحاق: نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة^(٦) حتى يغزو محمداً ﷺ.

(١) الحاسر: الذي لا درع له.

(٢) الدارع: الذي عليه الدرع.

(٣) سيف قلعي: منسوب إلى القلعة، وهي موضع بالبادية تنسب السيوف إليه.

(٤) الصفي: ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.

(٥) يقال: فض الشيء على القوم أي قسمه وفرقه بينهم.

(٦) قال السهيلي في الروض الأنف: «إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين

إبراهيم وإسماعيل، كما بقي معهم الحج والنكاح».

قال ابن سعد: فخرج في مائتي راكب، وقيل: في أربعين راكباً، فمَرَّ بالعُرَيْض^(١)، - بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال - فقتل رجلاً من الأنصار، وأجيراً له، وحرَّقَ أبياناً هناك وَتَيْناً، ورأى أن يمينه قد حُلَّتْ، ثم ولى هارباً، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفَّفون للهرب فيلقون جُرب السويق^(٢) وهي عامة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسُمِّيت غزوة السويق، ولم يلحقهم وانصرف. وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام.

قال محمد بن إسحاق: بلغ قَرْقَرَةُ الْكُذْر^(٣) ثم انصرف راجعاً، فقال المسلمون حين رجع بهم: يا رسول الله، أطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

ذكر غزوة قَرْقَرَةُ الْكُذْر ويقال قَرارة الْكُذْر وهي غزوة بني سُليمان

غزاها رسول الله ﷺ للنصف من المحَرَّم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره، وهي ناحية معدن بني سليم، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرْد، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أن بهذا الموضع جمعاً من بني سُليمان وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في المحال أحداً، ووجد رعاء^(٤) منهم غلام يقال له: يسار، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة، فاقتسموا غنائمهم بصِرَار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خمسمائة بعير، فأخرج خَمْسَةَ وقسم أربعة أخماس على المسلمين، فأصاب كل رجل منهم بعيران، وصار يسار في سهم النبي ﷺ، فأعتقه حين رآه يصلي. وكانت غيبة رسول الله ﷺ عن المدينة خمس عشرة ليلة.

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر سرّيته

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعد - دخل حديث بعضهم في حديث بعض -: كانت سرّية قتل كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجرة

(١) العُرَيْض: وادي المدينة.

(٢) السويق: قمح أو شعير، يقلّى ثم يطحن.

(٣) قَرْقَرَةُ الْكُذْر: قال الواقدي: «بناحية المعدن، بينها وبين المدينة ثمانية بُرْد». وقال غيره: «ماء لبني

سليم». راجع معجم البلدان، مادة: «كدر».

(٤) رعاء: جمع راع.

رسول الله ﷺ. وذلك أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم، وكان لما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رَواحة إلى أهل العالية بشيرين إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بخبر بدر، فقال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نُبْهان، وكانت أمه من بني النضير^(١) -: أحقُّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبُظن الأرض خيرٌ من ظهرها.

فلما تيقن الخبر خرج حتى قديم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ويُنشد الأشعار^(٢) ويبكي أصحاب القليب من قريش.

ثم رجع إلى المدينة فشَبَّ^(٣) بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت»؛ وقال: «من لي بابن الأشرف فقد آذاني؟» فقال محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله؛ قال: «فافعل إن قدرت على^(٤) ذلك». فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُمسِك رمقه؛ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال له: «لِمَ تركتَ الطعامَ والشراب؟» فقال: يا رسول الله؛ قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أو لا؟ قال: «إنما عليك الجَهد» قال: يا رسول الله؛ لا بد لنا من أن نقول، قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حلٍّ من ذلك». فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة سيلكان بن سلامة بن وقش - وكان أخا كعب من الرضاة - وعبد بن بشر بن وقش، والحاتر بن أوس بن مُعاذ، وأبو عبس بن جبر، أخو بني حارثة، فقدموا إليه سيلكان بن سلامة، فجاءه فتحدث معه ساعة، وتناشدا شعراً، ثم قال أبو نائلة سيلكان: ويحك يا بن الأشرف! إني قد جئتُك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عني؛ قال: أفعل، قال: قد كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوسٍ

(١) كعب بن الأشرف: قال صاحب الأغاني: ١٩: ١٠٦. طبع بولاق: «كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيء، وأمّه من بني النضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمّه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النضير، وكان شاعراً فارساً» الخ.

(٢) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام: ٣: ٥٥ - ٥٧ طبعة الحلبي، بمصر.

(٣) يروى أنه شبب بأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب. راجع الطبري: ٣، ٤ ص ١٣٦٩.

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٢٣: «في هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبي ﷺ وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا».

واحدة، وقُطعت عنا السُّبُل حتى ضاع العيال، وجُهدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهدنا وجهد عيالنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلْكَان: إِنَّا نريد التَّنْحِي منه، ومعِي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيكَ بهم، فنبْتَاع منك طعاماً وتمراً، ونرهنك ما يكون لك فيه ثِقَة ووفاء؛ فقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب^(١) أهل يثرب وأعطرهم؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتُ أن تفضحننا وأن يُعيّر أبناؤنا؛ فيقال: هذا رهينة وَسَقِي^(٢)، وهذا رهينة وسقين، ولكنّا نرهنك سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح؛ فقال: نعم إن في الحلقة^(٣) لوفاء، وإنما أراد سِلْكَان ألا يُنكر السلام إذا جاءوا بها، ثم رجع سِلْكَان إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله ﷺ، ففعلوا.

ومشى معهم رسول الله ﷺ إلى بَقِيع^(٤) الغرقد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعينهم. ورجع ﷺ إلى بيته، وتوجهوا، وكانت ليلة مقمرة، حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفتة، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً ما أيقظني؛ فقالت: والله لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو يُدعى الفتى لطغنة لأجاب.

وفي حديث البخاري^(٥) من رواية سُفيان عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورَضِيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة، ثم قالوا: هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب^(٦) العجوز فننحدث به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة يده

(١) أشب: أفضلهم شباباً.

(٢) الوسق: حمل البعير.

(٣) يريد «بالحقة»: السلاح كله، وقيل: هي الدرع خاصة.

(٤) بقيق الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٥) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ =

٨١٠ - ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب «الجامع الصحيح»

المعروف: بصحيح البخاري. ولد في بخارى، ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب

الحديث. مات في سمرقند، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. (الأعلام: ٦:

٣٤).

(٦) شعب العجوز: بظاهر المدينة.

في فود رأس ابن الأشرف، ثم شتم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطرَ قَطَ من هذا! فقال: هذا عطرَ أم فلان، يريد امرأته، ثم مشى قليلاً وعاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفؤد رأسه وقال: اضربوا عدو الله. فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً^(١) في سيفي حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في ثنته^(٢) ثم تحاملت عليه حتى انتهى إلى عانته^(٣). ثم حزوا رأسه وحملوه معهم؛ وأصيب الحارث بن أوس، فجرح في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه قال محمد بن مسلمة: فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة ثم على بُعَاث^(٤) حتى استندنا في حرة العريض^(٥)، وقد أبطأ علينا الحارث، ونزفه^(٦) الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا فاحتملناه وجئنا به.

قال ابن سعد: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «أفلحِت الوجوه» قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة: وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا فبرأ، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه.

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر^(٧): [من الوافر]

-
- (١) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه.
 - (٢) الثنة: ما بين السرة والعانة.
 - (٣) في الأصول: «غايته»، وهو تصحيف. انظر شرح المواهب: ٢: ١٥.
 - (٤) بُعَاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية. وفي رواية أخرى: «بعاث».
 - (٥) حرة العريض: الأرض الصلبة الغليظة التي البستها حجارة سود نخرة والعريض: وادي المدينة.
 - (٦) نزفه الدم: خرج منه كثيراً حتى ضعف.
 - (٧) عباد بن بشر: عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: (٣٣ ق هـ ١٢ هـ = ٥٩١ - ٦٣٣ م) صحابي من أبطالهم أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. وكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى القبائل يصدّقها (يجمع الصدقات) وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتيوك. استشهد يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ٢٥٧).

صرختُ به فلم يعرض لصوتي وأوفى طالعاً من رأس جذر^(١)
فعدتُ له فقال من المنادي فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها لشهر إن وفي أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا وما عديموا الغنى من غير فقر^(٢)
فأقبل نحونا يهوي سريعاً وقال: أما لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد مجربة بها الكفار نفري^(٣)
فعانقه ابن مسلمة المردى به الكفار كالليث الهزبر^(٤)
وشد بسيفه صلتاً عليه فقطره أبو عبس بن جبر^(٥)
فكان الله سادسنا فأبنا بأنعم نعمة وأعز نصر^(٦)
وجاء برأسه نقر كرام هم ناهيك من صدق وبر

ذكر غزوة غطفان إلى نجد

(وهي غزوة ذي أمر^(٧)؛ ناحية النخيل، وقصة دُعُثُور بن الحارث^(٨))

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول^(٩) على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجره، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر تجتمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ. جمعهم رجل منهم يقال له: دُعُثُور بن الحارث من بني محارب، فندب رسول الله ﷺ الناس، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلاً، ومعهم أفراس،

(١) الجدر: الحائط.

(٢) معاشر: أناس. سغبوا: لم يعد عندهم ما يأكلونه.

(٣) البيض الحداد: السيوف القاطعة.

(٤) أرواه: قتله، الهزبر: من أسماء الأسد.

(٥) قطره: أسال دمه.

(٦) أبنا: عدنا.

(٧) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة «غزوة ذات الرقاع». وقال في سبب هذه التسمية: «إنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع».

(٨) في سيرة ابن هشام: «غورث بن الحارث». وفيه روايات أخرى. راجع المواهب اللدنية: ٢: ١٧.

(٩) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره.

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأصابوا رجلاً منهم بذي^(١) القصة يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم وقال: لن يلاقوك، لو سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم وضمه إلى بلال، ولم يلاق ﷺ أحداً.

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي^(٢)، رحمه الله: وهربت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال، ونزل رسول الله ﷺ ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجته، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ، فقالت الأعراب لدعثور، وكان سيدها وأشجعها: قد أمكنك محمد، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوث^(٣) بأصحابه لم يُغث حتى تقتله؛ فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله ﷺ: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأيي، ولكن نظرت إلى رجل أبيض^(٤) طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه؛ وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية. ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

ذكر غزوة بني سليم ببُخْران^(٥)

غزاها رسول الله ﷺ لست خلون من جمادي الأولى على رأس سبعة وعشرين

(١) ذو القصة: موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة.

(٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤-٤٥٨ هـ = ٩٩٤-١٠٦٦ م) من أئمة الحديث، ولد في خسرو جرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده. (الأعلام: ١: ١١٦).

(٣) غوث: قال: واغوثاه. (٤) أراد جبريل.

(٥) بحران: موضع بناحية الفرع. وفي الأصل: «بنجران».

شهرأ من مهاجره - وبحران من ناحية الفرع^(١)، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد - وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأعد^(٢) السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة (بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالقاف وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله ﷺ لهلال جمادي الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهرأ من الهجرة، وهي أول سرية خرج زيد فيها أميراً يعترض لعبير قريش فيها صفوان بن أمية، وخويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليهم فراث ابن حيان العجلي، فخرج بهم على ذات عرق^(٣)، طريق العراق.

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، فخرج منهم تجار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة، وهي أعظم تجارتهم.

قال ابن سعد: فبلغ النبي ﷺ ذلك، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالعبير على رسول الله ﷺ فخمسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي بين أهل السرية، وأسير فراث بن حيان، فأسلم، فترك من القتل.

والقردة: من أرض نجد بين الربرة والغمزة.

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت غزوة رسول الله ﷺ أحداً يوم السبت لسبع خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرأ من مهاجره ﷺ.

وقال ابن إسحاق: كانت يوم السبت للنصف من شوال.

وذلك أن قريشاً لما أصيب من أصيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة، فمشت

(١) الفرع: قرية من ناحية المدينة، ويقال: هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة.

(٢) أعد: أسرع.

(٣) ذات عرق: هو منزل معروف من منازل الحاج، يحرم أهل العراق بالحج منه سمي به لأنه فيه عرقاً وهو الجبل الصغير. (اللسان: عرق).

أشراف قريش إلى أبي سفيان، فقالوا: نحن طيبو أنفس أن تجهزوا برنج هذه العير جيشاً إلى محمد؛ فقال أبو سفيان: وأنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف معي؛ فباعوها فكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أربابهم، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً.

قال ابن سعد وغيره: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] وبعث قريش رُسُلهم إلى العرب يدعونهم^(١) إلى نصرهم فأوعبوا^(٢) وألبوا^(٣).

قال ابن سعد: وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ بخبر قريش، فأخبر رسول الله ﷺ سعد بن الربيع بكتاب العباس. وأزجف^(٤) المنافقون واليهود بالمدينة، وخرجت قريش من مكة بحدها^(٥) وجدها وأحابيشها^(٦)، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمئة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا معهم بالطعن^(٧) التماس الحفيظة^(٨)، وألا يفرؤا، وكان معهم خمس عشرة امرأة، فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس - معهم هند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية بيرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية، وهي أم عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص برينة بنت منبه بن الحجاج، وهي أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة - عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - بسلافة بنت سعد بن شهيد^(٩) الأنصارية، وخرجت حُناس بنت مالك بن المضرب^(١٠) مع ابنها أبي

(١) في الأصول: «يدعوهم».

(٢) أوعبوا: خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٣) ألبوا: أتوا من كل جانب.

(٤) أزجف القوم: اختلفوا أخباراً كاذبة يكون معها اضطراب في الناس.

(٥) بحدها وجدها: بغضبها وعظمتها.

(٦) أحابيش قريش: قوم من بني المصطلق والهون بن خزيمة، اجتمعوا وحالفوا قريشاً عند حبشي، وهو جبل بأسفل مكة، فسموا به.

(٧) الطعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج.

(٨) الحفيظة: الحمية والغضب.

(٩) كذا في السيرة، والطبري في «الأصول»: «سهيل». وفي رواية الطبري: «شهيد».

(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبري. وفي الأصول: «النضر».

عزیز بن عُمیر، وخرجت عُمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة.

قال محمد بن إسحاق: ودعا جُبیر بن مُطعم غلاماً له حَبشيّاً، يقال له: وحشي، يقذف بحزبة له قَذف الحبشة، قَلماً يُخطئ بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعثني طُعيمة بن عدي فأنت عتيق.

فكانت هند بنت عتبة كلما مرّت بوحشي أو مر بها، قالت: ونها^(١) دُسمة؛ اشف واستشف، وكان وحشي يكنى بأبي دسمة.

قال ابن سعد: وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة، فبعث رسول الله ﷺ أنساً ومُؤنساً ابني فضالة، ليلة الخميس لخمس مضين من شوال عشرين له، فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم، وأنهم قد خدّوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض^(٢) حتى تركوه ليس به خضراء، ثم بعث الحُبَاب بن المنذر بن الجموح فدخل فيهم فحزّهم^(٣)، وجاءه بعلمهم، ويات سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضير، وسعد بن عبادة في عِدّة ليلة الجمعة، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ، وحُرست المدينة حتى أصبحوا، ورأى رسول الله ﷺ تلك الليلة كأنه في درع حصينة، وكأن سيفه ذا القنار قد انقصم من عند ظبته^(٤)، وكان بقراً تذبّح، وكأنه مُردف كِبشاً فأخبر بها أصحابه وأولها^(٥)، فقال: أما الدرع الحصينة فالمدينة، وأما انقصام سيفي فمصيبة في نفسي، وأما البقر التي تذبّح فقتل في أصحابي، وأما مُردف كِبشاً، فكِبش الكتيبة يقتله الله إن شاء الله: فكان رأي رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج. فأشار عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذاري في الآطام^(٦). فقام فتیان أحداث لم يشهدوا بداراً، فطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوّهم ورغبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى عدوّنا لا يروّن أنّا قد جبّنا عنهم وضعفنا. فعلبوا على الأمر، فصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس، ووعظهم وأمرهم بالجدّ والجهد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوّهم، وفرح الناس بالشخص،

(١) وبها: كلمة معناها الإغراء والتحفيز. والدسمة: السواد.

(٢) العريض: وادٍ بالمدينة.

(٣) الحزر: العد بالظن والتخمين.

(٤) ظبته: طرفه.

(٥) أولها: فسرّها.

(٦) الآطام: الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة.

ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي^(١)، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعمّماه وألبّساه^(٢)، وصف^(٣) الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فزدوا الأمر إليه. فخرج رسول الله ﷺ قد لبس لأُمته^(٤)، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حمائل سيفه، واعتم وتقلد السيف، وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعاً على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال ﷺ: لا ينبغي لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فانظروا ما أمركم به فافعلوا وامضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم. ثم دعا بثلاثة أرماع، فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، ويقال: إلى مصعب بن عُمَيْر^(٥)، ودفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَيْر^(٦)، ودفع لواء الخزرج إلى الحُبَاب بن المنذر^(٧)، ويقال: إلى سعد بن عُبادة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ركب فرسه وتنكب^(٨) القوس، وأخذ قناة بيده، والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع، فيهم مائة دارع، وخرج السعدان أمامه، يعدوان، سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة، كل منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله، فمضى حتى إذا كان بالشَّيخَيْن - وهما أطمان، كان يهودي ويهودية يقومان عليهما يتحدثان، فلذلك سميا بالشَّيخَيْن، وهما في طرف المدينة - التفت فنظر إلى كتيبة خُشَاء^(٩) لها

(١) العوالي: قرى بظاهر المدينة.

(٢) في الأصول: «لبان» وهو تحريف.

(٣) صف: اصطف.

(٤) اللامة: الدرع، أو السلاح كله.

(٥) مصعب بن عُمَيْر: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي من بني عبد الدار (.... - ٣ هـ = ٦٢٥ م) شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة. وهرب مع من هاجر إلى الحبشة. وهاجر إلى المدينة. شهد بدرًا وحمل اللواء يوم أحد. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٦) أُسَيْد بن حُضَيْر: أُسَيْد بن الحضير بن سمالك بن عتيك الأسدي، أبو يحيى: (.... - ٢٠ هـ = ... - ٦٤١ م) صحابي، كان شريفًا في الجاهلية والإسلام. يعد من عقلاء العرب وذو الرأي فيهم. شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحدًا فجرح سبع جراحات. وشهد الخندق والمشاهد كلها. توفي في المدينة. (الأعلام: ١: ٣٣٠).

(٧) الحُبَاب بن المنذر: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، الخزرجي، ثم السلمي؛ صحابي، من الشجعان الشعراء، قال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم أحد. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٨) تنكب القوس: ألقاه على منكبه.

(٩) كتيبة خُشَاء: كثيرة السلاح، خُشْتة.

رَجُلٌ^(١)، فقال: ما هذه؟ قالوا: حلفاء ابن أبي يهود. فقال ﷺ: لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك. وعرض من عرض بالشيخين، فردّ من ردّ، وأجاز من أجاز.

قال محمد بن إسحاق: أجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرَةَ^(٢) بن جُنْدُب الفزاري، ورافع بن خديج أحد بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقبل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازه، فقبل له: إن سمرة يصرع رافعاً، فأجازه. وردّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد^(٣)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب^(٤)، وزيد بن ثابت^(٥)، والبراء بن عازب^(٦)، وعمرو بن حزم^(٧)، وأُسَيْد بن ظُهَيْر^(٨)، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة، وردّ عَرَابَةَ بن أوس وهو الذي يقول فيه

(١) الزجل: الجلبة والضوضاء.

(٢) في الأصل: «تمرة» وهو تحريف.

(٣) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة. يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ وله عشرون عاماً. وكان أمره على جيش عظيم. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين (الإصابة في تمييز الصحابة، ترجمة رقم: ٨٩).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب: العدوي، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م)، صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. كف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. (الأعلام: ٤: ١٠٨).

(٥) زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة: (١١ ق هـ - ٤٥ هـ = ٦١١ - ٦٦٥ م) صحابي من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة. وهاجر مع النبي ﷺ، وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين. وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته للاخذ عنه. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٦) البراء بن عازب: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: (.... هـ - ٧١ هـ = م) قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشر غزوة، أولها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة. واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(٧) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بن زيد بن لؤذان الأنصاري أبو الضحاك (.... هـ - ٥٣ هـ = م) ٦٧٣ م، وإل، من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها. واستعمله النبي ﷺ على نجران وكتب له عهداً مطولاً، فيه توجيه وتشريع. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٨) أسيد بن ظُهَيْر: أُسَيْد بن ظُهَيْر بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي ابن عم رافع بن خديج يكنى أبا ثابت له ولأبيه صحبة. قال البخاري: مدني يمانى. مات في خلافة عبد الملك بن مروان. (الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ رقم الترجمة ١٨٨).

الشَّمَاخ^(١): [من الوافر]

إذا ما راية رفعت لمجدٍ تَلَقَّها عَرابة باليمين
قال ابن سعد: وبات رسول الله ﷺ بالشيخين، وكان نازلاً في بني النجار، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مَسْلَمَة في خمسين رجلاً، يُطِفُون بالعسكر، وأدْلَج^(٢) رسول الله ﷺ في السَّحَر، ودليله أَبُو خَيْثَمَة، فانتَهى إلى أُحُد، فحانت الصلاة، وهو يرى المشركين، فأمر بلالاً فأَذَّن وأقام، فصَلَّى بأصحابه الصبح صفوفاً.

قال ابن إسحاق: ولما كان رسول الله ﷺ بالشُّوط^(٣) بين المدينة وأحد، انخزل^(٤) عنه عبد الله بن أَبِي^(٥) بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام تَقْتُل أنفُسنا ها هنا أيها الناس! فرجع بمن اتَّبَعه من قومه من أهل التفاق، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا قومكم وتَبِيَّكم عندما حَضَرَ عدوهم؛ قالوا: لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم، ولكن لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسُيغني الله عنكم نبيّه ﷺ.

قال ابن سعد: انخزل عبد الله بن أَبِي بثلاثمائة، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبي بُرْدة بن نيار. وأقبل يصف أصحابه ويسوي الصفوف على رجله، وعليه دِرْعان ومِغْفَر^(٦) وبيضة، وجعل له مِيمَةً وميسرة، وجعل أحداً وراء ظهره، واستقبل المدينة؛ وجعل عِثْنين^(٧) - جبلاً - عن يساره، وجعل عليه خمسين من

(١) خرج الشماخ يريد المدينة فلقبه عرابة بن الأوس، فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي وكان معه بغيران. فأوقرهما له عرابة تمرأ وبرا، وكساه وأكرمه، فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التي منها هذا البيت.

(٢) أدلج: سار ليلاً.

(٣) الشوط: قال في معجم البلدان: «اسم حائط، يعني بستاناً بالمدينة».

(٤) انخزل: ارتد.

(٥) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة (.... هـ - ٩ هـ = ٦٣٠ م) رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقياً. ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، انخزل ابن أبي وعاد إلى المدينة. وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. (الأعلام: ٤: ٦٥).

(٦) المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح.

(٧) عيثان: جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

الرّماة، واستعمل عليهم عبد الله بن جُبَيْر، وقال: قوموا على مصافّكم هذه فاحموا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، فإن رأيتُمونا قد غنمنا، فلا تُشركونا، وإن رأيتُمونا نُقتل فلا تنصرونا.

وأقبل المشركون، وقد صفّوا صفوفهم، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ولهم مُجَنَّبَتَان^(١) مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية، ويقال: عمرو بن العاص. وعلى الرّماة عبد الله بن أبي ربيعة، وكانوا مائة رام، ودفعوا اللّواء إلى طلحة بن أبي طلحة - واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار - فسأل رسول الله ﷺ: من يحمل لواء المشركين؟ فقبل: عبد الدار، فقال: نحن أحقّ بالوفاء منهم، أين مُصْعَب بن عُمير؟ قال: هأنذا؛ قال: خُذِ اللّواء؛ فأخذه مصعب، فتقدّم به بين يدي رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرْشَة^(٢) أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به في العدو حتى ينحني؛ قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دُجَانة إذا اعلم بعصاة له حمراء، علم الناس أنه سيقايل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ، أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، وجعل يتبخر بين الصّفين. فقال رسول الله ﷺ حين رآه: إنها لمشيئة يُبغضها الله ورسوله، إلا في هذا الموطن.

قال ابن هشام^(٣): إن الزبير بن العوّام قال: وَجَدْتُ^(٤) في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دُجَانة، فقلت: والله لأنظرنّ ما يصنع. فأتبعته، فأخرج عصاة حمراء فعصّب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانة عَصَاة الموت. وجعل يقول: [من الرجز]

(١) المجنبتان: الميمنة والميسرة.

(٢) سِمَاك بن خَرْشَة: سِمَاك بن خَرْشَة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دُجَانة: (... هـ = ٦٣٢ م) صحابي، شهد بدرًا وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة. واستشهد باليمامة. وكان يقال له: «ذو المشهرة» وهي درع يلبسها في الحرب. و«ذو السيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ. (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٣) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (... هـ = ٢١٣ م). مؤرخ كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه: «السيرة النبوية - ط» المعروف بسيرة ابن هشام. (الأعلام: ٤: ١٦٦).

(٤) وَجَدْتُ: حَزَنْتُ.

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى التخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول^(١)

قال الزبير: فجعل لا يلتقي أحداً إلا قُتله. وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذُفَّ^(٢) عليه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجانة، فألقاه بذرقة^(٣)، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدله عنها، قال الزبير، فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال أبو دُجانة: رأيت إنساناً يحمش الناس خمشاً^(٤)، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولؤل، فإذا امرأة. وأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

قالوا: وكان أول من أنشب الحرب يوم أخذ أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة بن زيد، وكان قد خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله ﷺ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا نعلم الله بك عينا يا فاسق - وكان في الجاهلية يُسمى الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، كما قدمنا من خبره - قال: فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ. ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم^(٥) بالحجارة فراضخوه، حتى ولى هو وأصحابه هاربين.

قال: وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواء يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلصوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نُسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نضع! وذلك أراد أبو سفيان.

قال: ولما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب، وهي رواية اللسان وإحدى روايتي ابن هشام. وفي الأصول: «الكيول»: جمع كبل: وهو القيد الضخم. وقد ذكر هذين البيتين صاحب لسان العرب.

(٢) ذُفَّ: أجهز.

(٣) الدركة: الترس المصنوع من الجلد.

(٤) يحمش الناس: يسوقهم بغضب، أي يحرضهم على القتال ويغضبهم.

(٥) راضخهم: راماهم.

اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرّضنهم، فقالت هند فيما تقول: [من مجزوء الرجز]

وَنَهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَا حُمَاةَ الْأَذْبَارِ
* ضَرْبًا بِكُلِّ بَنَارٍ ^(١) *

وقالت أيضاً:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ ^(٢) نَمْشِي عَلَى الثَّمَارِ ^(٣)
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ أَوْ تُذِبرُوا نُفَارِقُ
* فَرَاقٌ غَيْرَ وَامِقٍ ^(٤) *

قال: وكان شعار المسلمين يوم أحد. أَمِت، أَمِت. ودنا القوم بعضهم من بعض، والزّامة يرشّقون خيل المشركين بالتّبل، فتؤلّي هوارب، فبرز طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين، وقال: مَنْ يُبَارِز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فالتقيا بين الصّقيين، فبدره عليّ بضربة على رأسه حتى فلق هامته، فوقع وهو كَبَش الكتيبة، فسُر رسول الله ﷺ بذلك وكَبُر، وكَبُر المسلمون، وشدّوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نَغَضَتْ ^(٥) صفوفهم، ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة، وجعل يرتجز وهو أمام النّسوة:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّغْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا ^(٦)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتَزَرِه، وبدا سَحْرُه ^(٧)، ثم رجع حمزة وهو يقول: أنا ابن ساقِي

(١) البتار: القاطع.

(٢) «قولها: بنات طارق. تريد النجم؛ أي نحن، شريفات رفيفات كالنجم، وقيل: الشعر لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية، قالت في حرب الفرس لإياد، فتمثلت به هند هذه». وقال لسان العرب: «... إن هنداً بنت عتبة هي هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي. وذكر الأبيات برواية أخرى، وهي تخالف رواية المؤلف وروايته الطبري وابن إسحاق. راجع لسان العرب مادة (طرق)».

(٣) النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرجل.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) النغض: التحريك والاضطراب.

(٦) الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة.

(٧) السحر: الرثة.

الحجيج. فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته، فأدلع^(١) لسانه ادلاع الكلب، فقتله، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فقتله، ثم حمله كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله الزبير بن العوام. ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله. ثم حمله أزطاة بن شُرْحِبِيل، فقتله علي بن أبي طالب. ثم حمله شُرَيْح بن قاسط^(٢)، فقتل، ثم حمله صُواب غلامهم، وهو حبشي، فقاتل يومئذ حتى قُطِعَت يده، فاعتنق اللواء حتى قُتِل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعذرت، واختلف في قاتله، ف قيل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقيل: علي بن أبي طالب، وقيل: قتله قُزَمان على الأصح.

قال: فلما قُتِل أصحاب اللواء صار مُلقًى، حتى أخذته عُمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش، فلائوا^(٣) به. ثم انكشف المشركون وانهزموا لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم^(٤) عن العسكر، ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدمٍ هنديٍّ وصواحيها مشمرتٍ هوارب، ما دون أخذهنَّ قليلٌ ولا كثير.

قال ابن سعد: وتكلم الرماة الذين على الجبل واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير^(٥) في نفر يسير دون العشرة، وقال: لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله ﷺ، فقالوا: لم يُرد رسول الله هذا، قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم، وتركوا الجبل. فنظر خالد بن الوليد إلى خلو الجبل وقلة أهله، فكر بالخيـل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على المسلمين، واستدارت رَحاهم، وحالت الريح فصارت دَبُورا، وكان قبل ذلك صَباً^(٦)، ونادى إبليس - لعنه الله -: إن محمداً قد قُتِل. واختلط

(١) ادلع: أخرج.

(٢) كذا في الأصول. وفي سيرة ابن هشام: «القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار».

(٣) لائوا به: اجتمعوا حوله.

(٤) أجهضوهم: أزالوهم.

(٥) عبد الله بن جبير: عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري (.... - ٣هـ = ٦٢٥ م) صحابي، شهد العقبة ويدراً، وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤: ٧٦).

(٦) الدبور والصبا: الصبا: ريح تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وهي تقابل الدبور: (اللسان: صبا).

المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شِعار، ويضرب بعضهم بعضاً، ما يشعرون به من العجلة والدَّهَش، وقُتل مُصعب بن عُمير، فأخذ اللواء ملك في صورة مُصعب، وحضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل، ونادى المشركون بشعارهم: يا لِلْعُزَّى يا لِهَبْل^(١). فقُتل من أكرمه الله بالشهادة من المسلمين حتى خلَّص العدو إلى رسول الله ﷺ، وثبت ﷺ معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وسبعة من الأنصار، ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سيَّتها^(٢)، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، ثم ذب بالحجارة، وكسرت يومئذٍ رباعيته^(٣) ﷺ، وكلمت شفته، وشجَّ في وجهه، وجرح في وجنته، وكسرت البيضة على رأسه، فسال الدم على وجهه، فجعل يمسحه ويقول: كيف يُفلح قوم خَضَبوا وجه نبيِّهم، وهو يدْعُوهم إلى ربِّهم؟ فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزُّهري شجَّه في جبهته، وأن ابن قميَّة جرح وجنته، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حُفرة من الحُفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده، ورفع طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائماً، ومَصَّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري، الدَّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدردَه، فقال ﷺ: «من مَسَّ دمه دمي لم تَمسه النار».

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو: لما غَشِيَ القومُ رسولَ الله ﷺ قال: من رجل يشتري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السَّكَن في خمسة من الأنصار، وبعضهم يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن. فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. ثم قامت فئة المسلمين فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني، فأذنوه منه، فوسَّده قدَّمه، فمات وخدَّه على قدم رسول الله ﷺ.

قال: وقاتلت أمُّ عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذٍ، فحدَّثت وقد سنَّلت عن خبرها، فقالت: خرجت أوَّل النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعِي سقاء فيه ماء، فانتَهيت

(١) العزى وهبل: صنمان لقريش.

(٢) السية: طرف القوس.

(٣) الرباعية: السن التي بين الثنية والثالث.

إلى رسول الله ﷺ، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزّت إلى رسول الله ﷺ فقلت: أبأشر القتال وأذب^(١) عنه بالسيف، حتى خلّصت الجراحة إليّ، وكان على عاتقها جرح أجوف له غور^(٢)، فقبل لها: من أصابك بهذا؟ فقالت: ابن قمّة، أقمأه^(٣) الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضرّني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات^(٤)، ولكنّ عدوّ الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترّس^(٥) دون رسول الله ﷺ أبو دُجّانة بنفسه، يقع الثبل في ظهره وهو منحّن عليه، حتى كثر فيه الثبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولني الثبل ويقول: إرم فذاك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له من نصل، فيقول: ارم به، قال: وأصيّبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسنَ عينيه وأحدّهما. قال: وانتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ؛ قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل. قال أنس بن مالك: لقد وجدنا به سبعين ضربة، وأصيّب عبد الرحمن بن عوف في فمه فهتّم^(٦)، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، فأصابه بعضها في رجله فعرج.

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ، كعب بن مالك، قال كعب: عرفت عينه تزهران^(٧) تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ؛ فأشار إليّ: أن أنصت، قال: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر، وعمر، وعليّ، وطلحة بن عبيد الله^(٨)، والزبير بن العوام،

(١) أذب: أذفع. (٢) غور: عمق وفجوة.

(٣) أقمأه: أذله.

(٤) في الأصول: «ولقد عني ذلك ضربته ضربات». وفيها تقديم وتأخير وصوابه عن الطبقات.

(٥) ترس: جعل نفسه ترساً. (٦) هُتِم: سقطت ثنياه.

(٧) تزهران: تضيئان، المغفر: الخوذة.

(٨) طلحة: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير. مات يوم

والحارث بن الصُّمَّة، ورهطٌ من المسلمين، فلما أسند^(١) رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجال منا؟ قال رسول الله ﷺ: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحزبة من الحارث بن الصمة، قال: فلما أخذها انتفض منا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(٢) عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة في عنقه، تَدَادَا^(٣) منها عن فرسه مراراً؛ وكان أبي بن خلف قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ فيقول: إنَّ عندي العود - فرساً - أعلفه كل يوم فَرْقًا^(٤) من دُرَّة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه، خدشاً غير كبير، فاحتقن الدَّم فيه، فقال: قتلني والله محمد؛ قالوا: ذهب والله فؤادك! والله إن بك بأس؛ قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك والله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله سَرَف^(٥) وهم قافلون إلى مكة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت^(٦): [من الوافر]

لقد وَرِثَ الضَّلَالَةَ عن أبيه أبِي يوم بارزه الرسولُ
أتيتُ إليه تحمِلَ رِمَ عَظْم وتوَعَّدُه وأنت به جهول^(٧)
وقد قتلت بنو النِّجَارِ منكم أميةً إذ يُعَوِّثُ: يا عَقِيل^(٨)
وتَبَّ ابنا ربيعة إذا أطاعا أبا جهل، لأتھما الهبول^(٩)
وأقلت حارث لما شغلنا بأسر القوم، أسرته قَلِيل
وقال حسان أيضاً فيه: [من الوافر]

ألا مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي أبياً فقد أُلقيت في سَحْق السَّعِير^(١٠)

(١) أسند: صعد.

(٢) الشعراء: ذباب له لدغ.

(٣) تدادا: تدحرج.

(٤) الفرق: مكيا بالمدنية يسع ستة عشر رطلاً.

(٥) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل سبعة، وقيل غير ذلك؛ تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث.

(٦) حسان بن ثابت: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي (٥٤ - ٦٧٤ م) شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. (الأعلام: ٢: ١٧٥).

(٧) الرم: البالي.

(٨) يغوث: يقول: واغوثاه.

(٩) تبَّ: هلك، والهبول: الفقد.

(١٠) السحق: البعد والعمق.

تمنّي بالضلالة من بعيد وتقسم أن قدزت مع النذور
تمنّيك الأماني من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقيت طغنة ذي حفاظ كريم البيت ليس بذی فجور^(١)
له فضل على الأحياء طراً إذا نابت ملّات الأمور^(٢)

قال: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فَم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته^(٣) من الماء، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه وغسل عن وجهه الدم.

قال: وبينما رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك التفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد^(٤)، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلنوا! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل. ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدّن^(٥) وظاهر بين درعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها.

قال ابن هشام: وصلى رسول الله ﷺ الظهر يوم أخذ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

قال ابن إسحاق: ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت^(٦) فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه، فقبل: الله أعلى وأجل، لا سواء^(٧)، قتلانا في الجنة،

(١) الحفاظ: الذب عن المحارم. (٢) نابت ملّات الأمور: حلت الدواهي والمصائب.

(٣) الدرقة: الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب.

(٤) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (.... - ٢١ هـ = ٦٤٢ م) سيف الله، الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشرف قريش في الجاهلية. أسلم قبل فتح مكة. سنة ٧ هـ. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام. مات بعمص، وقيل: بالمدينة. انظر (الأعلام: ٢: ٣٠٠).

(٥) بدّن: ضعف. ظاهر: طابق.

(٦) أنعمت فعال: كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين، فكتب على أحدهما «نعم» وعلى الآخر «لا» ثم يتقدم إلى الصنم ويخمس سهمه، فإن خرج سهم «نعم» أقدم، وإن خرج سهم «لا»، امتنع، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى «هبل» فخرج له سهم الأنعام، فذلك قوله لعمر رضي الله عنه: أنعمت فعال، أي أجابت بنعم، فتجاف عنها، ولا تذكرها بسوء، يعني ألتهتهم. هذا ما ذكره صاحب اللسان. انظر المواهب اللدنية: ٢: ٥٧.

(٧) لا سواء: لا تكافئ بيننا.

وقتلاكم في النار؛ فقال له أبو سفيان: هَلُمَّ إِلَيَّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: إيتِه فانظر ما شأنه؛ فأثاه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِيْثَة وأبَرّ - لقول ابن قَمِيْثَة لهم: إني قتلْتُ محمداً - قال: واسم ابن قَمِيْثَة عبد الله.

وروى البخاري عن البراء قال: وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمداً؟ فقال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة^(١)؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عُمر - رضوان الله عليه - نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله لك ما يُخزيك. قال أبو سفيان: اغْلُ هُبْل^(٢)، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، فقالوا: ما نقول: قال: قولوا: الله أعلى وأجل؛ قال أبو سفيان: لنا العزى^(٣) ولا عَزَى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم؛ قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله^(٤) لم أمر بها ولم تُسْؤني.

قال ابن سعد: ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل له: نعم هو بيننا وبينك موعد. ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جَنَّبُوا^(٥) الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها، ثم لأناجزنَّهم^(٦). قال علي: فخرجت في آثارهم فرأيتهم قد جَنَّبُوا الخيل وامتطوا الإبل، وتوجهوا إلى مكة.

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وما فعلته هند بنت عتبة، وما قالته من الشعر، وما أجيب به

كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، قد قُتل من ذكرنا من المشركين آفأً،

(١) يعني أبا بكر.

(٢) هُبْل: اسم صنم كان في الكعبة.

(٣) العزى: اسم صنم كان لقريش.

(٤) يقال: «مثلت» بالقتيل، إذا جدعت أنفه وأذنه أو شيئاً من أطرافه.

(٥) جنّبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

(٦) أناجزنَّهم: المناجزة في القتال: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما.

ومر به سباع بن عبد العزى العُشَاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا بن مقطعة البُصور^(١) - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمر بن وهب الثقفي، وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله. فقال وحشي غلام جبير بن مطعم^(٢): والله إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهدأ أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سباع، فلما رآه حمزة قال له ما قال، فضربه حمزة فقتله، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنته^(٣)، حتى خرجت من بين رجله، وذهب لِينوء^(٤) نحوي فتركته فغُلب وإياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، فلم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق.

قال ابن إسحاق: ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يَجْدَعْنَ^(٥) الأذان والأنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم قلائد وخدماء^(٦)، وأعطت قلائدها وخدمها وقُرطها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تسطع أن تُسيفها، فلَقَطَتْها، ثم علّت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها، ثم قالت: [من الرجز]

نحن جزي ناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذاتُ سُعر^(٧)
ما كان عن عُتبة لي من صبرٍ ولا أخي وعمّه وبكري
شفيتُ نفسي وقُضيتُ ونثري^(٨) شفيتُ وخشي غليل صدري
فشكّر وخشي عليّ عمري حتى ترم أعظمي في قبري^(٩)
فأجابتها هند بنت أئانة بن عباد بن المُطلب فقالت: [من الرجز]

(١) البصور: لغة في البظر.

(٢) جبير بن مطعم: جبير بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي، (.... - ٥٩ هـ = ٦٧٩ م) صحابي كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعده الجاحظ من كبار النسابين. له ستون حديثاً. (الأعلام: ٢: ١١٢).

(٣) الثنة: أسفل البطن.

(٤) لينوء: ينهض بجهد ومشقة.

(٥) يجدعن: يقطعن.

(٦) الخدم: الخلاخيل.

(٧) سعر: تأجج واشتعال.

(٨) الوتر: الثأر.

(٩) ترم: تبلى.

خَزِيتَ فِي بَدْرِ وَبَعْدَ بَدْرِ يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ^(١)
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالَ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قِطْعٍ خُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيَّ صَفْرِي^(٢)
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَذْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّخْرِ^(٣)
* وَنَذَرَكَ السُّوءَ فَشَرُّ نَذَرٍ *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجيب بمثله، وتركنا ذلك اختصاراً.

قال ابن إسحاق: ومَرَّ الْحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيثِ بِأَبِي سَفْيَانَ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شَذْقِ حَمْزَةِ بَرْجِ الرَّمْحِ، وَيَقُولُ: دُقْ عَقَقٌ^(٤). فَقَالَ الْحُلَيْسُ: يَا بَنِي كِنَانَةَ، هَذَا سَيِّدُ قَرِيشٍ يَصْنَعُ بَابَنَ عَمِّهِ مَا تَرُونَ لِحْمًا^(٥)؟ قَالَ: وَيَحَكْ! اكْتُمُهَا عَنِّي، فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً. قَالَ: وَلَمَّا فَرَّغَ النَّاسُ لِقِتْلَاهُمْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْتَمِسُ حَمْزَةً، فَوَجَدَهُ بَيْطُنَ الْوَادِي قَدْ بَقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَجَدَعَ أَنْفَهُ وَأَذْنَاهُ. فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ: لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ وَيَكُونُ سَنَةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُكَ حَتَّى تَكُونَ فِي بَطُونِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَتُنَّ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لِأَمْثَلِنَ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغِيظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَتُنَّ أَظْفَرْنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَتُمْثَلْنَ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثَّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝١٣١ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي صَبِّهِمْ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٣٢ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝١٣٣﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨] قَالَ: فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبِرَ. وَنَهَى عَنِ الْمِثْلِ^(٦).

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيظُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا! ثُمَّ قَالَ: جَاءَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَ

(١) الوقاع: الذي يغتاب الناس.

(٢) يفري: يقطع.

(٣) شيب: تريد.. شيبة: ضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.

(٤) عَقَق: أي يا عاق.

(٥) لحماً: أي ميتاً.

(٦) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله ﷺ بالعربيين، قلنا: في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً. وثانيهما، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي^(١) ببُزْد، ثم صلى عليه وكَبَّرَ سَبْعَ تكبيرات، ثم أُتِيَ بالقتلى يُوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٢). قال: وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: إلقها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أمّاه: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله عزّ وجلّ، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصَلَّتْ عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن. قال: واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: ادفنوهم حيث صُرِعُوا.

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق: استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، كان منهم من المهاجرين من بني هاشم: حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وقد تقدم خبر مقتله، ومن بني أمية: عبد الله بن جحش، حليف لهم من بني أسد بن خُزَيْمة^(٣) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق. ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مصعب بن عُمَيْر، وقتله عبد الله بن قُمئة الليثي، ومن بني مخزوم بن يَظْظَةَ: شَمَّاس بن عثمان قتله أبي بن خلف.

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة.

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: وعبد الله، وعبد الرحمن، ابنا الهُيَيب، من بني سعد بن ليث، ووهب بن قابوس المَزَنِي، وابن أخيه الحارث بن عُقبة بن قابوس، وزاد الثعلبي سعداً مولى عتبة، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد، بل عدّ المهاجرين خمسة.

(١) سُجِّي: غطي.

(٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما: ضعف إسناد هذا الحديث. وثانيهما: أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية. راجع: الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

(٣) في الأصول: «خزيم» تحريف.

واستشهد من الأنصار، من بني عبد الأشهل اثنا عشر رجلاً، وهم عمرو بن مُعَاذ بن النُّعْمَان أخو سعد، والحارث بن أنس بن رافع^(١)، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن، وسَلَمَة بن ثابت بن وَقْش، وأخوه عمرو بن ثابت، وأبوهما ثابت، ورفاعة بن وَقْش، واليَمَان أبو حُذَيْفَة بن اليمان، واسمه حُسَيْل بن جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه^(٢)، فتصدَّق ابنه حُذَيْفَة بِدِيَتِهِ على المسلمين، وصيْفِي بن قِيْظِي وَحُبَاب بن قِيْظِي، وَعَبَاد بن سَهْل، والحارث بن أوس بن مُعَاذ.

ومن أهل راتِج^(٣) ثلاثة نفر، وهم: إِيَّاس بن أوس بن عَتِيك، وعُبَيْد بن التَّيْهَان، ويقال: عَتِيك بن التَّيْهَان، وحبيب بن زيد بن تَيْم. ومن بني ظَفَر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع، ومن بني عمرو بن عوف، رجُلَان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيْفِي بن النعمان، وهو غَسِيل الملائكة، وكان قد أَلْتَقَى هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شَدَاد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله ﷺ: إِنْ صَاحِبِكُمْ لَتَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جُنِب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غَسَلْتَهُ الْمَلَائِكَةُ. وقال شَدَاد بن الأسود حين قتل حنظلة: [من الرجز].

لأَحْمِيْن صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْغَنَة مِثْل شُعَاعِ الشَّمْسِ
ومن بني عبيد بن زيد^(٤): أَنَيْس بن قَتَادَة. ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف رجُلَان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جُبَيْر بن النُّعْمَان، وهو أمير الرَّمَاة. ومن بني السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك: حَيْثَمَة أبو سعد بن خَيْثَمَة. ومن حلفائهم من بني الْعَجْلَان: عبد الله بن سَلَمَة. ومن بني معاوية بن مالك رجُلَان، وهما سُبَيْع بن حاطب بن الحارث، ويقال: سُوَيْبِق^(٥) بن الحارث. ومالك بن ثَمِيلَة، حليف لهم من مُزَيْنَة. ومن بني النُّجَار ثم من بني سواد بن مالك خمسة نفر، وهم: عمرو بن قيس بن زيد بن سواد، وابنه قيس بن عمرو، وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مَخْلَد، ومالك بن إِيَّاس. ومن بني مَبْذُول رجُلَان، وهما: أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن علقمة، وعمرو بن مُطَرَف بن علقمة. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار رجُلَان،

(١) في الأصل: «الربيع».

(٢) يديه: يدفع دية.

(٣) راتج: أطم من أطام المدينة (أي حصن).

(٤) في الأصول: «عبد زيد».

(٥) في الأصل: «سويق» وهو تحريف.

وهما: أوس بن ثابت بن المنذر، وهو أخو حسان وإياس بن عديّ. ومن بني عديّ بن النجار رجل واحد، وهو: أنس بن النضر بن ضَمْصَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر بن عديّ بن النجار، وقد تقدّم خبره. ومن بني مازن بن النجار رجلا، وهما: قَيْس بن مُخَلَّد، وكَيْسان عبد لهم. ومن بني دينار بن النجار رجلا، وهما: سُلَيْم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. ومن بني الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير - حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: مَنْ رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمَقٌ^(١)، قال الأنصاريّ: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما جرى نبيّاً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تُطْرِفُ^(٢). قال الأنصاريّ: ثم لم أبرح حتى مات، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته خبره، وأوس بن الأرقم بن زيد. ومن بني الأبرج، وهم بنو خُذْرَة، ثلاثة نفر، وهم: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد [بن]^(٣) الأبرج، وهو أبو أبي سعيد الخُدْريّ، وسعيد بن سُوَيْد بن قَيْس بن عامر بن عباد بن الأبرج، وعُتْبَة بن ربيع بن رافع بن معاوية. ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلا، وهما: ثُعْلَبَة بن سعد بن مالك بن خالد، وثقيف بن فروة بن البديّ. ومن بني طَرِيف، رَهْط سعد بن عبادة رجلا، وهما: عبد الله بن عمرو بن وهب، وضَمْرة حليف لهم من جُهيّنة. ومن بني عوف بن الخزرج خمسة نفر، وهم: نوفل بن عبد الله، وعبّاس بن عبادة بن نُضْلة، ونعمان بن مالك بن ثعلبة، والمُجَذَّر بن زياد، حليف لهم من بَلِيّ، وعبادة بن الحَسْحاس. ومن بني الحُبلى: رفاعة بن عمرو. ومن بني سَلْمَة ثم من بني حرام أربعة نفر، وهم: عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجُمُوح بن زيد بن حرام، وخلّاد بن عمرو بن الجموح، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح. ومن بني سَواد بن غَنَم ثلاثة نفر، وهم: سُلَيْم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل^(٤) بن قَيْس بن أبي كعب بن القين.

(١) الرَّمَقُ: بقية الروح.

(٢) تطرف: تطبق أحد جفنيها على الآخر.

(٣) الزيادة من ابن هشام، وفي أسد الغابة والاستيعاب: «عبيد بن الأبرج».

(٤) في الأصول: «سهيل».

ومن بني زُرَيْق بن عامر رجلان، وهما: ذُكْوَان^(١) بن عبد قَيْس، وعُبَيْد بن المعلّى بن لُؤْذَانَ. ومن بني خُطْمَة من الأوس: الحارث بن عَدِيّ بن خَرْشَة بن أمية، ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إِيَّاس.

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا: مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قَصِيٍّ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا - وَهُمْ أَصْحَابُ اللَّوَاءِ - طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَيُقَالُ: عَلِيٌّ. وَعِثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمَسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بِسَهْمٍ، وَالْجَلَّاسُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَاصِمٌ أَيْضًا كَمَا تَقَدَّمَ، وَكِلَابُ بْنُ طَلْحَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُمَا قُرْمَانُ حَلِيفُ لَبْنِي ظَفَرٍ، وَأَرْطَاةُ بْنُ عَبْدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ عَبْدِ الدَّارِ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ، وَيُقَالُ: قَتَلَهُ عَلِيٌّ، وَأَبُو زَيْدٍ^(٢) بْنُ عَمِيرٍ بْنُ هَاشِمٍ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ، وَصَوَّابُ غَلَامٍ لَهُمْ حَبَشِيٌّ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ، وَالْقَاسِطُ بْنُ شُرَيْحٍ بْنُ هَاشِمٍ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ. وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَصِيٍّ: عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ: قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ رَجُلَانِ، وَهُمَا: أَبُو الْحَكَمِ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ لَهُمْ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى - وَاسِمُ عَبْدِ الْعُزَّى عَمْرُو بْنُ نُضْلَةَ بْنِ عُيْشَانَ - حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ خَزَاعَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ، وَهُمْ: هِشَامُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ أَيْضًا، وَأَبُو أُمِيَّةَ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ حَلِيفُ لَهُمْ، قَتَلَهُ قَرْمَانَ. وَمِنْ بَنِي جُمَحَ رَجُلَانِ، وَهُمَا: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ بْنُ وَهَبِ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبْرًا - وَكَانَ قَدْ أَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمِنْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَطْلَقَهُ كَمَا ذَكَرْنَا، فَقَالَ: لَا أَكْثَرُ عَلَيْكَ جَمْعًا؛ فَلَمْ يَفِ، وَخَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَأَسْرَ، وَلَمْ يُؤْسَرْ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ، فَقَالَ: مُنَّ عَلَيَّ يَا مُحَمَّدُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جَحْرِ مَرْتَيْنِ، لَا تَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ تَمْسَحُ عَارِضِيكَ، تَقُولُ: سَحَرْتُ^(٣) مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ابْنَ الْأَقْلَحِ فَضْرَبَ عُنُقَهُ - وَأَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، قَتَلَهُ

(١) في الأصول: «عامر بن ذكوان».

(٢) كذا في الأصول. وفي ابن هشام: «أبو يزيد».

(٣) في الطبقات: «سحرت بمحمد».

رسول الله ﷺ بيده كما تقدم، ومن بني عامر بن لؤي رجلان، وهما: عبيدة^(١) بن جابر وشيبة بن مالك بن المضرَب، قتلها قُزَمان، ويقال: قتل^(٢) عبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

قال محمد بن سعد في طبقاته: ثم انصرف رسول الله ﷺ يومئذٍ من أحد، فصلى المغرب بالمدينة، وشَمِيت عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون بما نيل من رسول الله ﷺ في نفسه وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لن ينالوا مثلاً مثل هذا اليوم حتى نستلم الرُّكن. قال: وبكت الأنصار على قتلاهم، فسمع رسول الله ﷺ البكاء فبكى، وقال: لكن حمزة لا بواكي له، فلما رجع سعد بن مُعَاذ وأسيد بن حُصَير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتَحَزَّمن، ثم يذهبن فيبكين على عمِّ رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهنَّ على حمزة خرج عليهنَّ وهنَّ على باب مسجده يبكين، فقال: ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتنَّ بأنفسكن ونهى رسول الله ﷺ يومئذٍ عن النوح.

وروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخواها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه ﷺ؛ حتى إذا رآته قالت: كل مُصيبة بعدك جَلٌّ؛ رضي الله عنها.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت فاطمة - رضي الله عنه - تغسلُ جُرحه؛ وعليّ يسكب الماء عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدَّم إلا كثرة، عمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها، وألصقت ذلك على الجُرح فاستمسك الدَّم، ولم يبت رسول الله ﷺ بالمدينة إلا تلك الليلة، ثم أصبح فخرج في طلب العدو إلى حمراء الأسد، على ما نذكره إن شاء الله.

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة أحد، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق، رحمه الله: وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران، أول ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَّوْتُمْ مِنْ أَهْلِكَ

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «عبيد».

(٢) في الأصول: «قتل عبيدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود» وما أثبت رواية ابن هشام.

تَبَوُّىَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري - رحمه الله - في تفسير المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن: إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله ﷺ ليلة السبت للنصف من شوال، وأنه ﷺ جعل يَصِفُ أصحابه للقتال كما يَقُومُ الْقُدْحُ، إذا رأى صدراً خارجاً قال: تأخر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] تفشلا، أي تَجَبُّنا وتَضَعُفا وتتخلفا عن رسول الله ﷺ، وهما بنو سلمة بن الخزرج، وبنو حارثة بن الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول^(١) لما انخزل بثلاث الناس كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَاَتَبَعْنَكُمْ﴾؛ هم بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا، ومضوا مع رسول الله ﷺ، فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته، فقال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكرهم الله مِنَّةً عليهم إذ نصرهم ببدر، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ قوله: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يَسْتَلْبِذُوا بِهَا بِهِنٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، «لَيَقْطَعَ طَرَفًا» أي يهلك طائفة «أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ» أي يهزمهم «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» أي لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال عبد الله بن مسعود: أراد رسول الله ﷺ أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان بن عفان منهم، فنهاه الله تعالى عن ذلك، وتاب عليهم، وأنزل هذه الآية. وقال عكرمة^(٣)،

(١) تبوى المؤمنين: تتخذ لهم مقاعد ومنازل.

(٢) في الأصل: «ابن سلام»، وهو خطأ، إذ أن الذي انخزل بثلاث الناس هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وأما عبد الله بن سلام فهو بريء من ذلك. راجع تاريخه في الاستيعاب: ١: ٣٩٥.

(٣) عكرمة: عكرمة بن عبد الله البربري، المدني، أبو عبد الله (٢٥ - ١٠٥ هـ = ٦٤٥ - ٧٢٣ م) مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي «الصفري» وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

وَقَتَادَةُ^(١)، وَمُقَسَّم: أَدْمَى رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَمْثَةَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ حَتْفَهُ أَنْ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسًا فَنَطَحَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، وَشَجَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَأْسَهُ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ ﷺ، فَدَعَا عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا يَحِلَّ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا قَالَ: فَمَا حَالُ الْحَوْلِ حَتَّى مَاتَ كَافِرًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ. وَقَالَ الرَّبِيعُ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدَ، وَقَدْ شَجَّ فِي وَجْهِهِ وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْعَنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَدْعُوَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، لَعَلَّهُمْ فِيهِمْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ.

قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ قيل: أمثال. وقيل: أُمَم. والسُّنَّةُ الأُمَّةُ،

قال الشاعر: [من الشاعر]

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِهِمْ وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

وقيل: أهل سُنَنٍ؛ وقيل: أهل شرائع؛ قال: معنى الآية: قد مضت وسَلَفَتْ مَتَى فَيَمُنَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبَةِ الْكَافِرَةِ سُنَنٌ بِإِمهَالِي واستدراجي إِيَّاهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابَ فِيهِمْ أَجْلِي الَّذِي أَجَلْتُ - لِإِدَالَةِ^(٢) أَنْبِيَائِي - وَأَهْلَكْتَهُمْ. ﴿فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] أَي مِنْهُمْ، فَأَنَا أَمَهُلُهُمْ وَأُسْتَدْرِجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلِي الَّذِي أَجَلْتُ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ وَأَوْلِيَائِهِ وَهَلَكَ أَعْدَائِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] قال: هذه الآية تعزية من الله تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ ولِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ يَوْمَ أَحَدَ، وَحُتٌّ مِنْهُ إِيَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، وَنَهْيٌ عَنِ الْعَجْزِ وَالْفَشْلِ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَلَا تَهِنُوا» أَي لَا تَضَعِفُوا وَلَا تَجْبِنُوا مِنْ جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ بِمَا نَالَكُمْ يَوْمَ أَحَدَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْقَرْحِ. «وَلَا تَحْزَنُوا» عَلَى ظُهُورِ أَعْدَائِكُمْ وَلَا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْمَصِيبَةِ «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أَي لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أَي جَرَحَ يَوْمَ أَحَدَ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ جَرَحَ مِثْلَهُ يَوْمَ بَدْرٍ. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] يَعْنِي إِنْ مَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَدَاوِلَةُ لِيَرَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا - يَعْنِي مِنْكُمْ - مِمَّنْ نَافَقَ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

(١) قتادة: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عَزِيز، أَبُو الْخَطَّابِ، السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ - ٧٣٦ م) مفسر، حافظ، ضَرِيرُ أُمِّهِ. (الأعلام: ٥: ١٨٨).

(٢) الإدالة: الغلبة والنصرة، أَي غلبة أَنْبِيَائِي وَنَصْرَتِهِمْ.

وقيل: المعنى: «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بأفعالهم موجودة كما عليمها منهم قبل أن كلّفهم، «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» يُكْرِمُ أَقْوَاماً بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا: أرنا يوماً كيوم بدرٍ نقاتل فيه المشركين ونلتمس الشهادة. فلفوا المشركين يوم أُحُد، فاتخذ الله منهم شهداء.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] يعني يطهر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» يفنيهم ويهلكهم وينقصهم. ثم عزّاهم الله تعالى فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وذلك أنه لما قُتل عبد الله بن قثم مصعب بن عمير، وصرخ صارخ - يقال: هو إبليس، لعنه الله - ألا إن محمداً قد قُتل. وانهزم الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم. وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوّل، فقال أنس بن النضر: يا قوم، إن كان قد قُتل محمد فإن رب محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه؛ ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المنافقين - ثم قاتل حتى قُتل. ثم إن رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانهدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبي الله، فدينك بآبائنا وأمّهاتنا أتاننا الخبر بأنك قُتلت فرُعيت قلوبنا فوليتنا مدبرين. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي رجعتكم إلى دينكم الأوّل الكفر ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ فيرتد عن دينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ بارتداده، وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] قيل: الرّبّيّون الألوّف والرّبة^(١) الواحدة عشرة آلاف. وقيل: الرّبّيّون العلماء والفقهاء. وقيل: الأتباع. وقيل:

(١) الرّبة: كذا في لسان العرب. وفي الأصل: «الرّبية». ولم نعر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى. وفي القرطبي: ٤ : ٢٤٠. عن أبيان بن ثعلب: «الرّبي عشرة آلاف» وعليه فريون جمع ربي.

الزبانيون الولاء، والربيون الرعية. وقيل: الربيون الذين يعبدون الرب تعالى. قال: ومعنى الآية، فما ضَعُفُوا عن الجهاد ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب، وما عجزوا بقتل نبيهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ قال قتادة والربيع: يعني ما أرتدوا عن بصيرتهم^(١) ودينهم، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى. قال السدي: وما ذُلُّوا. وقال عطاء: وما تضرعوا. وقال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، ولكنهم صبروا على ما أمر ربهم، وطاعة نبيهم، وجهاد عدوهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) قال: معنى الآية ﴿قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ يعني خطايانا ﴿وَتَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾ لثلا نزول ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَنَالَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال علي رضي الله عنه: يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: إرجعوا إلى إخوانكم، وأدخلوا في دينكم. ﴿يُرْذِلُكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي ترجعوا إلى أول أمركم الشرك ﴿فَتَسْقِلَبُوا خَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] أي فتصيروا مغبونين ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله تعالى: ﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ قال السدي: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا، وقالوا: بش ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، فأنزل الله تعالى: ﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ يعني الخوف ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَهُمُ﴾ أي حجة وبياناً وعذراً وبرهاناً، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم، فقال: ﴿الْكَافِرُ وَيَسَّ مَتَوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١] أي مقام الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَدَدْنَا لَكَ الْيَدَينِ﴾ قال محمد بن كعب القرظي^(٣): لما

(١) وفي تفسير الطبري عن قتادة والربيع: «نصرتهم».

(٢) محمد بن كعب: محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، مروي، في تحديد وفاته خلاف. انظر

طبقات القراءة: ٢: ٢٣٣.

رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ أي الذي وعد بالنصر والظفر، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَّغْ إِن تَصِيرُوا تَتَقُوا﴾ الآية. وقول رسول الله ﷺ للرماة: «لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم» وقوله [تعالى] (١): ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً شديداً، وذلك عند هزيمتهم كما تقدّم. قوله: ﴿حَقَّ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ «فشِلْتُمْ»: أي جبنتم وضعفت «وَتَنَزَّعْتُمْ» أي اختلفتم. وهو ما وقع بين الرماة، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدّم، فكانت الهزيمة بسبب ذلك، قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر والغنيمة، قوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا. قوله: ﴿ثُمَّ صَرَقْتُمْ عَنْهُمْ﴾ أي ردكم عنهم بالهزيمة «لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» أي فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين «وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ» ثم رجع إلى الخطاب، فقال: ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ﴾ قال يقال: أصعدت إذا مضيت جبال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، والإصعاد: السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال وغيرها. وقال المبرد: أصعد إذا أبعد في الذهاب. قال الشاعر: [من الطويل]

ألا أيهذا السائلي أين أصعدت (٢) فإن لها في أهل يثرب موعدا

وقال الفراء: الإصعاد الابتداء في كل سفر، والانحدار الرجوع منه. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ يعني لا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً وفراراً، قال الكلبي: ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾ يعني محمداً ﷺ. «وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ» يعني في آخركم ومن ورائكم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فأننا رسول الله، من يكرّ فله الجنة. «فَأَتْبَعَكُمْ» أي فجازاكم؛ جعل الإجابة بمعنى العقاب، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ معنى الآية: أي جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون «عَمَّا يَخِرُّ» قال الحسن: يعني بغم المشركين يوم بدر. وقال

(١) زيادة للإيضاح.

(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس. وفي ديوانه: «أين يمت».

غيره: غماً على غم. وقيل: غماً متصلاً بغم، فالغم الأول ما فاتهم من الغنيمة والظفر، والغم الثاني ما نالهم من القتل والهزيمة. وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني ما سمعوا أن محمداً ﷺ قد قتل، فأنساهم الغم الأول، وقيل: غير هذه الأقوال. والله أعلم. قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي من الفتح والغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة؛ هذا أنسأكم ذلك الغم، وهمكم ما أنتم فيه عما كان قد أصابكم قبل. وقال: المفضل: «لا» صلة، معناه: لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم إياه، وترككم المركز ﴿وَاللَّهُ حَيِيرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

قوله: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ ثُمًّا يَفْشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رُوي عن عبد الله بن الزبير^(١) عن أبيه، رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم، والله إني لأسمع قول مُعْتَب بن قُشير والثُّعاس يغشاني ما أسمعُه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. أمّهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام. وعن أنس^(٢) عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد ما أرى أحداً من القوم إلا وهو يَميد تحت حَجَفَتِهِ^(٣) من النعاس. قال أبو طلحة: وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه النعاس يومئذ، فكان السيف يسقط من يدي فأخذه، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه من النوم. ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني المنافقين معتب بن قُشير وأصحابه ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾

(١) عبد الله بن الزبير: (١ - ٥٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. بويح له بالخلافة سنة ٦٤ هـ. فجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة. انتهت بمقتل ابن الزبير بمكة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٢) أنس بن مالك: (١٠ - ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢ م) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم رسول الله ﷺ إلى أن قبض. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام: ٢: ٢٤).

(٣) الحَجَفَةُ: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.

أَنْفُسَهُمْ أَي حَمَلْتَهُمْ عَلَى الْهَمِّ ﴿يُظَنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أَي لَا يَنْصُرُ مُحَمَّدًا، وَقِيلَ: ظَنُّوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ قُتِلَ. ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾ أَي كَظَنَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالشَّرْكَ ﴿يَقُولُونَ﴾ هَلْ لَنَا؟ أَي مَا لَنَا، لَفْظَةُ اسْتِفْهَامٍ وَمَعْنَاهُ جَحْدٌ ﴿مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يَعْنِي التَّصَرُّفَ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ كَانَتْ لَنَا عَقُولٌ لَمْ نَخْرُجْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ أَي لَخَرَجَ ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أَي مِصَارِعِهِمْ ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ أَي لِيُخْتَبِرَ اللَّهُ ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ﴾ أَي يَخْرُجَ وَيُظْهَرَ ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَي بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ أَي انْهَزَمُوا مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾ جَمْعَ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعَ الْمُشْرِكِينَ ﴿إِنَّمَا أَسْأَلُكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ أَي حَمَلُهُمْ عَلَى الزَّلَلِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: زَيْنُ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أَي بِشَوْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: بَتَرَكِهِمُ الْمَرْكَزَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: بِمَا كَسَبُوا قَبُولَهُمْ مِنْ إِبْلِيسَ مَا وَسَّوسَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابَهُ ﴿وَقَالُوا لَاخِزْنِهِمْ﴾ فِي النِّفَاقِ، وَقِيلَ: فِي النَّسَبِ. ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سَارُوا وَسَافَرُوا فِيهَا لِلتَّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا فَمَاتُوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ غَزَاةً فَقَتَلُوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يَعْنِي قَوْلَهُمْ وَظَنُّهُمْ ﴿حَسْرَةً﴾ وَحُزْنًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وَالْحَسْرَةُ: الْاِغْتِمَامُ عَلَى فَائِتٍ كَانَ يُقَدَّرُ بِلَوْغِهِ.

قال الشاعر: [من الطويل]

فوا حسرتي لم أقض منك لبانتي ولم نتمتع بالجوار وبالقرب

ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله سبحانه، لا يتقدمان لسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أَي فِي الْعَاقِبَةِ ﴿وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧] أَي مِنَ الْغَنَائِمِ ﴿وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِأَنَّ اللَّهَ مُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] أَي فِي الْعَاقِبَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ أَي سَهَلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَكَثُرَتْ اِحْتِمَالُكَ فَلَمْ تَسْرِعْ إِلَيْهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ أَي جَافِيًّا سَيِّئًا الْخَلْقَ قَلِيلَ الْاِحْتِمَالِ. ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: فَظًّا فِي الْقَوْلِ، غَلِظَ الْقَلْبُ فِي

الفعل ﴿لَا تَقْصُوا مِنْ حَوَالِكُمْ﴾ أي لتفرقوا عنك، وأصل الفضّ الكسر، ومنه قولهم: لا يَفْضُضُ الله فاك. قال أهل الإشارة في هذه الآية: منه العطاء ومنه الثناء^(١) ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي عَمَّا أتوا يوم أحد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم، وهو مأخوذ من قول العرب: شُرّت الدابة وشَوْرْتُها إذا استخرجت جريها، وعلمت خبرها، قال: ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد، ويدل عليه قراءة ابن عباس «وشاورهم في بغض الأمر». قال الكلبي^(٢): يعني فأظهرهم في لقاء العدو، ومكايدة الحرب عند الغزوة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «وشاورهم في الأمر» قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يُشاوروا في الأمر شقّ عليهم، فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يشاورهم في الأمر، فإذا ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأصغانهم، وأطيب لأنفسهم، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم. قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا على مشاورتهم. وقرأ جعفر الصادق وجابر بن زيد: «فَإِذَا عَزَمْتُ» بضم التاء، أي عزمْتُ لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ أي يعنكم ويمنعكم من عدوكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مثل يوم بدر ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ أي يترككم ولا ينصركم. والخذلان القعود عن النصر، والإسلام^(٣) للهلكة والمكره، قال: وقرأ عبيد بن عمير «وَإِنْ يُخْذِلْكُمْ» بضم الياء وكسر الذال، أي يجعلكم مخذولين، ويحملكم على الخذلان والتخاذل، كما فعلتم بأحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ أي بأحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ ببدر؛ وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين رجلاً، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّ هَذَا﴾ أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله ﷺ فينا، والوحي ينزل عليه، وهم مشركون؟ وقد تقدّم في قصة أسارى بدر خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم، ويقتل منهم مثلهم في العام القابل، واختيارهم الفداء، وذلك قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بأخذكم الفداء واختياركم

(١) المعنى: أن الله تعالى هو الذي أعطى رسوله الرحمة، وهو الذي مدحه بها.

(٢) الكلبي: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي النسابة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ على

خلاف، انظر: وفيات الأعيان: ٣: ٢٥٨، والأعلام: ٨: ٨٧.

(٣) الإسلام: من أسلمه إذا ألغاه في الهلكة.

القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي بأحد من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة ﴿فِيَاذَنَ اللَّهُ﴾ أي بقضائه وقدره وعلمه ﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي ليميز، وقيل: ليرى. وقيل: لتعلموا أنتم أن الله قد علم نفاقهم، وأنتم لم تكونوا تعلمون ذلك. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا فَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل دين الله وطاعته ﴿أَوْ أَدْفَعُوا﴾ أي عن أهلكم وبلدكم وحريمكم، وقيل: أي كثروا سواد المسلمين ورابطوا إن لم تقاتلوا، ليكون ذلك دفعاً وقمعاً للعدو ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَيْنَكُمُ﴾ وهو قول عبد الله بن أبي وأصحابه الذين أنصرفوا معه، كما تقدم من خبرهم عند أتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع. قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر، فبين الله تعالى نفاقهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ قيل: في النسب لا في الدين، وهم شهداء أحد ﴿وَقَعَدُوا﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد، وقعدوا في بيوتهم ﴿مَا قُتِلُوا﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَادْرءُوا﴾ أي فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أن الحذر يغني عن القدر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ لَا يُخَفُّونَ﴾ ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر، ترد أنهار الجنة وتأكُل من ثمارها، وتسرح من الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مَقِيلِهِمْ^(١) ومطعمهم ومشربهم، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة، قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله عز وجل بنا، كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكثوا عنه. فقال عز وجل: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم. ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيات، إلى قوله ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال قتادة والربيع: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: يا ليتنا

(١) مَقِيلِهِمْ: إقامتهم.

نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن مسروق^(١) قال: سألنا عبد الله بن مسعود^(٢) عن هذه الآية فقال: جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطلع الله عز وجل إليهم اطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثانية، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثالثة، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نحب أن تعيدنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك، قال: لا؛ قالوا: فتقرىء نبينا منا السلام، وتخبره بأن قد رضينا، ورُضي عنا؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٣) قال: قُتل أبي يوم أحد، وترك علي بنات، فقال لي رسول الله ﷺ: ألا أبشرك يا جابر؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ قال: إن أبأك حيث أصيب بأحد أحياء الله تعالى وكلمه كفاحاً^(٤)؛ فقال: يا عبد الله سلني ما شئت؛ فقال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً؛ فقال: يا عبد الله، إني قضيت ألا أعيد إلى الدنيا خليفة قبضتها؛ قال: يا رب، فمن يبلغ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال: الله تعالى: أنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد روي أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معونة؛ وقيل: في شهداء بدر. والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد، والله أعلم.

(١) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة (.... - ٦٣ هـ = - ٦٨٣ م) تابعي، ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. (الأعلام: ٧: ٢١٥).

(٢) عبد الله بن مسعود: (.... - ٣٢ هـ = ٦٥٣ - ٦٥٣ م) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم. وهو من أهل مكة. وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادماً لرسول الله ﷺ الأمين وصاحب سره. قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري: (١٦ ق هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧ م) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. غزا تسع عشرة غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. (الأعلام: ٢: ١٠٤).

(٤) كفاحاً: مواجهة، ليس بينهما حجاب ولا رسول.

ذكر غزوة حمراء الأسد (١)

غزاها رسول الله ﷺ عند منصرفه من أحد، قال ابن سعد: لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره. وقال ابن إسحاق: كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال. وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم في غزوة أحد.

قال ابن سعد وغيره: لما انصرف رسول الله ﷺ من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابيه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأحد أمر بلالاً^(٢) أن ينادي أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن عبد الله: إن أبي خلفني يوم أحد على أخوات لي، فلم أشهد الحرب، فأذن لي أسير معك؛ فأذن له، فلم يخرج معه أحد ممن لم يشهد أحداً غيره. ودعا رسول الله ﷺ بلوائه، وهو معقود لم يحل، فدفعه إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ويقال: إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وخرج رسول الله ﷺ، وهو مجروح، وحشد^(٣) أهل العوالي حيث أتاهم الصريح، فركب رسول الله ﷺ فرسه وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد - وهي من المدينة على عشرة أميال - وهم يأترون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك، فبصرُوا بالرجلين، فقطعوا عليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليلة خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى عدوهم، وانصرف رسول الله ﷺ، إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليالٍ، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: إن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ

(١) كذا ضبط في الأصل، والقاموس، والطبري، وطبقات ابن سعد وفي معجم البلدان: «حمراء الأسد» بضم الهمزة، وسكون السين.

(٢) بلال الحبشي: (.... - ٢٠ هـ = ٦٤١ م) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن الرسول ﷺ وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين إلى الإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. توفي في دمشق. (الأعلام: ٢: ٧٣).

(٣) حشد أهل العوالي: أجابوا مسرعين.

لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي، وقال لي: أنفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ ما لنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكان إذا غلب حملته عُقبة^(١) ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال: وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح إلى قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ فِي يَوْمٍ ذُو فَضْلٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله ﷺ إلى قطن - وهو جبل بناحية قيد به ماء لبني أسد بن خزيمة - في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره.

وذلك أنه بلغه ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فبعث أبا سلمة وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبلأ وشاء^(٢)، ولم يلقوا كيداً، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.

ذكر سرية عبد الله بن أنيس^(٣) إلى سُفيان بن خالد الهذلي

بعثه رسول الله ﷺ، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة.

وذلك أنه بلغ النبي ﷺ، أن سُفيان بن خالد بن بُنيح الهذلي ثم اللحياني - هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته.

وقال ابن إسحاق: خالد بن سُفيان بن بُنيح قد جمعَ الجموعَ لرسول الله ﷺ، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه. وكانت غيبته ثمانين ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم. قاله ابن سعد.

(١) عُقبة: نوبة.

(٢) شاء: جمع شاة. الكيد: الحرب.

(٣) عبد الله بن أنيس: (... - ٥٤ هـ = ٦٧٤ م) عبد الله بن أنيس، أبو يحيى، من بني وبرة، من قضاة، ويعرف بالجهني. صحابي من أهل المدينة. صلى إلى القبلتين، وشهد العقبة، رحل إلى مصر، وإفريقية، وتوفي بالشام. (الأعلام: ٤: ٧٣).

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن ابن سفيان الهذلي جمع الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرنة^(١) فأتته فاقتله. فقلت: يا رسول الله أنعته لي حتى أعرفه؟ قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة. قال: فخرجت متوشحاً بسيفي، حتى دفعت إليه، وهو في طعن يرتاد لهن منزلاً، وذلك وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما قال رسول الله ﷺ، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك ويجمع لك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجل، أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ، قال: أفلح الوجه، قلت: قد قتلته؟ قال: صدقت. ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصاً، فقال: أمسك هذه العصا عندك. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: أفلأ ترجع إليه فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إليه فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون^(٢) يومئذ، قال: فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضمت في كفته، ثم دفننا جميعاً.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس في ذلك: [من الطويل]

تركت ابن ثور كالحوار وحولته نوائح تفري كل جنبٍ مُقَدِّد^(٣)
تناولته والظعن خلفي وخلقه بأبيض من ماء الحديد مُهَيِّد^(٤)
عجوم إهام الدارعين كآته شهاب غضى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّد^(٥)
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارساً غير قُعْدِد^(٦)

(١) عُرنة: قال في المواهب اللدنية: موضع بقرب عرفة أو قرية بوادي عرفة.

(٢) المتخضرون: المتوكلون على المخاصر، وهي العصي، واحدها مخصرة.

(٣) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.

(٤) أبيض: سيف. مهند: مطبوع من حديد الهند.

(٥) عجوم: عضوض. إهام: الرؤوس. الشهاب: القطعة من النار. الغضى: شجر خشبه من أجود

الوقود.

(٦) القعدد: الجبان اللئيم، القاعد عن المكارم.

أنا ابنُ الذي لم يُنزل الدهر قدره رجيبُ فناء الدار غير مُزئدٍ (١)
 فقلت له خُذها بضربة ماجدٍ حنيف على دين النبي محمد (٢)
 وكنتُ إذا هم النبي بكافرٍ سبقتُ إليه باللسان وباليَد (٣)

ذكر سرية المنذر بن عمرو الساعدي (٤) إلى بئر معونة

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجره.

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براء ملاعب الأسنة (٥) الكلبي وفد على رسول الله ﷺ، فأهدى (٦) له فلم يقبل منه، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم، ولم يبعُد، وقال: لو بعثت معي نفرأ من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك. قال: أخاف عليهم أهل نجد؛ قال: أنا لهم جار. فبعث معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الأنصار شبيبة (٧) يسمون القراء (٨)، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم. كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب - فلما نزلوها سرحوا ظهرهم، وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ، إلى عامر بن الطفيل (٩)، فوثب على حرام فقتله؛ واستصرخ

(١) المزند: الضيق، البخل.

(٢) الحنيف: الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.

(٣) هم بكافر: قرر معاقبته.

(٤) المنذر بن عمرو: (... هـ - ٤ هـ = ... - ٦٢٥ م) المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، أحد نقباء النبي ﷺ الاثني عشر، شهد العقبة وبدراً، واستشهد يوم «بئر معونة». (الأعلام: ٧: ٢٩٤).

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وسمي ملاعب الأسنة لأن أخاه طفيلاً الذي كان يقال له: فارس قرزل، أسلمه وفرّ في يوم سوبان، وهو يوم كان بين قيس وتميم، فقال شاعر: فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيج المزعزع فسمي ملاعب الرماح، وملاعب الأسنة.

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي ﷺ فرسين وراحتين فقال ﷺ لا أقبل هدية مشرك.

(٧) شبيبة: شبان.

(٨) سما القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم، وفي شرح المواهب: أنهم كانوا يصلون بعض الليل، ويدرسون بعضه، ويحفظون، ويبيعون بعضه يشترون به طعاماً لأهل الصفة والفقراء. وبعضه يأتون به الحجر الشريفة.

(٩) عامر بن الطفيل: (٧٠ ق هـ - ١١ هـ = ٥٥٤ - ٦٣٢ م) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري. فارس قومه، وأحد فتاك العرب، وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد. أدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد =

عليهم بني عامر فأبوا، وقالوا: لا نُخَفِّرُ^(١) جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم، عُصَيَّةُ ورِعْلًا وَذَكْوَان، فنفروا معه. واستبطن المسلمون حراماً، فأقبلوا في أثره، فلقى القوم فأحاطوا بهم، وكاثروهم^(٢) فاقتتلوا، فقتل أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم سليم بن ملحان والحكم بن كيسان.

قال ابن إسحاق: فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه، وبه رمق بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق. قال: وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار - قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح - فلم ينبتهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذا الطير لشأناً؛ فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دماثهم، والخيال التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر؛ قال الأنصاري: ما كانت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذ عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(٣) من صدر قناة^(٤) أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه، وكان معهما عَقْد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو، فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد: وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ، فأخبره بقتل أصحاب بثر معونة، فقال ﷺ: «أبئت من بينهم!» ثم أخبره بقتل العامريين، فقال: «بئس ما صنعت، قد كان لهما مني أمان وجوار، لأديئهما!» وبعث بديئتهما إلى قومهما، وقت رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الصبح يدعو على رِعْلٍ وَذَكْوَانٍ وَعُصَيَّةٍ وبني ليحيان.

= الغدر به، فلم يجزؤ. كان أعور، أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر. انظر (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

(١) لا نخفر: لا نقض.

(٢) كاثروهم: كانوا أكثر منهم.

(٣) هي قرقرة القدر، قال الواقدي: موضع بناحية المعدن، قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد. وقال غيره: ماء لبني سليم (راجع معجم البلدان في كدر).

(٤) قناة: وإد يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر.

وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قرأنا بهم قرآنًا زماناً، ثم إن ذلك رفع أو نسي: «بلنّوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنها وأرضاها»، وقال أنس ابن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجَد^(١) على أحد ما وَجَدَ على أصحاب بئر معونة.

قال ابن سعد: وجاء رسول الله ﷺ، في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصابٌ حُيِّب بن عديٍّ ومن معه، فدعا رسول الله ﷺ على قتلهم بعد الركعة من الصبح، فقال: «اللهم اشدّد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك ببني لحيان وعَصَل والقارة وزَغَب ورِعْل وذُكُوان وعُصَيّة، فإنهم عصوا الله ورسوله».

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس سنة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ.

وذلك أنه قدم على رسول الله ﷺ، رَهْط من عَصَل والقارة، وهم إلى الهون بن خُزَيْمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام. فبعث ﷺ معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وحُيِّب بن عديٍّ؛ وزيد بن الدثنة، وخالد بن البكير الليثي، وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله^(٢) لأمه. وأمر عليهم عاصماً، وقيل: مرثداً، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يَرُع القوم، وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشَوْهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا، فقالوا: إنا ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، ومعتب بن عبيد؛ فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. وقاتلوا حتى قُتلوا، رضي الله عنهم. وأما زيد بن الدثنة وحُيِّب بن عدي، وعبد الله بن طارق، فرغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمر^(٣) الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران^(٤)، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم،

(١) وجد: حزن.

(٢) هو عبد الله بن طارق كما في الطبقات.

(٣) مر الظهران: الظهران، وإد قرب مكة، وعنده قرية يقال له: مر، تضاف إلى هذا الوادي، فيقال: مر الظهران. (معجم البلدان).

(٤) القِران: الحبل الذي يشد به الأسيران.

فرموه بالحجارة حتى قتلوه؛ بقبر هناك. وأما حُبيب بن عدي وزيد بن الدُّثنة فقدموا بهما مكة فأباعوهما^(١) من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة فابتاع حُبيباً حُجر بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقبله بأبيه. وابتاع زيد بن الدُّثنة صفوان بن أمية، ليقبله بأبيه أمية بن خلف، وبعثه مع مولى له يقال له: نسطاس؛ إلى التَّنعيم^(٢)، فأخرجوه من الحرم ليقبله، واجتمع لذلك رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقبل: أُنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نسطاس. وأما حُبيب بن عدي فرُوي عن ماوية^(٣) مولاة حُجر بن أبي إهاب. وكانت قد أسلمت، قالت: كان حُبيب قد حبس في بيتي، فقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لِقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل، قالت: وقال لي حين حضره القتل: ابعتي إليّ بحديدة أتطهر بها للقتل؛ فأعطيت غلاماً من الحيِّ المَوسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن قد ولّى الغلام بها إليه؛ فقالت: ما صنعتُ! أصاب والله الرجل ثاره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أملك غدرتي حتى بعثتك بهذه الحديدة! ثم خَلَّى سبيله. ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: ثم خرجوا بخُبيب، حتى إذا جاءوا به التَّنعيم ليصلبوه قال: إن رأيتم أن تدعونني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع ركعتين، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طَوَلْتُ جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، فكان حُبيب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبته، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أحصهم^(٤) عدداً، واقتلهم بدداً^(٥)، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه، رحمه الله ورضي عنه.

(١) أباعوهما: عرضوهما للبيع.

(٢) التَّنعيم: موضع بمكة.

(٣) كذا في الأصول: وفي روايات كثيرة: «ماوية».

(٤) احصهم عدداً: أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد.

(٥) بدداً: في الأصول: «مددا» وهو تحريف. والمعنى أقتلهم واحداً بعد واحد، من التَّبديد.

قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.
وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب^(١): [من الطويل]

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع^(٢)
وقد قَرَبُوا أبنَاءَهُمْ ونساءَهُمْ وقُرِبْتُ من جذع طويل مُمْنَع
وكلُّهُمْ يُبْدي العداوةَ جاهداً عليّ لأنّي في وثاق بمضيع^(٣)
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب لي عند مضرعي
فذا العرش صَبَرَنِي على ما أصابني فقد بضَعُوا الحمى وقد ضَلَّ مَطْمَعِي^(٤)
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعٍ^(٥)
وقد عَرَضُوا بالكفر والموتِ دونه وقد ذَرَفَت عَيْنَاي من غير مَدْمَعٍ^(٦)
وما بي جِذَارُ الموتِ، إني لميتٌ ولكن حذارِي حرُّ نارٍ تَلْفَعُ^(٧)
فلست بمبيدٍ للعدوّ تَخْشَعَا ولا جَزَعَا إِنِّي إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلماً على أي حال كان في الله مضجعي
وفي رواية ابن شهاب^(٨):

* على أي جنب كان في الله مصرعي *

قالوا: وُصِّلَ بالتَّنعيم، وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحارث، وأبو هبيرة العدوي^(٩).

(١) قال ابن هشام: «بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له».

(٢) ألبوا: جمعوا وحضوا.

(٣) ويروى البيت:

وكلُّهُمْ مبيدٍ العداوةَ جاهداً عليّ لأنّي في وثاق مضيع
(٤) بضَعُوا: قطعوا. (٥) أوصال: أعضاء. شِلْو: جسد.

(٦) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام، وفي المواهب اللدنية كما يأتي:

(٧) وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عينايا من غير مجزع
كذا في الأصول، وعليه فهي تتلفع بحذف إحدى التاءين أي تشتمل، يقال: تلفع بالثوب إذا اشتمل به، وفي ابن هشام والمواهب: «جحم نار ملفع» والجحم: الملتهب، ومنه الجحيم.

(٨) ابن شهاب: (٣٣٥ - ٤٢٨ هـ = ٩٤٦ - ١٠٣٧ م) الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكيري، أبو علي، نساخ، من العلماء العارفين بالعلم والأدب، من أهل عكبرا مولداً ووفاة. (الأعلام: ٢: ١٩٣).

(٩) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء خبيب في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦، طبع الحلبي.

ذكر غزوة بني النضير

غزاهم رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول، سنة أربع، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره.

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد، ومحمد بن إسحاق، وعبد الملك بن هشام، دخل حديث بعضهم في بعض، أن رسول الله ﷺ، خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك بما أحببت. وكان رسول الله ﷺ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم، وهو في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، رضوان الله عليهم، فخلا بعض بني النضير إلى بعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك؛ فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. وجاء رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فنهض مسرعاً كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة، فلما أبطأ على أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ﷺ، فقال: رأيته قد دخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوه، فقالوا: يا رسول الله، قمت ولم نشعر. قال: همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقامت. ثم بعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة: «أن اخرجوا من بلدي فلا تسكنوني بها، وقد هممت بما هممت به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً أي من الأيام فمن ربي بعد ذلك ضربت عنقه». فمكثوا أياماً يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر^(١) وتكاروا^(٢) إبلاً من ناس من أشجع، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي: أن أقيموا في حصونكم، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان. ووافقه على ذلك وديعة بن مالك بن أبي قوئل^(٣)، وسؤيد وذاعس، وقالوا لهم: إن قوتلتم نصرناكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فطمع حبي بن أخطب فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله ﷺ، فكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حارب يهود، واستخلف على المدينة

(١) ذو جدر: مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء.

(٢) تكاروا: استأجروا.

(٣) كذا في الأصل، وفي المواهب، والروض الأنف. وفي الطبري: «ووديعة ومالك بن أبي قوئل».

ابن أم مكتوم، وسار في أصحابه، وعلي بن أبي طالب يحمل لواءه، فصلى العصر بفناء بني النضير، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم، وقاموا عليها معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة فلم تُعنهم، وخذلهم عبد الله بن أبي ومن وافقه فلم ينصروهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ست ليال، ثم أمر بقطع التخيّل وتحريقها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها! وكان الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بذلك، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وقالوا: نخرج من بلادك. فقال: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها، ولكن دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة^(١). فنزلوا على ذلك.

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوماً، وولي إخراجهم محمد بن مسلمة، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعمئة بعير، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيتي بن أخطب، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش. وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً، وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صفياً^(٣) لرسول الله ﷺ، خالصة له حبساً^(٤) لنوائبه، لم يخمسها ولم يُسهم منها لأحد، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه، ووسّع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله ﷺ من المهاجرين أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أعطاه بئر حجر، وعمر بن الخطاب، بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سائلة، وصهيب بن سنان^(٥)، الصراطة، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة^(٦)، وسهل بن حنيف وأبو دجانة مالا، يقال له: مال ابن خرشة، حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

(١) الحلقة: الدروع، وقيل السلاح كله، وهو المراد هنا.

(٢) النجاف: العتبة.

(٣) صفياً: مختارة.

(٤) حبساً: وقفاً.

(٥) صهيب بن سنان: (٣٢ ق هـ - ٣٨ هـ = ٥٩٢ - ٦٥٩ م) صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط صحابي من أرمى العرب سهماً. وهو أحد السابقين إلى الإسلام كان أبوه من أشراف الجاهليين. أسلم ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلاً، شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها. انظر (الأعلام: ٣: ٢١٠).

(٦) البؤيلة: مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب. ويقال لها أيضاً: «البويرة»، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٩٩.

قال: ولما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قال: امضوا فإن هذا أول الحشر وأنا على الأثر.

وأنزل الله عز وجل في بني النضير سورة «الحشر» بكما لها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ الْأَبْصَرُ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري^(١)، رحمه الله: «أهل الكتاب» بنو النضير «مِنْ دِيَارِهِمْ» التي كانت بيثرب «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» قال الزهري: كانوا من سبط^(٢) لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال: وكانوا أول حشر في الدنيا حشر^(٣) إلى الشام. وقال الكلبي: إنما قال: «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» لأنهم أول من حُشِر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز. وقال مرة الهمداني: كان هذا أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيلُ^(٤) معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف. «ما ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون «أَنْ يَخْرُجُوا» من المدينة «وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ». حيث دربوها وحصنوها «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ» أي أمر الله وعذابه «مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف^(٥). «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» قال ابن إسحاق: وذلك لهدمهم

(١) أحمد بن محمد الثعلبي: (.... - ٤٢٧ هـ = ... - ١٠٣٥ م) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. (الأعلام: ١: ٢١٢).

(٢) السبط: ولد الولد. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

(٣) كذا في الأصول، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي: «وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام».

(٤) تقيل: من القائلة، وهي الظهيرة (اللسان: قيل).

(٥) كعب بن الأشرف: (.... - ٣ هـ = ... - ٦٢٤ م) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير. فدان باليهودية كان يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياها إلى اليوم... أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه. خرج إلى مكة، بعد وقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة. وأمر النبي ﷺ بقتله. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

بيوتهم عن تُجُف أبوابهم. وقال ابن زيد: كانوا يقتلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب، حتى الأوتاد، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسداً منهم وبغضاً. وقال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من باطنها، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الآية. «الجلَاء» عن الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل وبالسبي كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١) [الحشر: ٣، ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَلْسَفِينَ﴾ (٥) [الحشر: ٥] قال ابن إسحاق: اللينة: ما خالف العجوة من النخل. وقال ابن هشام: ما لم تكن بَرْنِيَّةً (٢)، ولا عجوة. وقال عكرمة وزيد بن رومان وقتادة: النخل كله لينة ما خلا العجوة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، اللينة: النخلة والشجرة. وقال سفيان: هي كرام النخل. وقيل: هي النخلة القريبة من الأرض. وقال مقاتل: هو ضرب من النخل، يقال لثمرها: اللون، وهو شديد الصفرة، يرى نواه من خارج، يغيب فيه الضرس، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف (٣)، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوا ذلك يقطع شق عليهم. وقال: وجمع اللينة لين. وقيل: ليان (٤).

قال الثعلبي: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الإصلاح، أفمن الإصلاح قطع النخيل، وعقر الشجر؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلف المسلمون في ذلك، فقال بعضهم: لا

(١) شاقوا الله: عادوه وخالفوا أمره.

(٢) البرنية: واحدة البرني، وهو ضرب من التمر، أصفر، مدور، وهو أجود التمر.

(٣) الوصيف: العبد، الخادم.

(٤) في الأصل: «اليان». وفي لسان العرب. جمع اللينة، لين ولون وليان.

تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطع من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى.

وفي قطع نخيل بني النضير يقول حسان بن ثابت: [من الوافر]

وهان على سِراة بني لُؤي حريقٌ بالبُويرة مستطيرُ

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ [الحشر: ٦] «أَفَاءَ اللَّهُ» أي رَدَّ عَلَى رسوله ورجع إليه، ومنه فيء الظلِّ مِنْهُمْ أي من بني النضير من الأموال «فَمَا أَوْجَفْتُمْ» أَوْضَعْتُمْ^(١) «عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» وهي الإبل، يقول: لم تقطعوا إليها شُقة، ولم تنالوا فيها مشقة، ولم تكلفوا مؤنة^(٢)، ولم تلقوا حرباً. وإنما كانت بالمدينة فمشوا إليها مشياً، ولم يركبوا خيلاً ولا إبلًا إلا النبي ﷺ، فإنه ركب حملاً فافتتحها صلحاً، وأجلاهم عنها وخزن أموالهم فسأل المسلمون النبي ﷺ القسمة، فأنزل الله عز وجل الآية، فجعل أموال بني النضير خاصة لرسول الله ﷺ، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دُجانة سِمَاك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصَّمة. قال: ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان، أحدهما سفيان بن عمير بن وهب، والثاني سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إن أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصاً، فكان رسول الله ﷺ، ينفق على أهله منه نفقة سته، وما بقي جعله في الكُراع^(٣) والسلاح عُدَّة في سبيل الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِنَا السَّبِيلَ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَنَّاكُمُ الرِّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَّفَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑤﴾ [الحشر: ٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: القرى هي قَرْيَظَةُ والنضير، وهما بالمدينة، وفدك، وهي في المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقَرْيَ غَرِينَة، ويتبع جعلها الله تعالى لرسوله ﷺ، يحكم فيها ما

(١) أَوْضَعْتُمْ: أَسْرَعْتُمْ.

(٢) المؤنة: القوت.

(٣) الكُراع: جماعة الخيل.

أَرَادَ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية. قال: «والقربى» قرابة رسول الله ﷺ، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب. وقوله: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» أي بين الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعَهَا لنفسه، وهو المِزْبَاع، ثم يصطفي منها أيضاً بعد المِزْبَاع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم: [من الوافر]

لَكَ الْمِزْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحَكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ^(١)
فجعل الله تعالى هذا^(٢) لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها.
وقوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ» أي ما أعطاكم من الفئ والغنيمة
«وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ» من الغلول وغيره «فانتهاوا».

قوله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» يعني كي لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْطَرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحشر: ٨] أي في إيمانهم. قال قتادة: هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ورسوله، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يغضب الحجر على بطنه ليقيم به صُلبه^(٣) من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة^(٤) في الشتاء ما له دثار غيرها.

وعن سعيد بن جبيرة^(٥)، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالوا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة، يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة.

(١) النشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه. الفضول: ما فضل من الغنائم حين تقسم.

(٢) زيادة عن القرطبي، يتطلبها المعنى.

(٣) صلبه: جذعه.

(٤) الحفيرة: الحفرة الواسعة.

(٥) سعد بن جبيرة: (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) سعيد بن جبيرة الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط. (الأعلام: ٣: ٩٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] قال: قوله: «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة، وهم الأنصار، أسلموا في ديارهم وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أي حزاة وغيطاً وحسداً «مِمَّا أُوتُوا» أي مما أعطى المهاجرين من الفتي، وذلك أن رسول الله ﷺ، قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها». فأنزل الله عز وجل «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] قال ابن أبي ليلي^(١): الناس على ثلاث منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تكون خارجاً من هذه المنازل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتُنَادُوا لِلْغُلَامِ بِالسُّبُلِ الَّتِي اتَّخَذُوا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْلُوبُوا الْأُمَمَ﴾ [الحشر: ٢٢]

(١) ابن أبي ليلي: (٧٤ - ١٤٨ هـ = ٦٩٣ - ٧٦٥ م) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي يسار (وقيل: داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي. قاض فقيه من أصحاب الرأي. مات بالكوفة. (الأعلام: ٦: ١٨٩).

الْكَتِبَ لَيْنَ أُخْرِجْتُمْ لِنَخْرُجَ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَكُمْ لَكُمْ لَكُونُوا ۖ لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ [الحشر: ١١-١٣] نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالهم لبني النضير وقعودهم عنهم، كما تقدم آنفاً، وقوله: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» يقول: يرهبونكم أشد من رهبتهم الله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».

قوله تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾^(١) بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤] أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال، ولا يقتالونهم إلا في قرى محصنة، أو من وراء جدار «بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» يعني بعضهم فقط على بعض، وبعضهم عدو لبعض، وعداوتهم بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله. «تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهاداتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وَيَالَ أَمْرِهُمْ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٥] يعني مثل هؤلاء اليهود «كَذَلِكِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وهم مشركو مكة «ذَاتُوا وَيَالَ أَمْرِهُمْ» يوم بدر. قال مجاهد^(٢) وقال ابن عباس: يعني بني قَيْنُقَاعَ؛ وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود في تخاذلهم فقال تعالى: ﴿كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] وهي قصة برصيصا العابد مع الشيطان.

ذكر قصة برصيصا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ الآية. قال:

(١) في الأصل: «جدار». وهي قراءة ابن عباس: ومجاهد، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو.
(٢) مجاهد: (٢١- ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر، من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: إنه مات وهو ساجد. (الأعلام: ٥: ٢٧٨).

كان راهب في الفترة يقال له برصيصا، وقد تعبد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فلم يستطع له بشيء فجمع ذات يوم مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي تصدى لرسول الله ﷺ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه بالوحي، فجاء جبريل حتى دخل بينهما، فدفعه بيده دفعة هينة، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند، فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك. فانطلق فتزّين بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا، فناداه فلم يجبه برصيصا، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في عشرة أيام، ولا يفطر إلا في عشرة أيام، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته، فرأى الأبيض قائماً منتصباً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لهُى عنه فلم يجبه. فقال له: إنك ناديتني وكنت مشغولاً عنك فحاجتك؟ قال: حاجتي أنني أحببت أن أكون معك فأتأدب بك، وأقتبس من علمك، ونجتمتع على العبادة، فتدعوني وأدعوك؛ قال: إني لفي شغل عنك، فإن كنت مؤمناً فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، فأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده، وكثرة تضرعه وابتهااله إلى الله عز وجل كلمه، وقال له: حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك، فأذن له، فارتفع في صومعته، فأقام الأبيض معه حولاً يتعبد، لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً، ولا يفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مدّ إلى الثمانين؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت^(١) إليه نفسه، وأعجبه شأنه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق، فإن لي صاحباً غيرك، ظننت أنك أشدّ اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت. قال: فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن، فهن خير لك مما أنت فيه، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي والمجنون؛ قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه. ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلكك الرجل. قال: فانطلق الأبيض

(١) تقاصرت نفسه: تضاءلت.

فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطيب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالججه؟ فقالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جثيته، ولكنني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى؛ فقالوا له: دلنا. قال: انطلقوا إلى برصيصة، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعى به أجاب. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان. وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصة فيدعو لهم فيعافون. قال: فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكاً فمات فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطيب، فقال لهم: أعالجها؟ قالوا: نعم. فعالجها فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها^(١) صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصة؛ قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا ويجيبنا إلى هذا؟ هو أعظم شأناً من ذلك. قال: انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ولتكن هذه الصومعة التي تبنيون لزينة صومعته، فإن قبلها وإلا تضعونها^(٢) في صومعتها، ثم قولوا له: هي أمانة عندك، فاحتسب فيها. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها، وقالوا له: يا برصيصة، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها. ثم انصرفوا، فلما انقفل برصيصة عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال، فأسقط^(٣) في يده، ودخل عليه أمر عظيم، قال: فجاءها الشيطان فخنقها؛ فلما رأى برصيصة ذلك انفتل عن صلاته، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته، ثم جاءها الشيطان فخنقها، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها]^(٤) لبرصيصة، وجاءه الشيطان، فقال: ويحك! واقعها فلن تجد مثلاً، فستتوب بعد، فتدرك ما تريد من الأمر الذي تريد، فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك! قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك فقل: جاء شيطانها فذهب بها ولم أقوَ عليه. قال: ففعل. فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «تردونها صحيحة، وقد ذهب عنها شيطانها»، بتأخير الواو.

(٢) كذا في الأصل. ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف.

(٣) أسقط في يده: تحير.

(٤) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ - ٣٨).

الشیطان وهو یدفنها لیلاً فأخذ بطرف إزارها، فبقي طرف إزارها خارجاً في التراب، ثم رجع برصيصاً إلى صومعته وأقبل على صلاته، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا یجیثون في بعض الأيام یسألون عنها، ویطلبون إلى برصيصا ویوصونه بها، فقالوا: یا برصيصا، ما فعلت بأختنا؟ قال: جاء شیطانها فذهب بها ولم أطقه. قال: فصدقوه وانصرفوا. فلما أمسوا وهم مكروبون^(١)، جاء الشیطان إلى كبيرهم في المنام، فقال له: ويحك! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا. فقال الأخ: هذا حُلْم وهو من عمل الشیطان، برصيصا خير من ذلك. قال: فتتابع عليه ثلاث لیل فلم یكثر، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر، فلم یخبر به أحداً، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لإخوته: والله لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله لقد رأيت مثله. وقال الأكبر: وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، فانطلقوا بنا إلى برصيصا؛ فأتوه، فقالوا: یا برصيصا، ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شیطانها! فكأنكم اتهمتموني. فقالوا: لا والله لا نتهمك. فاستحيوا منه وانصرفوا عنه، فجاءهم الشیطان فقال: ويحكم! إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب. قال: فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم، قال: فمشوا في موالیهم، وموالیهم معهم الفؤس والمساحي^(٢)، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه؛ وذلك أن الشیطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، یجتمع عليك أمران قتل ومكابرة، اعترف. فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض عیاناً، وذلك أن إبليس لعنه الله، قال للأبيض: وما یغني عنك ما صنعت؟ إن قُتل فهو كفارة لما كان منه. فقال الأبيض: أنا أكفيكه. فأتاه فقال: یا برصيصا، أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك، ويحك! أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، وأنتك أعبد بني إسرائيل! أما استحييت! أما راقبت الله في دينك! فلم یزل یعيरे ویوبخه، ثم قال له في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس! فإن مت على هذه الحال لم یفلح أحد من نظرائك بعدك. قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: وما هي؟ قال: تسجد لي. قال: أفعل. فسجد له، فقال: یا برصيصا، هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين.

(١) الكرب: الغم.

(٢) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

يقول الله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان. ﴿أَنْتَهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ، أن يحل بني النضير من المدينة، فدرس المنافقون إليهم فقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم كنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. قال: فأطاعوهم؛ فدرّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي ﷺ، فناصبوه^(١) الحرب، يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] قوله: «اتَّقُوا اللَّهَ» أي في أداء فرائضه واجتناب معاصيه «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» يعني يوم القيامة.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] «نَسُوا اللَّهَ» أي نسوا حق الله وتركوا أوامره «فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ» يعني حظ أنفسهم أن يقدموا لها خبراً «أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٩-٢٠].

فقد أتينا - أكرمك الله - على تفسير ما أنزل من القرآن في شأن بني النضير مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار، ولم نتعرض إلى ما سوى ذلك من التفسير.

ذكر غزوة بدر الموعد

غزاها رسول الله ﷺ، لالهلال ذي القعدة، على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. حكاه محمد بن سعد.

وقال محمد بن إسحاق: كانت في شعبان. وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع، فتكون على رأس اثنين وأربعين شهراً من الهجرة، والأشبه ما قاله ابن سعد، لأن الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد، وغزوة أحد كانت في شوال على ما اتفقا عليه، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك.

قال محمد بن سعد: لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم ثَعَمِ بن

(١) ناصبوه الحرب: أظهروها له.

مسعود الأشجعي^(١) مكة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدْر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جذب^(٢)، وإنما يصلحنا عام خصب غَيْدَاق^(٣)، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترى علينا، فنجعل لك عشرين فريضة^(٤) يضمنها إليك سُهَيْل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل أصحاب محمد. قال: نعم. فحملوه على بعير، فأسرع السير حتى قدم المدينة، فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد.

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة^(٥)، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة والخيول عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وخرج المسلمون ببضائع وتجارات لهم، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم يفرق الناس إلى بلادهم.

فانتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة؛ وقامت السوق صبيحة الهلال فأقاموا بها ثمانية أيام، وباعوا ما خرجوا به من التجارات، فربحوا للدرهم درهماً، وانصرفوا، وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى انتهوا إلى مَجَنَّة - وهي^(٦) مَر الظهران - ومنهم من يقول: بلغوا عُسْفَانَ^(٧). ثم قال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام

(١) نعيم بن مسعود: (... نحو - ٣٠ هـ = ... نحو - ٦٥٠ م) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله ﷺ سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم وكنم إسلامه وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان، وقرقرش. سكن المدينة. مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم «الجمل» قبل قدوم علي إلى البصرة. (الأعلام: ٨: ٤١).

(٢) عام جذب: عام قحط.

(٣) غيداق: مخصب.

(٤) الفريضة: البعير المأخوذ في الزكاة، سمي فريضة، لأنه فرض واجب على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة.

(٥) عبد الله بن رواحة: (... ٨ هـ = ... ٦٢٩ م) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة. فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤: ٨٦).

(٦) كذا في الأصل. وفي المواهب اللدنية: «مجنة: ناحية الظهران» وفي معجم البلدان: «وقال الأصمعي: وكانت مجنة بمر الظهران».

(٧) عُسْفَانَ: موضع على مرحلتين من مكة.

خصب غَيْدَاق، نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن، وعامكم هذا عام جذب، وإنني راجع فارجعوا. فسمى أهل مكة هذا الجيش جيش السَّوِيق، يقولون: خرجوا يشربون السويق. قال: وقدم معبد بن أبي معبد الخُزاعي مكة بخبر مسير رسول الله ﷺ - وأصحابه، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترأوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم.

وقال عبد الله بن رواحة: [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان وعدا فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيًا^(١)
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأبت ذميماً وافتقدت المواليا^(٢)
تركنا به أوصال عتبة وابنه وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويًا^(٣)
عصيتم رسول الله أف لدينكم وأمركم السيء الذي كان غاويًا^(٤)
فإني وإن عنفتموني لقائل فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نغدله فينا بغيره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا
وانصرف رسول الله ﷺ والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة.

وأنزل الله عز وجل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

قال السُّدِّي^(٥): لما تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه للمسير إلى بدر لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا: نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فعصيتونا، وقد أتوكم في دياركم، فقاتلوكم، وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم أحد. فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فالتاس في هذه الآية أولئك المنافقون. وقال أبو معشر: دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم أصحاب رسول الله ﷺ عن أبي سفيان، فقالوا: قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة

(١) وعداً: في سيرة ابن هشام: «بدرأ».

(٢) الموالى: جمع مولى، وهو القريب والجار والحليف.

(٣) ثاويًا: مقيماً أي مقتولاً.

(٤) السيء: المنكر.

(٥) السُّدِّي: (.... - ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة.. وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. (الأعلام: ١: ٣١٧).

فاخشوهم؛ فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَنْصُرُواكُمْ فَإِنَّه لا طاقة لكم بهم﴾ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني تصديقاً وبقيناً وجرأة وقوة. وقوله: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فانصرفوا ورجعوا ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ﴾ أي بعافية لم يلقوا بها عدواً، ويرأت جراحاتهم ﴿وَفَضِّلَ﴾ أي ربح وتجارة، وهو ما أصابوا من السوق فربحوا ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ﴾ لم يصبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً؟ فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] يعني ذلك الذي قال لكم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم؛ من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم ﴿يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم بأوليائه، يعني يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أوليائه في صدوركم لتخافوهم. وقرأ عبد الله بن مسعود «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ» قال: وكان أبي بن كعب^(١) يقرأ: «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ» ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾ في ترك أمري «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين بوعدني فإني متكفل لكم بالنصر والظفر.

ذكر غزوة ذات الرقاع^(٢)، وخبر صلاة الخوف

وقصة غورث بن الحارث المحاربي، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع، فقيل: جبل فيه بقع حمر وبيض وسود. وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم. وقيل: ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع. وفي صحيح البخاري أنهم نقبت^(٣) أقدامهم، فلقوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع. والله أعلم.

قال محمد بن سعد: كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. وقال ابن إسحاق: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بني النضير في

(١) أبي بن كعب: (.... - ٢١ هـ = ٦٤٢ - ٦٤٣ م) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أجاز اليهود. ولما أسلم كان من كتاب الوحي وشهد بداراً وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. اشترك في جمع القرآن. مات بالمدينة انظر (الأعلام: ١: ٨٢).

(٢) غزوة ذات الرقاع: هي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٣) نقبت أقدامهم: رقت جلودها من المشي.

جمادي الأولى، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان. ولم يقل ابن سعد غير عثمان رضي الله عنه.

وذلك أن قادماً قدم المدينة بجلب^(١)، فأخبر أصحاب رسول الله ﷺ، أن أنماراً وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائه. ويقال: سبعمائة من أصحابه؛ فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع - وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد وبياض - فلم يجد في محالهم أحداً إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة، فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف.

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: صلى رسول الله ﷺ بظائفة ركعتين، ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو، فجاءوا فصلى بهم ركعتين آخرين، ثم سلم. وروى عنه أيضاً من طريق آخر، قال: صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين، وركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين، هكذا روي عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع.

وروى ابن هشام أيضاً بسنده إلى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، في صلاة الخوف، ولم يذكر ذات الرقاع، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيرجع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.

**ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربي لما أراد أن يفتك
برسول الله ﷺ فحماه الله منه وأمكن نبيه ﷺ من عدوه وعفوه عنه**

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل

لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله قال: أفتك به، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها، فأتاه فاخترط^(١) سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فأرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله ﷺ عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئتمكم من عند خير الناس. ومن رواية الخطابي^(٢): أن غورث بن الحارث المحاريبي أراد أن يقتك برسول الله ﷺ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، منتضياً^(٣) سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفنيه بما شئت». فانكب غورث من وجهه من زلخة^(٤) زلخها بين كتفيه، ونذر^(٥) سيفه من يده، وقيل: فيه نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية. وقيل: نزلت في غير هذه القصة.

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة، واستغفار النبي ﷺ لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل^(٦) على جبل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ، جعلت الرقاق تمضي، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر؟» قلت: يا رسول الله، أبطأ علي جملي هذا؟ قال: «أنخه» فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو أقطع لي عصا من شجرة؛ قال: ففعلت. فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه^(٧) بها نخسات، ثم قال: اركب. فركبت، فخرج - والذي بعثه بالحق - يواحق^(٨) ناقته مواهقة.

قال: وتحذثت مع رسول الله ﷺ فقال: «أتبيعني جملك هذا يا جابر؟» قلت: يا

(١) اخترط السيف: استله من غمده.

(٢) الخطابي: (٣١٩-٣٨٨ هـ = ٩٣١-٩٩٨ م) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). . توفي في بستان. انظر (الأعلام: ٢: ٢٧٣).

(٣) منتضياً: مستلاً.

(٤) الزلخة: وجع الظهر.

(٥) نذر: سقط.

(٦) نخل: موضع بنجد.

(٧) نخسه: وخزه بالعود.

(٨) يواحق: يباريها في السير ويماشيها.

رسول الله، بل أهيه لك؛ قال: «لا، ولكن بغنيه»؛ قال: قلت: فسُمنيه؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قلت: لا، إذا تغبني يا رسول الله! قال: «فبدرهمين»؛ قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية؛ قلت: فقد رضيت؟ قال: «نعم»؛ قلت: هو لك؛ قال: «أخذته» ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد؟» قلت: نعم يا رسول الله؛ قال: «أثيباً^(١) أم بكراً؟» قلت: بل ثيباً؛ قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟» قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد، وترك بناتٍ له سبعا، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن؛ قال: «أصبت إن شاء الله، أما إننا لو جئنا صرارا^(٢) أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسَمِعْتُ^(٣) بنا، فنَفَضْتُ نمارقها^(٤)». قلت: يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قدِمت فاعمل عملاً كَيْساً^(٥)» فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ، ثم جلست في المسجد قريباً منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا جمل جاء به جابر؛ قال: «فأين جابر؟» فدُعِيتُ له، فقال: «يا بن أخي خذ برأس جملك فهو لك» ودعا بلالاً فقال له: «أذهب بجابر فأعطه أوقية». قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال يثمي عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا؛ يعني يوم الحرة^(٦).

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله ﷺ سأل جابراً عن دين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله ﷺ في تلك الليلة خمساً وعشرين مرة. قال: وبعث رسول الله ﷺ جعالاً^(٧) بن سُرَاقَة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين، وقدم صراراً يوم الأحد لخمس بقين من المحرم - وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على طريق العراق - وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

(١) الثيب: التي أصبحت بلا رجل، لأي سبب كان.

(٢) صرار: بئر على ثلاثة أميال من المدينة، كما سيأتي للمؤلف.

(٣) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) النمارق: الوسائد.

(٥) عملاً كَيْساً: عملاً صالحاً.

(٦) يوم الحرة: يشير إلى وقعة الحر التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة

المري. راجع الروض الأنف: ٢: ١٨٤.

(٧) في الأصول: «جوال» وهو تحريف.

ذكر غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال؛ سميت بدؤمى^(١) بن إسماعيل لأنه كان نزلها، وهي غير دومة التي بفتح الدال.

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجره، وذلك أنه بلغه ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مرّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة - وهي طَرْف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة - فندب رسول الله ﷺ الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْقُطَةَ الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل وَيَكْمُنُ النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذا هم مغربون، وإذا آثار النعم^(٢) والشاء، فهجم على ماشيتهم وِرْعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب. وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل، ففرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرياء وفرّقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله ﷺ عنهم، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهُمْ؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يَلْقَ كيداً.

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنَةَ بن جِصْن أن يرعى بتغلمين^(٣) وما والاها إلى المراض، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق الرّيْذَة.

ذكر غزوة بني الْمُصْطَلِقِ^(٤)، وهي غزوة المُرَيْسِيع

غزاها رسول الله ﷺ في شعبان سنة خمس من الهجرة. حكاه محمد بن سعد. وقال ابن إسحاق: كانت في شعبان سنة ست؛ وجعلها بعد غزوة ذي قَرْد.

(١) كذا في الأصول، والمواهب اللدنية، وفي معجم البلدان: «سميت بدوم بن إسماعيل، وقال الزجاجي: «دومان بن إسماعيل. وقيل: كان لإسماعيل ولد اسمه دما، ولعله مغير منه. وقال ابن الكلبي: دوما بن إسماعيل».

(٢) النعم: الإبل.

(٣) كذا في الطبري، وطبقات ابن سعد، ومعجم البلدان، والقاموس. وفي الأصل: «بتغلمين». وهو تحريف. و«تغلمين» من المراض على ميلين.

(٤) المصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو، لقب بذلك لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة.

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، ودعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتهيئوا للمسير، فبعث رسول الله ﷺ بُريدة بن الحُصيب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ بالخبر، فندب ﷺ الناس فأسرعوا في الخروج، وقادوا الخيول، وهي ثلاثون فرساً، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأَنْصار، وخرج معه خلق كثير من المنافقين، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها، واستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة. وقال ابن هشام: استعمل عليها أبا ذر الغفاري^(١). قال: ويقال: ثُميلة بن عبد الله الليثي. قال ابن سعد: وكان معه ﷺ فرسان: لِزَاز، والظُّرْب، وخرج يوم الاثنين ليلتين خلتا من شعبان، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ، ففترق عنه من كان معه من العرب، وخافوا خوفاً شديداً، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المُرَيْسِع - وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين الفُرْع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرد - فنزل به وضرب قُبته، ومعه ﷺ من نسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عائشة، وأم سلمة، وتهيئوا للقتال، وصَفَّ رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت من القوم إنسان، قتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، وسُبيَت النساء والذَّراري، وغنمت النعم والشاء، ولم يَسْتَشْهَد من المسلمين إلَّا رجل واحد، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتَفُوا، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب، وأمر بجمع الغنائم فجمعت، واستعمل عليها شُقران مولاه، وقسم السبي والنعم والشاء، فعدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت الرِّثَّة^(٢) فيمن يريد^(٣)، قال: وكانت الإبل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، والسبي مائتي أهل بيت، وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فكاتبها على تسع أواق من ذهب، فسألت رسول الله ﷺ في

(١) أبو ذر الغفاري: (٣٢ - ... هـ = ٦٥٢ م) جُنْدَب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار... أبو ذر، صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام يقال أسلم بعد أربعة وكان خامساً. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على الأغنياء في أموالهم. أمره عثمان بالرحلة إلى الريزة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. انظر (الأعلام: ٢: ١٤٠).

(٢) الرِّثَّة: رديء المتاع، وإسقاط البيت من الخلقان.

(٣) في الطبقات: «فيمن يزيد».

كتابتها فأدّى عنها، وتزوجها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه ﷺ.

قال ابن سعد: وكان من السبي من منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء، ومنهم من أفدي، فافتدت^(١) المرأة والذرية بست فرائض، وقدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم، فلم تبقى امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها. وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: يا منصور أمت أمت؛ وغاب رسول الله ﷺ في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً، وقدم المدينة لالهلال رمضان.

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بما تكلم به من قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا﴾. ووقع حديث الإفك، وقد قدمنا ذكر ذلك كله في حوادث السنين بعد الهجرة، في حوادث السنة الخامسة.

ذكر غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله ﷺ. حكاها ابن سعد. وقال ابن إسحاق: كانت في شوال.

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام، رحمهم الله تعالى، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير وساروا إلى خيبر، خرج نفر من أشرافهم ووجوههم، منهم سلام بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فقدموا مكة على قريش، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله؛ فقالت قريش لهم: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ^(٢) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدْ لَهُ نَصِيرًا ۚ ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۚ ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۚ ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۚ ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥١-٥٥] قالوا: فلما

(١) كذا في ابن سعد، وفي الأصول: «فاقتدت».

(٢) الجبت والطاغوت: كل معبود من دون الله.

قالت اليهود: ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعّوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فأجتمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسُليماً، ودعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأعلموهم أن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم واجتمعوا معهم، فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، وكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب، ووافتهم بنو سليم بمَرّ الظُّهران، وهم سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعرور السُّلمي الذي كان مع معاوية بصقّين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت غطفان وفزارة، معهما ألف بعير، يقودهم عُيَيْنَةُ^(١) بن حِصْن بن حذيفة بن بدر، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مُسَعَّر بن رُخيلة بن نُيرة بن طريف، وخرج معهم غيرهم.

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب، فلما بلغ رسول الله ﷺ فُصولهم^(٢) من مكة ندب الناس^(٣)، وأخبرهم خبر عدوّهم، وشاورهم في أمرهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح سَلْع^(٤)، وجعل سلعاً خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، فعملوا وجدّوا في العمل ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في ذلك العمل رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يورّون^(٥) بالضعف من العمل، ويتسلّلون إلى أهلهم بغير إذن رسول الله ﷺ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النأبة من الحاجة، ذكرها لرسول الله ﷺ واستأذنه، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) عيينة هذا هو الذي قال فيه ﷺ: «الأحمق المطاع» لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قتلة. وقال فيه أيضاً: «إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره». وسمي عيينة لشعر كان بعينيه، واسمه حذيفة. راجع المواهب اللدنية ٢: ١٢٥.

(٢) فصولهم: خروجهم.

(٣) في الأصول: «نذر» وهو تحريف.

(٤) سلع: جبل بسوق المدينة.

(٥) يورون: يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ [النور: ٦٢] ثم قال تعالى في المنافقين: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ^(١) فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ [النور: ٦٣] ثم قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْظَرُ يَمَّا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [النور: ٦٤].

قال: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. وروى محمد بن سعد بسند يرفعه إلى سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله ﷺ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأَنْصار والمهاجرة^(٢)». وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب. وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: [من الرجز]

لَا هُمْ^(٣) لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد^(٤) بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
أبينا يرفع بها صوته ﷺ.

وكان لرسول الله ﷺ في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته، ومنها ما يتعين ذكره ها هنا، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال:

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُذبة^(٥)، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح ذلك الماء على

(١) اللواذ: الاستتار بالشئ عند الهرب.

(٢) وهذا القول من كلام عبد الله بن رواحة، تمثل به عليه الصلاة والسلام. راجع الروايات المختلفة في صيغته، وفي كونه شعراً أو غير شعر في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٧.

(٣) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي الأصول: «اللهم» والشعر لعبد الله بن رواحة. ارتجز به النبي ﷺ.

(٤) وفي الأصول: «قد» وما أثبتناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٨.

(٥) الكدية: الحجر الصلد، الضخم، والشئ الصلب من الحجارة والطين والأرض الغليظة.

تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق لانهاالت حتى عادت كالكتيب، لا ترّد فأساً ولا مسحاة.

قالوا: وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام، وكانوا يعملون فيه نهاراً وينصرفون ليلاً، ورفع رسول الله ﷺ النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان مضين من ذي القعدة، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عباد. وأقبلت قريش ومن شابعها وتابعها، وأجتمع إليها بعد فراغ الخندق، فصار الخندق بين رسول الله ﷺ وبينهم، وظهور المسلمين إلى سلع وخرج حُيَي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دون حُيَي باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فناداه حُيَي: ويحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك! إنك أمرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً فعاوده مراراً، وهو يأبى عليه حتى قال له حُيَي: والله إن أغلقت دوني إلا عن جَشِيشتك^(١) أن أكل معك. فأحفظه^(٢) ذلك، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتكم بعزّ الدهر وبيحر طام^(٣)، جئتكم بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه^(٤) غطفان على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى على جانب أحد، وقد عاهدوني وعاهدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتنى والله بذلّ الدهر، وبجهام^(٥) قد هراق ماءه، يردد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل به حُيَي حتى سمح له، أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد^(٦) عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين وصحّ ذلك عنده كبر وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قال: وَنَجَمَ النفاق وَفُشِلَ الناس، وعظم البلاء، وأشدّ الخوف، وخيفَ على الدراري

(١) الجشيشة: واحدة الجشيش، وهو أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً، ثم تنصب به القدر، ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ، ويقال لها: دَشِيشة.

(٢) احفظه: أغاظه، أغضبه.

(٣) طام: مرتفع، يريد كثرة الرجال.

(٤) التصويب من المواهب، وفي الأصول: «من رومة» وهو تحريف.

(٥) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٦) كذا في الطبري وابن هشام. وفي الأصل: «راشد».

والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلثمائة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قُرَيْظَةَ، وكان عباد بن بشر^(١) على حرس قبة رسول الله ﷺ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة، ورسول الله ﷺ والمسلمون وجاء العدو لا يزولون يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري^(٢) يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويجتمعون مرة ويتفرقون أخرى، ويتناشون أصحاب رسول الله ﷺ، ويقدمون رماثهم فيرمون، فرمى حِجَابُ بْنُ الْعَرِيقَةِ سَعْدَ بْنَ معاذ بسهم فأصاب أَكْحَلَهُ^(٣)، فقال: خذها وأنا ابن العَرِيقَةِ. ويقال: رماه أبو أسامة الجُشَمِي.

قال ابن هشام: ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزي، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عُبَادَةَ فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبه فتصنعه، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم^(٤) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم

(١) عباد بن بشر: (٣٣ ق هـ - ١٢ هـ = ٥٩١ - ٦٣٣ م) عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: صحابي من أبطالهم. أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. استعمله الرسول ﷺ على حرسه بتبوك، واستشهد يوم اليمامة (راجع الأعلام: ٣: ٢٥٧).

(٢) ضرار بن الخطاب: (... - ١٣ هـ = ... - ٦٣٤ م) ضرار بن الخطاب بن مرداش القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي من القادة من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة، ولم يكن في قريش أشعر منه. استشهد في وقعة أجنادين. (الأعلام: ٣: ٢١٥).

(٣) الأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده.

(٤) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قراء^(١) أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نغطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب؛ ثم قال: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدو يوماً، فعَدُّوا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مَضِيقاً من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي ﷺ وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ ف قيل لهم: إن معه رجلاً فارسياً، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمن هناك إذاً، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون، فعَبَّرَ منه عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب، وعمرو بن عبد وَدٍّ^(٢) فجعل عمرو بن عبد وَدٍّ يدعو إلى البراز، ويقول: [من الوافر]

ولقد جِئْتُ مِنَ النَّدَا لَجْمَعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ

وكان ابن تسعين سنة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْنِ^(٣) إلا أخذتها منه؛ قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النِّزَالِ، قال: يا بن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتَجَاوَلَا، فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو. فقال حسان بن ثابت: [من المتقارب]

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رِمْحَهُ لَعَلَّكَ عَكْرَمَ لَمْ تَفْعَلِ^(٤)

وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيلِ سِمْ مَا إِنْ تَجَوَّرَ عَنِ الْمَغْدِلِ^(٥)

(١) القراء: ما يقدم للضيف من الطعام.

(٢) عمرو بن عبد ود: (.... هـ - ٥ هـ = ٦٢٧ م) عمرو بن عبد ود العامري. من بني لؤي، من قريش: فارس قريش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم. قتله علي بن أبي طالب. (الأعلام: ٥: ٨١).

(٣) الخلّة: المأثرة.

(٤) يبدو أن الكلمة الأولى من صدر البيت سقط منها حرف، ولا يستقيم الوزن إلا به كقولك: «فغز»، مثلاً.

(٥) الظليل: ذكر النعام.

ولم تلق ظهرَكَ مستأنساً كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلٍ^(١)

قال ابن سعد: وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقه باثنتين، ثم اتعدوا أن يغدوا من الغد، فباتوا يعبتون أصحابهم، وفرقوا كتابهم، ونحووا إلى رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذاك إلى هوي^(٢) من الليل، ما يقدر أن يزولوا من موضعهم، ولم يصل رسول الله ﷺ ولا أصحابه ظهراً ولا عصرأ ولا مغرباً، ولا عشاء، حتى كشفهم الله تعالى، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله ﷺ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكرَّ خالد بن الوليد في خيل المشركين يطلبون غرة^(٣) من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وخشي، فزرق^(٤) الطفيل بن النعمان بمزراقه فقتله، وانكشفوا، وصار رسول الله ﷺ إلى قَبته فأمر بلالاً فأذن وأقام للظهر فصلّى، ثم بعد ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً». ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع^(٥) بالليل طمعاً في الغرة، قال: وحصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضعة عشرة ليلة. وقال ابن إسحاق: أقام عليه المشركون بضعة وعشرين ليلة قريباً من شهر.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة^(٦) بن الأشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل^(٧) عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة». فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم وذئ إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم؛ قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم؛ فقال: إن

(١) الفرعل: صغار الضباع.

(٢) هوي من الليل: ساعة منه، أو نحو ثلثه أو ريعه.

(٣) غرة: فرصة.

(٤) زرق: طعن، المزراق: الرمح القصير.

(٥) الطلائع: المراقبة.

(٦) كذا في الأصول وفي أسد الغابة، والإصابة. وفي ابن هشام «خلاوة». وجاءت الروايتان في الطبري.

(٧) فخذل عنا: أي أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً.

قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم وبغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزَةً^(١) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم^(٢) رهناً من أشرافهم، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهم؛ قالوا: لقد أشرت علينا بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم وذي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت منه عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني؛ قالوا: نفعل، فما هو؟ قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين: قريش وغطفان، رجلاً من أشرافهم، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهموني^(٣)، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا عني؛ قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل^(٤)، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ فيما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم^(٥) الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا^(٦) إلى بلادكم

(١) النهزة: انتهاز الشيء، وهو اختلاسه.

(٢) الرهن: جمع رهينة.

(٣) حذفت نون الرفع هنا. وهو جائز على قلة.

(٤) عكرمة بن أبي جهل: (... - ١٣هـ = ٦٣٤م) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه، فشهد الوقائع. واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٥) ضرستكم: أي نالت منكم.

(٦) تنشمروا: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا؛ فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهناً. فأبوا عليهم، وقال أبو سفيان: ألا أراني أستعين بإخوة القردة والخنازير! فوقع الاختلاف والخذلان بينهم، وبعث الله عز وجل رجلاً في ليلة شاتية شديدة البرد، فكفأ^(١) القدور وطرحته الأبنية.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل حذيفة بن اليمان^(٢) إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحدثن شيئاً. فذهبت فدخلت فيهم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قِذراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسائه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع^(٣) والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتجلوا فإني مرتجل. ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ ألا أحدث شيئاً حتى آتية، ثم لو شئت، لقتلته بسهم. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر. وسمعت غطفان ما فعلت قريش، فانشَمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله ﷺ فانصرف راجعاً إلى المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح. وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حَم لا ينصرون).

ولما انصرف رسول الله ﷺ وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه: لن تغزوكم

(١) كفأت: قلبت.

(٢) حذيفة بن اليمان: (... - ٣٦ هـ = ... - ٦٥٦ م) حذيفة بن جِسل بن جابر العبسي أبو عبد الله، واليمان لقب جِسل: صحابي، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين. توفي في المدائن. (الأعلام: ٢: ١٧١).

(٣) الكراع: الخيل.

قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزوهم^(١). فكان كذلك.

قال ابن سعد: وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله ﷺ لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس. وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك.

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني الأشهل، قتله خالد بن الوليد؛ وعبد الله بن سهل^(٢) الأشهلي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، قتله هبيرة بن أبي وهب؛ وكعب بن زيد من بني دينار، قتله ضرار بن الخطاب، وسعد^(٣) بن معاذ مات من جراحة بعد بني قريظة، والطفيل بن النعمان بن جشم.

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم: عثمان بن أمية بن مُنبه بن عبيد بن السباق من بني عبد الدار بن قصي، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعمرو بن عبد ود، ويقال: وابنه جشل بن عمرو، قتلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ في أمر الخندق والأحزاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩] قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» يعني الأحزاب: قريش وغطفان ويهود قُرَيْظَةَ والتَّضِير. «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» قال: وهي الصَّبا^(٤). قال عكرمة: قالت

(١) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل، وهو جائز على قلة. وقال الدماميني: إنه شاذ. وقال في الهمع: لا يقاس عليه في الاختيار.

(٢) كذا في أسد الغابة، والاستيعاب، والطبقات وفي كلا الأصلين: «سهيل».

(٣) رمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم فقطع أرحله، فحسمه رسول الله ﷺ، فانفتحت يده ونزفه الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني في بني قريظة. فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة، حتى نزل بنو قريظة على حكمه، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسّم أموالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: أصبت حكم الله فيهم. فلما فرغ من قتلهم انفتحت عرقه فمات رحمه الله.

(٤) الصَّبا: الصبا هي الريح الشرقية، ويقال لها: القبول، لأنها تقابل الشمال، والشمال: الريح العقيم التي لا خير فيها.

الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقني بنصرة رسول الله ﷺ فقالت الشمال: إن الحرة^(١) لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا، قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأهلكت عاد بالدُّبور». قوله: «وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» هي الملائكة، ولم تقاتل يومئذٍ، قال المفسرون: بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحاً باردة، وبعث الملائكة، فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب القساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان، هلم إلي؛ فإذا اجتمعوا عنده قال: النَّجَاءُ النَّجَاءُ، أُنْتِمَ. لما بعث الله عليهم من الرعب، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَئِذَا زَأَعْتَ الْأَبْصُرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: قوله: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي من قبل المشرق، عليهم مالك بن عوف النَّصْرِي، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعوار السلمي من قبل الخندق. وقال ابن إسحاق: والذين جاءوا من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان. ﴿وَلَئِذَا زَأَعْتَ الْأَبْصُرُ﴾ أي مالت وشخصت ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع. ﴿وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ قال: أما المنافقون فظنوا أن محمداً ﷺ وأصحابه سيُغلبون ويُستأصلون، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا لَكُمْ آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَزُكِّرُوا وَلَٰئِكَ شَدِيدُكَ﴾ [الأحزاب: ١١] قال: أي اختبروا ومُحَصَّوْا، يُعَرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ ﴿وَزُكِّرُوا﴾: حُرِّكُوا وَخُوفُوا ﴿وَزُكِّرُوا﴾ تحريكاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] قال: يعني معتب بن قشير وأصحابه ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شك وضعف اعتقاد، وقد قدمنا في أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن

(١) وفي المواهب: ٢: ١٤٦: «إن الحرائر لا تهب بالليل» وفي القرطبي: ١٤: ١٤٤: «إن محوة لا تسري بالليل» ومحوة من أسماء الشمال؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به.

قشير في هذه الغزوة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].
 ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من المنافقين، وهم أوس بن قيطي وأصحابه؛ قال مقاتل: هم بنو سالم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود لعبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه! فارجعوا إلى المدينة. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي خالية ضائعة، وهي مما يلي العدو، وإنا لنخشى عليها العدو والسراق، قال: وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي «عورة» بكسر الواو، يعني قصيرة الجدران فيها خلل وفُرجة. وأخبر تعالى أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأِلُوا أَلْفَتْنَةً لَّاتَوْهَا^(١) وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٤] قال: يقول: لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿أَقْطَارِهَا﴾ جوانبها ونواحيها ﴿ثُمَّ سَأِلُوا أَلْفَتْنَةً﴾ الشرك ﴿لَّاتَوْهَا﴾ أي لجأوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا﴾ وما احتسبوا عن الفتنة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال: هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى هلكوا.
 قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوكَ الْأَدْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥] قال: ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿لَا يُولُوكَ﴾ عدوهم ﴿الْأَدْبَرُ﴾ قال يزيد بن رومان^(٢): هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفسلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.

وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتلاً لنقاتلن. فساق الله تعالى ذلك إليهم في ناحية المدينة.

(١) «لاتوها» من غير مد قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (لجاؤها).

(٢) يزيد بن رومان: (.... - ١٣٠هـ = ٧٤٧م) يزيد بن رومان الأسدي، أبو روح، مولى آل الزبير بن العوام: عالم بالمغازي، ثقة. من أهل المدينة. ووفاته بها. (الأعلام: ٨: ١٨٢).

وقال مقاتل^(١) والكلبي: هم السبعون رجلاً الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العَقَبَة وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؛ فقال النبي ﷺ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم». قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة». قالوا: قد فعلنا. فذلك عهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ﴾ أي عنه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦] قال: أي الذي كتب عليكم ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى آجالكم، والدنيا كلها قليل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي نصرة ﴿وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧].

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] قال: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المشبطين منكم للناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا﴾ ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دفعاً وتعذيراً. قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة^(٢) رأس، ولو كانوا لحمًا لاتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً، وإنا لنشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا، هلم إلينا. فأقبل عبد الله بن أبيي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يرفدنا^(٣) بخير، وما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا، انطلقوا إلى أخواننا وأصحابنا. يعني اليهود، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً.

وقال ابن زيد: لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد

(١) مقاتل: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، أبو الحسن (.... - ١٥٠ هـ = - ٧٦٧ م) من أعلام المفسرين. أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث. (الأعلام: ٧: ٢٨١).

(٢) أكلة رأس: أي هم قليل يشبعهم رأس واحد. (القاموس: أكل).

(٣) يرفدنا: يعيننا.

أخاه، بين يديه شواء ورغيف ونبيد، فقال: أنت ها هنا في الشواء والرغيف والنبيد ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف! فقال: هلم إلى هذا، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً؛ فقال: كذبت والذي يحلف به - وكان أخاه من أبيه وأمه - أما والله لأخبرن النبي ﷺ أمرك. فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩﴾ [الأحزاب: ١٩] قال: ﴿أَشِحَّةً﴾ عليكم بالخير والنفقة في سبيل الله، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في رؤوسهم من الخوف والجبن، أي كدوران أعين الذي يُغشى عليه من الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ أي عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذرية^(١)، وأصل السلق: الضرب قال قتادة: يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا، فإننا قد شهدنا معكم القتال، ولستم بأحق بالغنيمة منا؛ وأما عند الغنيمة فأشخ قوم وأسوا مقاسمة، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يعني الغنيمة ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يعني هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم، وقد انصرفوا جُبناً منهم وفرقاً ﴿وَلَمَّا يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ أي يرجعوا إليهم كزة ثانية ﴿يُودُّوْا﴾ من الخوف والجبن ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْكُمُ عَائِدُونَ إِلَى الْبَادِيَةِ﴾ في الأعراب أي معهم ﴿يَسْتَلُوكُمْ عَنْ أُنْيَاكُمْ﴾ يسألون بعضهم بعضاً عن أخباركم، وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] أي رياء من غير حِسبة، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً.

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢١-٢٢] قال: قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي سنة صالحة أن تنصروه وتوازره، ولا تتخلفوا عنه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو؛ إذ كُسرَت رباعيته وجُرح، وقُتِلَ عَمَهُ حمزة، وأُوذِيَ بِضُرُوبِ الْأَذَى، فوأساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك، واستنوا بسنته، ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي

في الرخاء والبلاء، ثم ذكر المؤمنين بعود الله تعالى فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ الآية، قال: ووعد الله إياهم قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا لَنْ نَصُرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا صَاعِدُوا إِلَى اللَّهِ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ الآية، قال: ﴿صَدَقُوا﴾ أي وفوا به. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ يعني فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد. والنحب: النذر، والنحب أيضاً: الموت، قال ذو الرمة^(١): [من الطويل]

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مِلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرٍ^(٢)

أي مات، قال مقاتل: قضى نحبه، أي أجله، فقتل على الوفاء، يعني حمزة وأصحابه الذين استشهدوا بأحد، رضوان الله عليهم. وقيل: قضى نحبه، أي بذل جهده في الوفاء بعهده، من قول العرب: نَحَبَ فلان في سيره يومه وليلته؛ إذا مد فلم ينزل قال جرير^(٣): [من الطويل]

بِطُخْفَةٍ جَالَذْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسَطَامٍ جَرْنٍ عَلَى نَحْبٍ^(٤)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قال ابن إسحاق: ينتظر ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره.

ثم قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٢٤] وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا حَيْرًا﴾ يعني قريشاً

(١) ذو الرمة: (٧٧ - ١١٧ هـ = ٦٩٦ - ٧٣٥) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة. شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. كان شديد القصر، دميماً يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. توفي بأصبهان، وقيل بالبادية. (الأعلام: ٥: ١٢٤).

(٢) قال ابن هشام: «هوبر من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هوبر».

(٣) جرير: (٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٠ - ٧٢٨ م) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. كان غليظاً، وهو من أغزل الناس شعراً وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء. وكان يكنى بأبي حُرْزَة. (الأعلام: ٢: ١١٩).

(٤) طخفة: بكسر الطاء، وفتحها: جبل أحمر طويل حذاء آبار ومنهل، قال صاحب اللسان: «ويقال: جرير على نذر».

وغطفان ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤-٢٥]، وبيده الفضل والممة.

ذكر غزوة بني قريظة

غزاها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة خمس من هجرته. وقال ابن إسحاق: في سؤال منها.

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد، دخل حديث بعضهما في بعض، قالوا: لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل - عليه السلام - النبي ﷺ معتجراً^(١) بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة^(٢) عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ودعا رسول الله ﷺ علياً، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بني قريظة، فسار علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نفثته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً. ثم نزل ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا؛ ويقال: بئر أني^(٣)؛ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ «ولا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة». فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله ﷺ حتى يأتوا بني قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، وتخوف ناس من فوت الصلاة فصلوا، فما عتف رسول الله ﷺ أحداً من الفريقين، ولا عابهم الله تعالى في كتابه.

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها الرجل على رأسه، ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

(٢) الرحالة: سرج من جلود، لا خشب فيها تتخذ للركض الشديد.

(٣) هكذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أقوال في ضبطه. انظر: ٢: ١٥٤.

قال: وسار رسول الله ﷺ إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخييل ستة وثلاثون فرساً، فحاصروهم خمسة عشر يوماً. قاله ابن سعد.

قال ابن إسحاق: خمساً وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه فهلتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نُخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبينه، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نَظْهَرَ فلعمري لنجدن النساء والأبناء؛ قالوا: تقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة؛ قالوا: تفسد علينا سبتنا، وتحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؛ قال: ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة^(١) بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا؛ فأرسله إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال، وجهش^(٢) إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زلت^(٣) قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ. قال: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو كان جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَأَخْرَجُوا عَتَرَهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. قالت أم سلمة رضي الله

(١) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم.

(٢) جهش: فزع وأسرع.

(٣) كذا في الأصول. وفي ابن هشام والمواهب اللدنية والطبري: «ما زالت».

عنها: سمعت رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك، فقلت: مم تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: تيب على أبي لبابة. قالت: فقلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى، إن شئت. فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضْرَب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجذع ستّ ليال، تأتية امرأته في كل وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم تعود فتربطه.

هذا ما كان من أمر أبي لبابة؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعْيَة، وأسيد بن سَعْيَة، وأسد بن عبيد، وهم نفر من هَذَل، قال ابن إسحاق: ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله ﷺ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة^(١)، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني عثرات الكرام؛ ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه، فلم يُذَرَّ أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق. والله أعلم.

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ وسؤال الأوس فيهم؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم

قال: ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. يعنون بني قينقاع لما أطلقهم ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك سعد بن معاذ. وكان سعد في مسجد رسول الله ﷺ، في خيمة لامرأة من أسلم

(١) محمد بن مسلمة: (٣٥ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٨٩ - ٦٦٣ م) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك. اعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين. مات بالمدينة. (الأعلام: ٧: ٩٧).

يقال لها: رُقيدة، كانت تداوي الجرحى محتسبة، فأناه قومه فحملوه على حمار، ووطئوا له بوسادة من آدم^(١)، ثم أتوا به رسول الله ﷺ، وهم يقولون له: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولأك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، لكلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم». فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، والأنصار يقولون: قد عمَّ بها رسول الله ﷺ؛ فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري^(٢) والنساء. فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة^(٣) أرقة. أي من فوق سبع سماوات، ويقال: إن اليهود سألوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. والله تعالى أعلم.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة وأمر بهم فأدخلوا المدينة، فحبسهم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر بها خنادق، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا^(٤)، فضربت أعناقهم، وفيهم حُيي بن أخطب^(٥)، وكعب بن أسد^(٦)، واختلف في عددهم فقليل: كانوا ستمائة أو سبعمائة. وقيل: بين

(١) الأدم: الجلد.

(٢) الذراري: الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم.

(٣) قال ابن دريد: أرقة: (جمع رقيع) بتذكير العدد على معنى السقف، إذا السماء مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقة بتأنيث العدد، وسميت السماء رقيعاً لأن بعضها كان يرفع بعضاً وبعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لا غير، وكأنها رفعت بالنجوم.

(٤) أرسالا: أفواجاً وفرادى.

(٥) حُيي بن أخطب: (.... هـ - ٥ هـ = ٦٢٦ م) حبي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وأذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه. (الأعلام: ٢: ٢٩٢).

(٦) كعب بن أسد: كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة: شاعر جاهلي له مناقضات مع «قيس بن الخطيم» في يوم بعث. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

الثمانمائة والتسعمائة؛ قال: وقالوا: لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! قال: وأُتِيَ بِحَيِّي بن أخطب، وعليه حلّة له فُقاحية^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يَخْذِل الله يُخْذِل، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر ومَلَحْمَة كُتِبَت على بني إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه، فقال جَبَل بن جَوَال الثعلبي^(٢): [من الطويل]

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يَخْذِل الله يُخْذِل
لجَاهِد حتى أبلغ النفس عُذْرَهَا وَقَلْقَل يبغي العزَّ كلَّ مُقْلَقَلٍ^(٣)

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: لم يُقتَل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحَدَّث معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله؛ قلت لها: ويلك! ما لك؟ قالت: أُقتل؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجباً منها، طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقدي: واسم تلك المرأة: بُنَّانة امرأة الحكم القرظي، وكانت قتلت خَلَاد بن سُوَيْد، طرحت عليه رَحَى، فضرب رسول الله ﷺ عنقها بخَلَاد بن سُوَيْد. قال: وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بُعِث أخذه فجزَّ ناصيته ثم خَلَّى سبيله - فجاء ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني قد آن أن أجزيك

(١) فقاحية: بلون الورد حين هم أن يتفتح. وفي الأصل: «فقاحية»، وهو تحريف.

(٢) جبل بن جَوَال الثعلبي: جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن صارم بن إياس بن عبد غنم. الذبياني ثم الثعلبي. كان يهودياً مع بني قريظة، فأسلم ورثا حيي بن أخطب بأبيات منها: لعمرك... وبالنسبة لصحة هذه الأبيات راجع ترجمة جبل في: الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٢٢، رقم الترجمة: ١٠٧١.

(٣) قلقل كل مقلقل: تحرك كثيراً.

بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، فقد كانت للزبير عندي يد، وله عليّ مئة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسول الله ﷺ: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك؛ قال: شيخ كبير لا أهل ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أهله وولده؛ قال: هم لك. فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؛ قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله، فقال: هو لك؛ فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يترأى فيه عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مُقَدَّمنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا كررنا عَزَّال بن سموء؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقنني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قَبْلَهُ^(١) دُلُو ناضح حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت فضرب عنقه. فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة» قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً.

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس^(٢): [من الطويل]

وَقَتَّ ذِمَّتِي أَتَيْ كَرِيمٌ وَأَنْسِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَبِيرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِثَّةً عَلَيَّ فَلَمَّا شَدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكَّهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أثبت^(٣) منهم؛ فسألته سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سَلِيط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، وكانت قد صلّت معه القبليتين، وبايعته بيعة النساء على رفاة بن سموء القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفها، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاة بن

(١) قبله دلو: أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض، ثم يصرفها وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة. وذكر أبو عبيد الحديث فقال: «قال الزبير: يا ثابت، الحقني بهم، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو».

(٢) ثابت بن قيس: (... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وشهد أحداً، وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٢: ٩٨).

(٣) أثبت: ظهر شعر لحيته.

سموعل، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فوهبه لها، فاستخيت^(١).
 قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، فاصطفى لنفسه ربحانة بنت عمرو بن خثافة إحدى نساء عمرو بن قريظة، ثم أخرج الخمس من المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكان الشهمان على ثلاثة آلاف وائنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى مخميّة^(٢) بن جَزء الزُبَيْدي، فكان رسول الله ﷺ يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة، وهي السَّقَط من متاع البيت.
 وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أحد بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً.
 واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، طرحت عليه رَحَى فشدخته شدخاً شديداً، ومات أبو سنان بن منحصن بن حُرثان، أخو بني أسد بن خزيمة.
 وأنزل الله عز وجل في شأن بني قريظة قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧] قال: قوله: ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ يعني قريظة ظاهروا قريشاً وغطفان ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أي حصونهم ومعقلهم، واحداً صيصية ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا﴾ قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل: يعني خيبر. وقال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم.

ذكر سرية عبد الملك بن عتيك^(٣) إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق النضري بخيبر

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.

(١) استخيت: وهبته الحياة.

(٢) كان من مهاجرة الحبشة، فاستعمله رسول الله ﷺ على الأخماس.

(٣) عبد الله بن عتيك: (.... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري، صحابي، من القادة. شهد أحداً وما بعدها. واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٤: ١٠٢).

وقال ابن إسحاق: كانت هذه السرية بعد غزوة بني قريظة. فتكون في ذي الحجة سنة خمس من الهجرة، وهو الصحيح إن شاء الله، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذي الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بخير.

قال محمد بن إسحاق: لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. فتذاكروا: من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر، وهم: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم.

قالوا: وكان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب^(١) في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجغل العظيم لحرب رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عليهم عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكمّنوا، فلما هدأت الرّجل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن^(٢) باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية. ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح، فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فَعَلَوْهُ بأسياهم، قال ابن أنيس: وكنت رجلاً أعشى لا أبصر، فأتكأت بسيفي على بطنه حتى سمعت خشه في الفراش، وعرفت أنه قد قضى، وجعل القوم يضربونه جميعاً، ثم نزلوا وصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار. قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن [عتيك]^(٣) سيء البصر، فوقع من الدرجة فوثئت^(٤) يده وثثاً شديداً، قال ابن هشام: ويقال: رِجله؛ قالوا: فحملناه حتى أتينا منهراً من عيونهم - والمناهر؛ واحدها منهرة، وهو فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها كُناستهم - فدخلنا فيه.

قال محمد بن سعد: وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم بطلبونهم بالنيران، فلم يروهم، فرجعوا، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب. قال ابن إسحاق: فقلنا: فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ فقال رجل منا: أنا ذاهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس، فوجده ورجال من يهود

(١) أحلب: جمع.

(٢) يرطن: يتحدث.

(٣) في الأصول: «عبد الله بن أنيس». والتصويب عن ابن هشام، وأسد الغابة، والمواهب اللدنية، والطبري.

(٤) الوثء: صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم، وقيل: هو توجع في العظم من غير كسر.

حوله، وامراته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحذتهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول: فاظ^(١) وإله يهود. قال: فما سمعت كلمة كانت ألد في نفسي منها؛ وجاء فأخبرهم بالخبر، قالوا: فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا على رسول الله ﷺ، فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، كلنا يدعيه، فقال: هاتوا أسيافكم، فجثناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدماطي رحمه الله في سيرته: وفي حديث آخر أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده، قال: وهو الصواب. والله أعلم.

وقال حسان بن ثابت الأنصاري في قتل سلام بن أبي الحقيق وابن الأشرف: [من الكامل]

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف	لله در عصابة لأقيتهم
مرحاً كأسد في عرين مغرب ^(٢)	يسرون بالبيض الخفاف إليكم
فسقوكم حثفاً ببيض دقف ^(٣)	حتى أتوكم في محل دياركم
مستصغرين لكل أمر مجحف ^(٤)	مستنصرين لنصر دين نبيهم

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء، وهم بنو قرط وقريط من بني كلاب

بعثه رسول الله ﷺ لعشر خلون من المحرم، على رأس تسعة وخمسين شهراً من مهاجره في ثلاثين راكباً إلى القرطاء^(٥)، وهم ينزلون بناحية ضريبة^(٦) وبين ضريبة والمدينة سبع ليال، فقتل نفرأ منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعماً وشاء، ولم يعرض

(١) فاظ: مات.

(٢) في رواية: «بالبيض الرقاق»، يعني السيوف مدحاً: نشاطاً.

(٣) عرين مغرب: قال أبو ذر الخشني في شرح السيرة: ٢: ٣٢٦ «العرين: غابة الأسد. ومغرب: ملتف الأغصان.

(٤) دقف: سريعة القتل.

(٥) في ديوان حسان: «مستبصرين لنصر». مجحف: ذاهب بالنفوس والأموال.

(٦) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية، انظر ٢: ١٧٣.

(٦) ضريبة: قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة، وهي إلى مكة أقرب.

للظعن، وانحدر إلى المدينة، فخمس رسول الله ﷺ ما جاء به، وفَض ما بقي على أصحابه، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين بغيراً، والغنم ثلاثة آلاف شاة. وغاب سبع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرم.

ذكر غزوة بني لُحيان بناحية عُسفان^(١)

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره على ما أورده محمد بن سعد. وقال محمد بن إسحاق: في جمادي الأولى سنة ست. وذلك أن رسول الله ﷺ وَجَدَ^(٢) على عاصم بن ثابت وأصحابه أصحاب الرجيع - وَجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام.

قال ابن سعد: وعسكر لغزة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل، معهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن غُرَّان، وبينها وبين عُسفان خمسة أميال، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلما يقدرُوا على أحد، ثم خرج حتى أتى عُسفان، ثم انصرف ﷺ إلى المدينة، وهو يقول: «أيُّون تائبون عابدون لربنا حامدون، أعوذ بالله من وَغْشاء^(٣) السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال». وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد^(٤) وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ستة من مُهاجرِهِ. قالوا: كان لرسول الله ﷺ عشرون لَفْحَةً^(٥) ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر. وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غِفَار وامرأة له، فقتلوا الرجل

(١) عُسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة.

(٢) وجد: غضب.

(٣) وَغْشاء: مشقات، متاعب.

(٤) قَرَد: بفتح القاف والراء، وحكي الضم فيهما، وحكي ضم أوله وفتح ثانيه.

(٥) اللفحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

وحملوا المرأة في اللقاح. وجاء الصريخ، فنودي: الفزع الفزع! فنودي: «يا خيل الله اركبي»؛ وكان أول ما نودي بها؛ وركب رسول الله ﷺ، فخرج غداة الأربعاء، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو، وعليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه، وقال: امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلف سعد بن عباد في ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة. قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو، وقد قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي حبيب بن عيينة بن حِصْن، وغشاه برده، فلما أقبل رسول الله ﷺ والناس، فرأوا حبيباً مسجى^(١) يبُرد أبي قتادة، فاسترجع الناس، وقالوا: قتل أبو قتادة؛ فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنه قتل لأبي قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه. وقال ابن سعد: إن الذي قتل حبيباً هو المقداد بن عمرو، قتله وقتل قرفة بن مالك بن حُذَيْفَة بن بدر؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فقتلها. واستشهد من المسلمين يومئذٍ مُحَرِّز بن نضلة، قتله مسعدة، وأدرك سلمة^(٢) بن الأكوع القوم وهو على رجله، فجعل يُراميهم بالنبل ويقول: [من مجزوء الرجز]

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ^(٣)

حتى انتهى إلى ذي قرد - وهي ناحية خيبر ممّا يلي المُسْتَنَاح - قال سلمة: فلحقنا رسول الله ﷺ والناس والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح^(٤)، وأخذت بأعناق القوم. فقال النبي ﷺ: «ملككت فأسجج»^(٥)؛ ثم قال: «إنهم الآن ليُقَرَّوْنَ»^(٦) في غَطَفَان. وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال

(١) مسجى: مغطى.

(٢) كان شجاعاً رامياً يسبق الفرس، وما كذب قط.

(٣) يوم الرضع: يعني يوم هلاك اللثام، من قولهم: لثيم راضع، أي رضع اللؤم في بطن أمه. وقيل: معناه اليوم يعرف من ارتضعته الحرب من صغره، وتدرّب بها، ويعرف غيره (راجع المواهب: ٢: ١٨٢).

(٤) السرح: المال السائم المرسل في المرعى.

(٥) ملككت فأسجج: أي قدرت عليهم، فافرق وأحسن العفو.

(٦) يقرون: من القرى، وهي الضيافة. وقيل: يجمعون الماء واللبن لذلك تقرأ بفتح الراء وضمها حسب المعنى.

على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذى قرد، فاستنقذوا عشر لِقاح، وأفلت القوم بما بقي، وهي عشرة، وصلى رسول الله ﷺ بذى قرد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة يتحسس الخبر، وقسم في كل مائة من أصحابه جُزوراً ينحرونها، وكانوا خمسمائة، وقيل: سبعمائة.

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي^(١)

إلى الغمر غمر^(٢) مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد

قالوا: بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، فنذر^(٣) به القوم فهربوا، فنزلوا غلياً بلادهم، ووجدوا دارهم خلوفاً^(٤)، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحملوا فأصابوا ربيثة^(٥) لهم، فأمّنوه فدلّهم على نَعَم لبني عَمّ له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، وأرسلوا الرجل، وحذروا^(٦) النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً.

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذى القصة

قالوا: بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة، وهم بذى القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره، وبين ذي القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، طريق الرُبْدَة، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم ليلاً فأحرق به القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوه، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، يضرب كعبه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومروا رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح^(٧) في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحداً، ووجدوا نَعَمًا وشاء، فساقه ورجع.

(١) عكاشة بن محصن: (.... - ١٢هـ = ٦٣٣ م) عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة. قتله طلحة بن خويلد الأسدي. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٢) في الأصول، وكذا في المواهب: «غمر مرزوق»، والمثبت عن الطبقات وفي معجم البلدان: غمرة، فقد جاء فيه ما نصه: «وقال ابن الفقيه: غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاهما النبي ﷺ عكاشة بن محصن».

(٣) نذر: علم.

(٤) خلوفاً: أي أصحاب ديارهم غائبين.

(٥) ربيثة: طليعة.

(٦) حذروا: ساقوا.

(٧) أبو عبيدة بن الجراح: (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٥٨٤ - ٦٣٩ م) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال

الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. =

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره في أربعين رجلاً من المسلمين، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجديت، ووقعت سحابة بالمراس إلى تغلمين، والمراس على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفاً - موضع على سبعة أميال من المدينة - فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ومن معه حين صلوا المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية^(١) الصبح - وهي موضع في طريق العراق - فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورتة^(٢) من متاعهم. وقدم المدينة بذلك، فخمسه رسول الله ﷺ، وقسم ما بقي عليهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر سنة ست من الهجرة إلى بني سليم، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم - ناحية بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرد - فأصابوا عليه امرأة من مزية يقال لها: حليلة، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم، فأصابوا فيها نَعَمًا وشاء وأسرّى، فكان فيهم زوج حليلة المزيّة، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزيّة نفسها، وزوجها، فقال بلال بن الحارث المزيّ^(٣) في ذلك: [من الطويل] لعمرك ما أحنى المسؤل ولا وثّ حليلة حتى راح ركبهما معاً^(٤)

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لغير قریش

بعثه رسول الله ﷺ في جمادي الأولى سنة ست من مهاجره في سبعين ومائة

= ولد بمكة، شهد المشاهد كلها. وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد. توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان. (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

(١) عماية الصبح: يقال: لقيته في عماية الصبح، أي في ظلمته قبل أن أتبيته.

(٢) الرّثة: السقط من متاع البيت.

(٣) بلال بن الحارث المزيّ: (٦٠ - ... هـ = ٦٨٠ م) بلال بن الحارث المزيّ، أبو عبد الرحمن صحابي، شجاع، من أهل بادية المدينة. أسلم سنة ٥ هـ. وكان من حاملي ألوية «مزية» يوم الفتح. توفي في آخر خلافة معاوية عن ٨٠ عاماً. (الأعلام: ٢: ٧٢).

(٤) أحنى: أفحش.

راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة - وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فِضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزینب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته، ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ: إني قد أجزت أبا العاص. فقال رسول الله ﷺ: «ما علمت بشيء من هذا، قد أجزنا من أجزت». ورد عليه ما أخذ له كما تقدم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجره إلى الطرف - وهو ماء قريب من المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، طريق البقرة على المحجة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نَعْماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أمت أمت».

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى حِسمي، وهي وراء وادي القرى

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حِسمي في جمادى الآخرة أيضاً، وذلك أن دخية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله ﷺ بكتابه، وقد أجازته^(١) وكساه، ومع^(٢) دحية تجارة له، حتى إذا كان بوادٍ يقال له: شتار أو شتان^(٣)؛ أغار عليه الهنيد بن عارض، وقيل: ابن عوص؛ وابنه عارض بن الهنيد، وقيل: عوص بن الهنيد الضلعيان^(٤) في ناس من جذام بحسمى، ففقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه، فلم يتركوا عليه إلا سَمَل^(٥) ثوب، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب - رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب - فنفروا إلى الهنيد وابنه، وفيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال حتى لقوهم فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرّة بن أشقر الضفاري ثم الضلعي، فقال: أنا ابن لبني؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته، وقال:

(١) أجازته: أعطاه جائزة. وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفاً على ملكه.

(٢) كلمة ساقطة من المتن. والأقرب للمعنى (ومع دحية).

(٣) كذا في معجم البلدان والطبري. وفي الأصل: «شيار».

(٤) الضليح: بطن من جذام.

(٥) سمل ثوب: أي الخلق من الثياب. البالي منها.

خذها وأنا ابن لُبْنَى أمه، ثم استنقذوا لِدِحِيَةَ متاعه، وقدم دِحِيَةَ على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه دِحِيَةَ، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بني عُذْرَةَ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة، فرحل رِفاعَةَ^(١) بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحرم علينا حلالاً ولا تحلّ لنا حراماً. فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: يا رسول الله، أطلق لنا من كان حيّاً، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: صدق أبو يزيد؛ فبعث معهم عليّاً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجّه عليّ رضي الله عنه، فلقي رافع بن مكيث الجُهَنِي بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردّها عليّ عليهم، ولقي زيداً بالفحلتين^(٢) - وهي بين المدينة وذي المروة - فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد عليهم كلّ ما كان أخذ منهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى^(٣)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى وادي القرى أميراً في شهر رجب سنة ست من الهجرة. ولم يذكر غير ذلك.

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة^(٤) الجندل

قال محمد بن سعد رحمه الله: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من مهاجره، فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال: اغز بسم

(١) قدم رِفاعَةَ هذا على النبي ﷺ في هدنة الحديبية في جماعة من قومه فأسلموا، وعقد له رسول الله ﷺ على قومه. وكتب له كتاباً إلى قومه فأسلموا. وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد رسول الله إلى رِفاعَةَ بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوه إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدير فله أمان شهرين». راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٢.

(٢) كذا في الطبقات، ومعجم البلدان. وفي الأصل: «بالتحلتين»، وهو تحريف.

(٣) وادي القرى: وإد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة.

(٤) دومة الجندل: حصن وقرى من طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

الله، وقاتل في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغل^(١) ولا تغدر، ولا تقتل وليداً. وبعثه إلى كَلْب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم. فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً وهو رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن ثُمَاضِر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن.

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك

قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بفدك في مائة رجل، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهودَ خيبر، فسار علي رضي الله عنه بمن معه، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج^(٢) - وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأمنوه فدلهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وير بن عليم، فعزل علي رضي الله عنه صفي^(٣) رسول الله ﷺ لَقُوحاً تدعى الحفدة^(٤)، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيداً.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى وقتل أم قرفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل^(٥) زيد بن حارثة، وقدم على النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم. حكاها محمد بن سعد في طبقاته.

(١) غلّ: خان.

(٢) الهمج: في الأصول: «الهمج»، وصوابه من الطبقات. انظر معجم البلدان.

(٣) الصفّي: ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.

(٤) الحفدة: السريعة.

(٥) استبل: عوفي.

وقال محمد بن إسحاق: إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادي القرى، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه، وارثت^(١) زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة.

قال ابن سعد: فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمنوا النهار وساروا الليل، ونذرت^(٢) بهم بنو بدر، ثم صحبهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر^(٣)، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله ﷺ، فوهبها ﷺ لحزن بن أبي وهب، وقال: وعمد قيس بن المَحْسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلاً، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما، فذهبا فقطعاهما^(٤)، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرق باب النبي ﷺ فقام إليه عُريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به.

ذكر سَريّة عبد الله بن رواحة إلى أُسَير^(٥) أبن رِزام^(٦) اليهودي بخيبر

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أمرت يهود عليها أُسَير بن رِزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سراً سأل عن خبره وغِرتَه^(٧)، فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أُسَير فقالوا له: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؛ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؛ قالوا: نعم، فقالوا له: إن رسول

(١) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

(٢) نذرت بهم: علمت بهم، فحذرتهم.

(٣) الحاضر: من حضر هناك من فزارة.

(٤) في شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أن زيداً إنما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ قيل: لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها، وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمداً».

(٥) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٦) في الأصول: «زارم» والتصويب من المواهب وابن هشام.

(٧) غرتَه: غفلته.

الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك. فطمع أسير في ذلك، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجل رديف^(١) من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة^(٢) ثبار ندم أسير، قال عبد الله ابن أنيس - وكان في السرية: فأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت: غدرأ أي عدو الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف، فأنذرت^(٣) عامة فخذة وساقه، وسقط عن بعيره وبيده مخرش^(٤) من شوحط^(٥)، فضربني به فشحني مأمومة^(٦)، وولنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً، ولم يُصَب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا على رسول الله ﷺ فحدثناه الحديث، فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين. وتفل ﷺ على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح^(٧) ولم تؤذه.

ذكر سرية كرز بن جابر الفهري^(٨) إلى العرنيين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا: قدم نفر من عُرينة ثمانية على رسول الله ﷺ فأسلموا واستؤيؤوا^(٩) المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه، وكانت ترعى بذى الجدر - ناحية قُباء قريباً من عَيْر، على ستة أميال من المدينة - فكانوا فيها حتى صبحوا وسمنوا، فعَدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله ﷺ ومعه نفر، فقاتلهم، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً،

(١) الرديف: الذي يركب خلف الراكب.

(٢) قرقرة ثبار: موضع على ستة أميال من خير.

(٣) أنذرت: قطعت.

(٤) المخرش والمخراش: عصا معوجة الرأس.

(٥) شوحط: من شجر الجبال، تتخذ منه القسي.

(٦) شجة مأمومة: بلغت أم الرأس.

(٧) تقح: يتحول الدم فيها إلى قيح، أي عمل.

(٨) كرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسل بن لاحب... القرشي الفهري، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم. أغار على سرح المدينة مرة فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز وهذه هي غزوة بدر الأولى. ولما عدا العرنيون على غلام النبي ﷺ بعث النبي ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٢٩٠ رقم الترجمة (٧٣٩٤).

(٩) استؤيؤوا: استوخموا.

واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهري، فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله ﷺ بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه بالزغبة^(١) بمجتمع السيول، فأمر بهم ففُطعت أيديهم وأرجلهم، وسُمِلت أعينهم، وُصِّلوا هنالك، وأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. فلم يسمل بعد ذلك عيناً، وكانت اللقاح خمس عشرة لَفحة غِزاراً فردوها إلى المدينة، ففقد منها لَفحة تدعى الحناء، فسأل رسول الله ﷺ عنها، ف قيل: نحروها.

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد في طبقاته: وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يَغْتَرُّ^(٢) محمداً فإنه يمشي في الأسواق؟ فاتاه رجل من الأعراب فقال: قد وَجَدْتُ أجمع الرجال قلباً، وأشدّه بطشاً، وأسرعه شداً، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، ومعني خنجر مثل خافية^(٣) النسر؛ قال: أنت صاحبنا؛ فأعطاه بغيراً ونفقة، وقال: اطو أمرك؛ فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل فسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا ليريد غدرًا». فذهب ليحجني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن الحضير بداخله^(٤) إزاره، فإذا بالخنجر، فسَقَطَ^(٥) في يده، وقال: دمي دمي! وأخذ أسيد بلبته فدَعَتْه^(٦)، فقال له رسول الله ﷺ: «أضدقني، ما أنت؟» قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، فأخبره بخبره، فخلّى عنه ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري^(٧)، وسلمة بن أسلم بن أبي

(١) ضبطت في القاموس بضم الزاي، وفي معجم البلدان بفتحها.

(٢) يغتر: يأتيه على غفلة. وفي الأصول: «يغر» وطوباه عن المواهب فيما نقله عن الطبقات.

(٣) خافية النسر: ريشة صغيرة في جناح النسر دون العشر ريشات التي في مقدم الجناح.

(٤) داخله الإزار: طرفه وحاشيته من الداخل.

(٥) سقط في يده: ندم.

(٦) دَعَتْه: خنقه أشد الخنق.

(٧) عمرو بن أمية الضمري: (... - نحو ٥٥ هـ = ... - نحو ٦٧٥ م) عمرو بن أمية بن خويلد بن =

حريس^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه؛ فدخل مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، وأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير، فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبید الله بن مالك بن عبد الله التميمي فقتله، وقتل آخر من بني الدليل، سمعه يتغنى ويقول: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول الله ﷺ، ورسول الله يضحك هكذا حكى محمد بن سعد.

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد مقتل حبيب بن عدي وأصحابه، قال: فخرجنا حتى قدما مكة، وحسبا جملتهما بشعب من شعاب يأجج^(٢)، ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبار بن صخر لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال عمرو: فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلي رجل فعرفني فقال: عمرو بن أمية، والله إن قديمها إلا لشرب؛ فقلت لصاحبي: النجاء؛ فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يسوا منا، فدخلنا كهفاً في الجبل فبتنا، وقد رَضَمْنَا^(٣) دوننا الحجارة، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له، فغشينا ونحن في الغار، فقلت: إن رأنا صاح بنا فنؤخذ فنقتل؛ قال: فخرجت إليه فضربته على ثدييه بخنجر كنت قد أعددت لأبي سفيان فصاح صيحة أسمع أهل مكة، ورجعت فدخلت مكاني، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق، فقالوا: مَنْ ضريك؟ قال: عمرو بن أمية. ومات لوقته، ولم يدل علينا، فاحتملوه، فقلت لصاحبي لما أمسينا: النجاء، فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة،

= عبد الله الضمري: شجاع من الصحابة. اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدرًا وأحدًا، ثم أسلم. وحضر بئر معونة. عاش في أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة. مات بالمدينة في خلافة معاوية (الأعلام: ٥: ٧٣).

(١) سلمة بن أسلم: (٤٩ ق هـ - ١٤ هـ = ٥٧٥ - ٦٣٥ م) سلمة بن أسلم بن حريس الخزرجي الأنصاري، أبو سعد، صحابي من الشجعان. شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها. وخرج في جيش أسامة بن زيد لغزوة الروم. استشهد يوم جسر أبي عبيد. (الأعلام: ٣: ١١٢).

(٢) يأجج: اسم موضع بمكة.

(٣) رضم الحجارة: جعل بعضها على بعض.

فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة حبيب، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو؛ قال: فلما حاذى عمرو الخشبة شد عليها واحتملها، وخرجا شداً، وخرجوا وراءه، حتى أتى جُزْفاً بمهبط مَسِيلٍ يَأْجَج، فرمى بالخشبة في الجُرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه. قال عمرو: وقلت لصاحبي: النجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني سأشغل عنك القوم؛ قال: ومضيت حتى خرجت على ضُجْنان^(١)، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفاً، فبينما أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدليل أعور، في غُنيمة له؛ فقال: مَنْ الرجل؟ قلت: من بني بكر، فَمَنْ أنت؟ قال: من بني بكر؛ فقلت: مرحباً؛ فاضطجع، ثم رفع عقيرته فقال: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حيّاً ولست أدين دينَ المسلميِّنا
فقلت في نفسي: ستعلم؛ فأملهته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سيّتها^(٢) في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم، ثم خرجت حتى جثت العُرج^(٣)، ثم سلكت رُكوبة^(٤)، حتى إذا هبطت النقيع^(٥) إذا رجلا من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة يتحسّسان؛ فقلت: استأسرا، فأبيا، فرميت أحدهما بسهم فقتلته، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطاً، وقدمت به المدينة.
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية، في أي شهر كانت، فأذكره.

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَّة^(٦) وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَّة في ذي الحُجة سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.
قال محمد بن سعد: استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهيّؤوا، ولبس رسول الله ﷺ ثوبين، وركب راحلته القُصواء^(٧) وخرج، وذلك يوم

-
- (١) ضُجْنان: اسم جبل بمكة.
(٢) سية القوس: ما عطف من طرفها.
(٣) العُرج: اسم منزل بطريق مكة، أو وادٍ بالحجاز.
(٤) ركوبة: ثنية بين مكة والمدينة عند العرج.
(٥) النقيع: موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة.
(٦) الحُدَيْبِيَّة: بئر سمي المكان بها، وقيل: شجرة حذاء يسمى المكان بها، وقيل: قرية متوسطة قرية من مكة.
(٧) القُصواء: لقب ناقة لرسول الله ﷺ.

الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وقال ابن إسحاق: استعمل على المدينة ثُمَيْلَةُ بن عبد الله اللَّيْثِي. قال ابن سعد: ولم يُخرج رسول الله ﷺ معه^(١) سلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرْب، وساق بُدْنًا^(٢) وساق أصحابه بدناً، فصلى الظهر بذي الحُلَيْفَة: ثم دعا بالبدن التي ساق فجُلَّت^(٣)، ثم أشعرها^(٤) في الشَّقِّ الأيمن وقلدها^(٥)، وأشعر أصحابه أيضاً، وهي مَوَجَّهَات إلى القبلة، وهي سبعون بَدَنَةً، فيها جمل أبي جهل الذي غَنِمه رسول الله ﷺ يوم بدر، وأحرم رسول الله ﷺ ولتي، وقَدَّم عبَّاد بن بشر أمامه طليعةً في عشرين فارساً من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه ﷺ من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل: ألف وستمائة؛ ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا بِبَلَدَح^(٦) وقَدَموا مائتي فارس إلى كُرَاع^(٧) الغميم، عليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة بن أبي جهل.

قال محمد بن إسحاق: قال الزهري: لما كان رسول الله ﷺ بعُصْفَان لقيه بشر بن سُفْيَان الكعبي - قال ابن هشام: ويقال: بُسْر - فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العَوْدُ^(٨) المَطَافِيل، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذي طَوًى، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كُرَاع الغميم. فقال رسول الله ﷺ: «ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خَلَوْا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظن قريش؟ والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٩)». قال محمد بن سعد: ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب

(١) حذف المؤلف المفعول هنا، والتقدير لم يخرج معه أحداً.

(٢) البدن: جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة.

(٣) جللت: ألبست ما تصان به.

(٤) أشعرها: أعلمها، وذلك بأن ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنها هدي.

(٥) قلدها: علق في عنقها شيئاً ليعلم أنها هدي.

(٦) بلدح: وإد قبل مكة من جهة الغرب.

(٧) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٨) العود المطافيل: النوق التي وضعت أولادها حديثاً، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.

(٩) السالفة: صفحة العنق، وكنى بانفرادها على الموت.

رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر فتقدم في خيله، فأقام بإزائه وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فلما أمسى ﷺ قال لأصحابه: تيامنوا في هذا الموضع العُضْل^(١) - موضع منعطف في الوادي - فإن عيون قريش بمرّ الظَّهران وبضُجَّنان. فسار حتى دنا من الحديبية، وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة، فوقعت يدا راحلته على ثنية تهبط على غائط^(٢) القوم، فبركت.

وقال ابن إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره: إن رسول الله ﷺ لما كان بغدير الأشطاط^(٣) قريباً من عُسفان أتاه عيَّته^(٤) الخزاعي، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعا لك الأحابيش^(٥)، وهم مقاتلون وصاذوك عن البيت؛ فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يحبثوا تَكُنْ عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال رسول الله ﷺ: فَرُوحُوا إِذَا؛ فراحوا، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله ﷺ ما قدمناه إلى قوله: أو تنفرد هذه السالفة. ثم قال رسول الله ﷺ: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله. فخرج بهم على طريق وعر حَزَن^(٦) بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه، ففعلوا، فقال: والله إنها لَلْحِطَّةُ^(٧) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها؛ ثم قال رسول الله ﷺ للناس: اسلكوا ذات

(١) العُضْل: «العُضْل: موضع بالبادية كثير الغياض». وفي ابن سعد وإمتاع الأسماع: «في هذا العُضْل». والعُضْل: الرمل الملتوي المغوج.

(٢) غائط القوم: متسع من الأرض (اللسان: غوط).

(٣) غدِير الأشطاط: موضع تلقاء الحديبية.

(٤) عيَّته: الذي يأتيه بالأخبار.

(٥) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة، وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش، وقيل: تحت جبل يقال له: الحبشي أسفل مكة. وقيل: سموا بذلك لتحبشهم، أي تجمعهم.

(٦) حزن: غليظ، صعب.

(٧) الحطة: يشير إلى قول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَتَوَلَّوْا حِطَّةً﴾ ومعناه: اللهم حط عنا ذنوبنا.

اليمن في طريق يخرج به على ثنية المزار^(١) على مهبط من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأَت خيل قريش قُترة^(٢) الجيش، وأن رسول الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المزار بركت به ناقته، فقال الناس: حَلْ^(٣) حَلْ؛ فقال: ما حل؛ قالوا: خَلَّتْ^(٤) القَصْواء؛ فقال ﷺ: «ما خَلَّتْ وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس^(٥) الفيل»؛ ثم قال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش إلى خُطة يعظمون بها حرَمات الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»؛ ثم قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرّضه^(٦) الناس تبرّضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه، يقال له: ناجية بن عُمر بن يَعمَر بن دارم، وهو سائق بُذَن رسول الله ﷺ، فنزل في تلك البئر فغرز في جوفها فجاش^(٧) الماء بالزّي، حتى صدروا^(٨) عنه؛ ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القليب يميح^(٩) على الناس، فقالت: [من الرجز]

يا أيها المائح ذلوي ذُونُكا إني رأيت الناس يَحْمَدونُكا

يشنون خيراً ويمجدونُكا أرجوك للخير كما يرجونُكا

فقال ناجية: [من الرجز]

قد علمت جاريةً يَمَانِيه أتني أنا المائح واسمي ناجيه

وطغنة ذات رشاش واهيه طعننها تحت صدور العاديه^(١٠)

قال ابن إسحاق: ناجية بن جندب بن عُمَيْر الأسلمي؛ قال: وزعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب^(١١) كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ. قال

(١) ثنية المزار: في الأصل: «المران» وهو تحريف.

(٢) قُترة الجيش: غباره.

(٣) حل حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. (راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٢١).

(٤) الخَلَّتْ: جران الإبل.

(٥) حابس الفيل: أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٦) يتبرّضه الناس: أي: يأخذونه قليلاً قليلاً.

(٧) جاش: فار.

(٨) صدروا: رجعوا.

(٩) الميح: أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلّة مائها.

(١٠) العادية: القوم الذين يعدون. أي: يسرعون العدو.

(١١) البراء بن عازب: (... ٧١ هـ = ... ٦٩٠ م) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو =

محمد بن إسحاق والثعلبي: روي عن الزُّهري عن عُرْوَة بن الزبير عن المشور عن مخرمة ومروان بن الحكم: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أنه بُدِّل بن ورقاء^(١) الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عَيْنَة^(٢) نُصِح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلا أعداد^(٣) مياه الحديبية، معهم العوذ^(٤) المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرّت بهم، فإن شاءوا ماددناهم^(٥) مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جُمُوا^(٦)، فوالله لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو ليُنفذن الله أمره. قال بُدِّل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم: هات كما سمعته يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، وقال لهم: إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فاتهموه وجَبَّهوه^(٧) وقالوا: إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة^(٨) أبداً، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هذا رجل غادر. وفي رواية: «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي ﷺ، ثم بعثوا إليه الحليّس بن علقمة أو ابن زَبَّان^(٩)،

= عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(١) بديل بن ورقاء الخزاعي: بدل بن ورقاء بن عمر بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي. له صعبة، سكن مكة، ويقال: إنه قتل بصفين. كان إسلامه قبل الفتح، وقيل يوم الفتح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٤١. رقم الترجمة ٦١٤.

(٢) عينة نصح: موضع نصح.

(٣) أعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له. ويطلق أيضاً على الكثرة في الشيء.

(٤) العوذ المطافيل: النساء والصبيان (اللسان: عوذ).

(٥) ماددناهم مدة: جعلنا بيننا وبينهم مدة ترك الحرب فيها.

(٦) جُمُوا: استراحوا.

(٧) جبَّهوه: لقوه بما يكره.

(٨) عنوة: قسراً، رغماً.

(٩) كذا في ابن هشام، والطبري، وفي الأصل: «ابن ريان».

وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا من قوم يتألهون^(١)، فابعثوا الهدي^(٢) في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوباره^(٣) من طول الحبس عن محله^(٤) رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك؛ فقالوا له: يا حليس، إنما أنت أعرابي لا علم لك، فقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاهدناكم، أئصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد؛ فقالوا له: مة، كف عنا يا حليس، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به؛ قال: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي^(٥) فقال لهم: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم^(٦)، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوشاب^(٧) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٨) لتفضها بهم؟ يا محمد، أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك؟ وإنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمرور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عثة أبداً، وإني لأرى وجوهاً وأوشاباً من الناس خليفاً^(٩) أن يفرّوا ويدعوك، وأيم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غداً عنك. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال لعروة: امصص بظنر

(١) التأله: التعبد، قال رؤبة: ضحكن واستهزأن من تألهي.

(٢) الهدي: المواشي التي تضحي في الحج.

(٣) أوباره: جمع وبر، وهو صوف الإبل.

(٤) محل الهدي: الموضع أو الوقت الذي يحل فيه نحره.

(٥) عروة بن مسعود: (.... - ٩هـ = ٦٣٠ م) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي. صحابي مشهور. قيل إنه المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَنَ رَجُلٌ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمًا﴾، ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني! فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالقوه، ورماه أحداهم بسهم فقتله. (الأعلام: ٤: ٢٢٧).

(٦) نابكم: أصابكم.

(٧) أوشاب الناس: أخلاط الناس، وأوشاب: مثل أوباش.

(٨) بيضتك: أصلك وعشيرتك.

(٩) في الأصول: «خلقاً» والتصويب من المواهب.

اللات، أنحن ننكشف عنه؟ واللات طاغية ثقيف التي كانوا يعبدونها - فقال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة؛ قال: أما والله لولا يد^(١) كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها. قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه، والمغيرة بن شعبة^(٢) واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ، ويقول: اكف يديك عن وجه رسول الله ﷺ قبل ألا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفظك وما أغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة» قال: أي غدر، وهل غسلت سواك إلا بالأمس؟ - وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «أما الإسلام فقد قبلناه، وأما المال فإنه مال غدر، ولا حاجة لنا فيه». قال: ولما قتلهم المغيرة تهايج^(٣) الحيتان من ثقيف: رهط القتلى ورهط المغيرة، فودى^(٤) عروة المقتولين ثلاثة عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر، فلذلك قال للمغيرة ما قال - قال: ثم كلم رسول الله ﷺ عروة بنحو ما كلم به أصحابه، فقام من عند رسول الله ﷺ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون^(٥) النظر إليه تعظيماً له. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، والله لقد وقدت على الملوك؛ وفدت على قيصر في ملكه، وكسرى في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة^(٦) إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يُحدون النظر إليه تعظيماً له، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه

(١) كان عروة قد تحمل بديّة فأعانه فيها أبو بكر بعشر خلاص، وكان غيره يعينه بالانئين والثلاث.
(٢) المغيرة بن شعبة: (٢٠ ق هـ ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠ م) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي يقال له: «مغيرة الرأي» ولد في الطائف. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفنوح الشام. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات. (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) تهايج: اضطرب.

(٤) ودّى: دفع الدية.

(٥) يحدون: يحدقون.

(٦) نخامة: ما يخرج من الخيشوم عند التنخم (المخط): اللسان: نخم.

لشيء أبداً، فَرَوْا رأيكم. وفي رواية قال: وإنه قد عرض عليكم خطة رُشد فاقبلوها.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي، إلى قريش بمكة، وحمله على بعير يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له، فعمقوا الجمل وأرادوا قتل خراش، فمنعته^(١) الأحابيش، فخللوا سبيله. قال: وبعثت قريش أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا وأتوا بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وكانوا رموا في العسكر بالحجارة والنبل. ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيعه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدّي بن كعب أحد يمنعي، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعزّ بها مني، عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة. فخرج حتى أتى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص^(٢) حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحملة بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطّف؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فاحتسبته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قُتل. فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرحُ حتى نناجزَ القوم». ودعا الناس إلى البيعة.

ذكر بيعة الرضوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، قال الثعلبي: وكانت سُمرة^(٣). قال: وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال: «لا نبرحُ حتى نناجزَ القوم»؛ ودعا الناس إلى البيعة، قال: فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وقال عبد الله بن مُعقل: كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السُمرة أذب عنه وهو يبايع الناس، فلم يبايعهم على الموت وإنما

(١) منعه: حمته.

(٢) أبان بن سعيد بن العاص: (.... - ١٣ هـ = ٦٣٤ م) أبان بن سعيد بن العاص الأموي أبو الوليد: صحابي من ذوي الشرف كان في عصر النبوة شديد الخصومة للإسلام والمسلمين، ثم أسلم سنة ٧ هـ. استشهد في وقعة أجنادين على الأرجح، وقيل مات في خلافة عثمان. انظر (الأعلام: ١: ٢٧).

(٣) السمرة: شجرة الطلح.

بايعهم على ألا يفرّوا. قال جابر بن عبد الله: فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجذّ بن قيس أخو بني سلمة، لكأنني أنظر إليه لاصقاً يابط ناقتة، مستتراً بها عن الناس.

وكان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان من بني أسد يقال له: أبو سنان بن وهب. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل. واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان، وهو مبني على الاختلاف في عدد أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم؛ لم يتخلف منهم إلا الجذّ بن قيس، قالوا: ولما بايع رسول الله ﷺ الناس بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وروي أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فسأله عن عثمان رضي الله عنه، أكان شهد بدرًا؟ قال: لا؛ قال: أكان شهد بيعة الرضوان؟ قال: لا؛ قال: فكان من الذين تولّوا يوم التقي الجمعان؟ قال: نعم. قال: فانطلق الرجل؛ فقبل لعبد الله بن عمر: إن هذا يرى أنك قد عتبه، قال: عليّ به؛ فأني به فقال: أما بدر فإن رسول الله ﷺ قد ضرب له بسهمه وأجره؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله ﷺ فيدُ رسول الله ﷺ خير من يد عثمان، وأما الذين تولّوا يوم التقي الجمعان فقد عفا الله عنهم، فاجهد عليّ جهْدَكَ^(١).

وأنزل الله عزّ وجلّ في الذين بايعوا رسول الله ﷺ هذه البيعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. قال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة. وقال ابن كيسان: قوة الله ونُصرتَه فوق قوتهم ونصرتهم. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَكُنْ فَإِنَّمَا يَكُنْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] وهو الجنة. وقوله تعالى في السورة أيضاً: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء، ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. قيل: فتح خيبر؛ روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال: ثم بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو^(٢) أخا بني عامر بن لؤي، فقالوا: إيتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا.

(١) اجهد جهْدَكَ: ابلغ غايته.

(٢) سهيل بن عمرو: (.... - ١٨ هـ = ٦٣٩ م) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر. وافندي =

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «قد سهل أمركم، القوم ماثون»^(١) إليكم بأرحامكم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهذي وأظهروا التلبية، لعل ذلك يلين قلوبهم». فلبّوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، قال: وانتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وتكلم فأطال، وتراجعا، ثم جرى الصلح بينهما، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله ﷺ حقاً؟ قال: بلى؛ قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أو ليسوا المشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نُعْطِي الدِّينَةَ^(٢)؟ قال أبو بكر: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس نعصي رأيه، فاستمسك بغرزه^(٣) حتى تموت، فوالله إنه لعلّى الحق؛ قال عمر: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال: ثم جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: أأست رسول الله؟ قال: «بلى» قال: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». وفي رواية قال: «إني عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعني». قال عمر: أأست تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟» قال عمر: لا؛ قال: «فإنك آتية ومطوف به». قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيراً. قالوا: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»؛ فقال سهيل: أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، قال المسلمون: لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، فكتبها، ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني»؛ ثم قال

= فأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة، فأسلم. وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية. مات بالطاعون في الشام. راجع (الأعلام: ٣: ١٤٤).

(١) ماثون إليكم بأرحامهم: متشفعون بصلة القربى.

(٢) الدنية: الخصلة الخسيسة.

(٣) استمسك بغرزه: أي تمسك بأمره، فلا تخالفه، كالذي يتمسك بركاب الراكب والغرز للإبل بمنزلة الركاب للفرس.

لعلّي: «امحُ رسول الله». فقال: والله لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله ﷺ، وليس يحسن يكتب فمحاها؛ ثم قال: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتنغي من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، وعلى أنه من أتى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يرّوه عليه». فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً. وأن بيننا عيبة^(١) مكفوفة، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلal، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه». فتوالت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتوالت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنفطوف به» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضُغطة^(٣)، ولكن لك ذلك من العام المقبل؛ فكتب: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القُرب، وسلاح الراكب، وعلى أن هذ الهدي حيثما حبسناه محلّه، لا تقدّمه علينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «نحن نسوقه وأنتم تردّون وجوهه!» قال: فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو؛ إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسّف في قيوده، وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيّبه، وقال: يا محمد، قد تمّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا؛ ثم جعل يجزّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أرّذ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا

(١) عيبة مكفوفة: أي: أموراً مطوية في صدور سليمة، إشارة إلى ترك المؤاخذه بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها.

(٢) لا إسلال ولا إغلal: لا سرقة ولا خيانة.

(٣) الضغطة: الإكراه والشدة.

قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً، وإنّا لا نغدير». قال: فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب - ويدني قائم السيف منه - قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه.

قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم، قالوا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة. أخا بني عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأخيف، وهو مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكان هو كاتب الصحيفة. قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيته سار مع الهذلي، وسار الناس، فلما كان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون، فردّوا وجوهه، فوقف النبي ﷺ حيث حبسوه، وهي الحديبية، وقال لأصحابه: «قوموا فأنحروا، ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات؛ فلما لم يقم منهم أحد قام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس؛ فقالت له أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله، اخرج ولا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعو حلاقك فيحلقك. فقام ﷺ فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حلاقه فحلقه، وكان الذي حلّقه ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس ذلك قاموا فأنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً. قال عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين». قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المقصرين» قالوا: يا رسول الله، فلم ظهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين؟ قال: «لأنهم لم يشكّوا». قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم قالوا: لعلنا نظوف بالبيت.

ذكر رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح

قال الزُّهري: وانصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

روى قتادة عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حبل بيننا وبين نسكنا^(١)، ففتح بين الحزن، والكآبة، وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ الآية كلها، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا كلها». وعن زيد بن أسلم^(٢) عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، قال عمر رضي الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل في قرآن، فجنث رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت عليّ الليلة آية لهنّ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس». ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. وقد اختلف في الفتح، ما هو؟ فقال قتادة عن أنس: فتح مكة، وقال مجاهد والعوفي: فتح خيبر، وقال آخرون: فتح الحديبية، ويدل عليه ما روي عن مجمع بن جارية الأنصاري^(٣)، - وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون^(٤) الأباغر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نوجف^(٥)، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم^(٦)، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح». وقال الشعبي رحمه الله: فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهذلي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن حيان: يسرنا لك يسراً بيناً وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آدْرَى مَا يَفْعَلُ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلا واحد، فأنزل الله عز وجل بعدما رجع من الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ أي قضينا لك قضاء بيناً ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

(١) الطاعة والعبادة، وهي هنا بمعنى الذبائح.

(٢) زيد بن أسلم: (... - ١٣٦ هـ = ... - ٧٥٣ م) زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم. أبو أسامة أو أبو عبد الله، فقيه، مفسر من أهل المدينة. وكان ثقة كثير الحديث. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٣) مجمع بن جارية: (... - نحو ٥٠ هـ = ... - نحو ٦٧٠ م) مجمع بن جارية أو ابن يزيد بن جارية) بن عامر، أحد من جمع القرآن إلا يسيراً منه، عن النبي ﷺ وكان ذلك في صباه. مات في المدينة، في خلافة معاوية. (الأعلام: ٥: ٢٨٠).

(٤) يهزون الأباغر: ينشطونها بالحداء لتخف وتسرع في سيرها.

(٥) الإيجاف: سرعة السير.

(٦) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة.

مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿فَنَسَخْتُ هَذِهِ الْآيَةَ تِلْكَ﴾. قال سفيان الثوري^(١): ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ﴾ ما عملت في الجاهلية، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كل شيء لم يعمل. وقال عطاء بن أبي مسلم الخراساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك. وقال الزياتي: أي لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكَ﴾ أي بالنبوة والحكمة ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي ويثبتك عليه، وقيل: يهدي بك، ﴿وَيُضَرِّكُ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٣] غالباً، وقيل: معزاً.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، قال الثعلبي: أي الرحمة والطمأنينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله عز وجل نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ أي تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان. وقال الضحاك: يقيناً مع يقينهم. وقال الكلبي: هذا في أمر الحديبية. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما قرأ على الناس قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] ثم قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالشِّرْكِيَّاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَرْفُ السُّوءِ﴾ إن لم ينصر محمد والمؤمنون ﴿عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَعُصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] إلى قوله: ﴿وَنَسِخْهُ بُكْرَةً وَأَمِيلًا﴾ [الفتح: ٩] ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة، وقد تقدمت.

ثم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١] قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم والدليل، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل

(١) سفيان الثوري: (٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة خرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتواري، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً. (الأعلام: ٣: ١٠٤).

البوادي، ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعُمرة وساق معه الهدّي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾، الآية. أي إذا انصرفت إليهم فعابتبتهم على التخلف عنك ﴿شَقَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَعْلَوْنَا فَاستَغْفِرْ لَنَا﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم، وأخبر عن أسرارهم وإضمارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسِيَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَذُوتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلت رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُعْتَدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥] قال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ أي عن الحديبية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهن غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً. وقال ابن زيد: هو قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لَاحْزُوجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] قال: والأول أصوب، لأن قوله تعالى: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ نزلت في غزوة تبوك. قال: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل مرجعنا إليكم: إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُعْتَدُونَ﴾ أي أن نصيب معكم من الغنائم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد: هم فارس. وقال كعب الأحبار: الروم. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: هوازن. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل: بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى: ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى

قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ولا نعلم مَنْ هم حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَئِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزَّمان^(١): فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ يعني عن التخلف عن الجهاد والقعود عن الغزو ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ يعني في ذلك ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

ثم أخبر الله تعالى نبيه ﷺ برضاه عن أهل بيعة الرضوان، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقد تقدّم ذكر ذلك آنفاً. ثم قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾. وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر. وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر. ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١] قال: معناه ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق: هي خيبر، وعدها الله تعالى نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها. وهي رواية عطية وبازان عن ابن عباس. وقال قتادة: هي مكة. وقال مجاهد: ما فتحوها حتى اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]، قال: يعني أسد وغطفان وأهل خيبر. وقال قتادة: يعني كفار قريش: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَانِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]؛ واختلفوا في هؤلاء، فقال أنس: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم^(٢) عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلماً^(٣)

(١) ذوو العاهات. (٢) موضع بمكة في الحل، بين مكة وسرف.

(٣) سلماً: قال ابن الأثير: «يرى بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصِّلح». وقال الخطابي: «إنه السِّلْم بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان».

فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عكرمة عن ابن عباس: إن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ: وقد قدمنا ذكرهم.

وقال عبد الله بن مغفل: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فخلّى عنهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل الآية. وقيل: غير ذلك. والله تعالى أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ﴾ الآية. وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَرِسَالَةٌ مُّؤَمِّنَةٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا﴾ [الفتح: ٢٥] قال: قوله: ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي تقتلوهم: ﴿فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال ابن زيد: إثم. وقال ابن إسحاق: عُرِمَ الدية. وقيل: الكفارة، لأن الله عز وجل إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله إيمانه الكفارة دون الدية. وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم. والمعرّة المشقة، وأصلها من العُرّ وهو الحرب. وقال: فلولا ذلك لأذن لكم في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي في دين الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل مكة قبل أن تدخلوها. قال: وقال بعض العلماء: قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لكلامين أحدهما «وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ» والثاني «لَوْ تَزَيَّلُوا» أي تَمَيَّزُوا. وقال قتادة في قوله: ﴿لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: «هم المشركون من أجداد رسول الله ﷺ وممن كان بعدهم في عصره، كان في أصلابهم المؤمنون، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذاباً أليماً».

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ لِيَهِلَّ﴾، قال ابن إسحاق: يعني سهيل بن عمرو حين حمي^(١) أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم. وأن

محمدًا رسول الله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، قال: كلمة التقوى يعني الإخلاص؛ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾: «لا إله إلا الله». وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مُصَرِّف والربيع والسدي وابن زيد. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعن علي رضي الله عنه قال: كلمة التقوى: لا إله إلا الله والله أكبر، وهو قول ابن عمر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وعن الزهري: كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، قال: الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام. قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي أن الصلاح كان في الصلح. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: صلح الحديبية.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفِّنَ بِاللَّهِ شَيْدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. أي أنك نبي صادق فيما تخبر.

ثم وصف تعالى رسوله ﷺ وأصحابه فقال تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجٍ أَخْرَجَ مِنْهُ طَائِفَةٌ فَتَارَهُوا فَاستَغْلَطُوا فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِمْ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. قال الثعلبي رحمه الله تعالى: قوله: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ تم الكلام ها هنا، يعني الكلام الأول، ثم قال مبتدأ. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رافة: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي متعاطفون متوادون بعضهم مع بعض. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي يدخلهم جنته. ﴿وَرِضْوَانًا﴾ يرضى عنهم. ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم. ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ واختلف العلماء في هذه السيماء، فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا؛ وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب: يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السمّت^(١)

الحسن والخشوع والتواضع. وقال منصور: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿سِيَاهَهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ﴾ أهو الأثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكْبَةِ البعير، وهو أفسى قلباً من الحجارة، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع. وقال ابن جريج: هو الوقار والبهاء. وقال شمر بن عطية: هو التهيج وصُفرة الوجه وأثر السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهُم مرضى، وما هم بمرضى. وقال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب في جباههم. وقال عطية الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي ذلك الذي ذكرت ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ قال: وها هنا تم الكلام. ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٌ أَخْرَجَ سَطَطُهُ﴾؛ قال أنس: «شَطْأُهُ» نباته. وقال ابن عباس: سنبله. وقال مجاهد والضحاك: ما يخرج تحت الحِقْلَةِ^(١) فينمو ويتم. وقال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده فَقَدْ شَطْأ. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. وقال الفراء: الأشطاء: الزرع إذا نبت سبعاً أو ثمانياً أو عشراً. وقال الأخفش: فراخه، يقال: أشطا الزرع فهو مشطى إذا قَرَخَ، قال الشاعر: [من الرمل]

أخرج الشطاء على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر

قال: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ، يعني أنهم كانوا يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون. قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يثبتون نبات الزرع، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿فَنَازَرُوهُ﴾ قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَرْزَهُ. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾، فغلظ وقوي. ﴿فَاسْتَوَى﴾ تم وتلاحق نباته وقام ﴿عَلَى سُوْقِيهِ﴾ أصوله. ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ يعني أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ليغيب بهم الكفار. قال الثعلبي بسند يرفعه إلى الحسن في قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قال: محمد رسول الله. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، أبو بكر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان. ﴿تَرَبَّؤُا رُكْبًا سَجْدًا﴾ علي بن أبي طالب. ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. ﴿سِيَاهَهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال: هم المبشرون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ قال: نعتهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال: الزرع: محمد ﷺ. ﴿أَخْرَجَ سَطَطُهُ﴾ أبو بكر الصديق. ﴿فَنَازَرُوهُ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ عثمان، يعني استغلظ عثمان للإسلام. ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِيهِ﴾ علي بن أبي طالب، يعني

(١) الحِقْلَةُ: بالفتح والكسر: ما يبقى من الماء الصافي في الحوض.

استقام الإسلام بسيفه. ﴿يَعْمَلُ الْزَّرَّاعُ﴾ قال: المؤمنون. ﴿لِيَغِطَّ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد الله سِراً بعد اليوم. رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكرُ خبر أبي بصير ومن لحق به وانضم إليه

قد اختلف في اسمه، فقيل: عُبَيْد بن أُسَيْد بن جارية. وقال ابن إسحاق: عُثْبَةُ بن أُسَيْد بن جارية، وعن أبي معشر قال: اسمه عتبة بن أُسَيْد بن جارية بن أُسَيْد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غَيْرَةَ بن عوف بن قسي، وهو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة، وخبره وإن لم يكن داخلياً في جملة الغزوات والسرايا فليس هو منافٍ لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لتعلقه بغزوة الحديبية، ولأنّ رده كان من شروط الهدنة، ونحن نورده ها هنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد بن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا:

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلت رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له: أبو بصير بن أُسَيْد بن جارية الثقفي من المشركين، فأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً، وكان ممن حُبِسَ بمكة، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث^(١) بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي^(٢) إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، ويقال: كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلدٍ ورأي في أنفس المشركين، وجعل لهما الأخنس في طلب أبي بصير جُعلاً^(٣)، فقدمَا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك». فقال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في

(١) أزهر بن عبد عوف: أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري بن الحارث بن زهرة: عم عبد الرحمن بن عوف. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٩. رقم الترجمة: ٧٢).

(٢) الأخنس بن شريق: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج. أبو ثعلبة، حليف بني زهرة أسلم فكان من المؤلفّة، وشهد حينئذٍ ومات في أول خلافة عمر. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٥ رقم الترجمة: ٦١).

(٣) جُعلاً: مكافأة.

ديني؟ قال: «انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً»، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الحليفة^(١) سلّ جحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برّد، ويقال: بل تناول أو بصير سيف جحش بفيه، وهو نائم فقط به إيساره^(٢)، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر فجمز^(٣) مذعوراً مستخفياً، حتى دخل المسجد إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا دُغراً»؛ فأقبل واستغاث برسول الله ﷺ، فقال: «ويحك! ما لك؟» فقال: قتل صاحبكم صاحبي. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله ﷺ وقال: وَفَتَ ذِمَّتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنكَ، دفعني إليهما فتعرفت أنهم سيعذبونني ويفتنونني عن ديني، فقتلت المنقذي، وأفلتني هذا. فقال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ أُمَّةٍ مُّسْعَرٍ»^(٤) حرب لو كان معه رجال»، وجاء أبو بصير بسلبه^(٥) فقال: خمس يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني إن خُمستَه لم أوفٍ لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت». فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذى المزوة من أرض جُهينة، على طريق غيرات قريش مما يلي سيف البحر، لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وانفلت أبو جندل ابن سُهَيْل بن عمرو - واسم جندل العاص بن سهيل على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راكباً أسلموا، فلاحقوا بأبي بصير حين بلغهم أن رسول الله ﷺ قال: «وَيْلٌ أُمَّةٍ مُّسْعَرٍ حرب لو كان معه رجال»، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام. وكان أبو بصير يصلي لأصحابه، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل، وهم مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير، لا تمرُّ بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وقال أبو جندل في ذلك: [من الرجز]

(١) ذى الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة. ومنها ميقات أهل المدينة.

(٢) الإيسار: القيد.

(٣) جمز: عدا وأسرع.

(٤) مسعر الحرب: موقدها، يقال: فلان مسعر حرب إذا كان يؤثرها، أي تحمي به الحرب، يتعجب النبي ﷺ من شجاعته وجرأته وإقدامه.

(٥) سلبه: غنائه.

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المَزْوة بالساحل
 في معشرٍ تخفق رايأئهم بالبيض فيها والقنا الذُّبَلِ^(١)
 يَأْبُون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل
 أو يجعل اللُّهُ لهم مخرجاً والحق لا يُغلب بالباطل
 فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء ولم يَأْتِلِ^(٢)

فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامهم إلا آواهم، وقالوا: لا حاجة لنا بهم. قال البيهقي: وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره. فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله ﷺ خير لهم فيما أحبوا وكرهوا. وحكى البيهقي: أن هؤلاء هم الذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه، فلما بلغهم ما قاله رسول الله ﷺ أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص، وردّوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العقال^(٣)، وقد تقدم خبر أبي العاص، وقيل: إنما أخذ في غير هذه السرية. والله أعلم.

قال: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدما عليه، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم، ولا يعترضوا لأحد مرّ بهم من قريش وعيراتهم. فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبي بصير، وأبو بصير قد أشرف على الموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه، فدفته أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ ومعه ناس من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهلهم، وأمنت عيرات قريش.

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد: غزاها رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجره. وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: في المحرم من السنة. وخيبر على ثمانية بُرْد من المدينة.

قالوا: أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر، وأَجْلَبَ^(٤) من حوله

(١) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. الذبل: الدقيقة. اللاصقة القشر.

(٢) لم يَأْتِل: لم يقصر.

(٣) العقال: الرجل الذي يستعمل وثاقاً.

(٤) أجلب القوم: إذا صاحوا واختلطت أصواتهم.

يريدون الغزاة معه، فقال: رسول الله ﷺ: «لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد»، وشق ذلك على من بقي بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق: استخلف نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة^(١) رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: لما سار رسول الله ﷺ إلى خيبر قال في مسيره لعامر بن الأكوع - وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان - «انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هَنَاتِكَ»^(٢)، فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَتُوا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا^(٣)

فقال له رسول الله ﷺ: «يرحمك ربُّك». ومن رواية البيهقي: «غفر لك ربُّك». قال: وما خص بها رسول الله ﷺ أحداً قط إلا استشهد. قال ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجبت والله يا رسول الله، لو متعتنا بعامر؛ فقتل يوم خيبر شهيداً، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكلمه^(٤) كَلَمًا شديداً فمات.

قال: ولما خرج رسول الله ﷺ من المدينة سلك على عَصْرٍ^(٥) فبنى له فيه مسجداً، ثم على الصُهباء^(٦)، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوَادٍ يقال له: الرَّجِيع، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظَاهِرِينَ على رسول الله ﷺ، قال: فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً^(٧) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

(١) أم سلمة: (... - نحو ٣٠ هـ = ... - نحو ٦٥٠ م) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية. من أخطب نساء العرب، ومن ذوات الشجاعة والإقدام وفدت على الرسول في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه وحضرت وقعة اليرموك (سنة ١٣ هـ) فكانت تسقي الضمائم وتضمّد جراح الجرحى. وتوفيت بعد ذلك بزمان طويل. انظر (الأعلام: ١: ٣٠٦).

(٢) هَنَاتِكَ: أي من أخبارك وأمورك وشعرك.

(٣) راجع بشأن هذا الرجز، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٦٢.

(٤) كلمه: جرحه.

(٥) عصر: جبل بين المدينة ووادي الفرع، ورواه بعضهم بالتحريك.

(٦) الصُهباء: موضع قرب خيبر.

(٧) المنقلة: المرحلة من مراحل السفر.

قال: ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه: «قفوا» فوقفوا، ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أفللن، ورب الشياطين، وما أضللن، ورب الرياح وما دززن، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله». قال: ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصخ لهم ديك حتى طلعت الشمس، وأصبحوا وأفندتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم، معهم المساحي^(١)، والكرازن - وهي الفؤوس - والمكاتيل - وهي الزناويل - فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قالوا: محمد والخميس^(٢) - يعنون الجيش - فولوا هاربين إلى حصونهم، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، ووعظ رسول الله ﷺ الناس، وفرق فيهم الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، إنما كانت الألوية^(٣)، فكانت راية رسول الله ﷺ السوداء من بُرد لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، ودفعه إلى علي بن أبي طالب، وراية إلى الحباب بن المنذر^(٤)، وراية إلى سعد بن عباد؛ وكان شعارهم: «يا منصور أمت»، وكانت حصون خيبر حصوناً ذوات عدد منها النطاة، وحصن الصعْب بن مُعَاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، هذه حصون النطاة. والشق وبه حصون منها: حصن أبي، وحصن الثزار، وحصون الكتيبة منها: القموص، والوطيح، وسُلالَم. وسنذكر إن شاء الله فتحها حصناً حصناً. قال: وخرج مزحِب اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أني مَزْحَبُ شاكِي السلاح بطل مُجَرَّبُ^(٥)

أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوثُ أقبلت تُجَرَّبُ^(٦)

* إِنْ جِمَايَ لِلْجِمَى لَا يُقَرَّبُ *

(١) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

(٢) الخميس: سمي الجيش خميساً لأنه خمسة أقسام: المقدمة، والساقة، واليمينه والميسرة والقلب.

(٣) لواء الجيش: علمه.

(٤) الحباب بن المنذر: (... - نحو ٢٠ هـ = ... - نحو ٦٤٠ م) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري. صحابي من الشجعان الشعراء، يقال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم بدر. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. انظر (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٥) شاكِي السلاح: حاد السلاح.

(٦) تجرب: تغضب.

ثم يقول: هل من مبارز؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول: [من الرجز]
 قد علمت خيبرُ أني كعبُ مفرجُ الغُمى جرىءُ ضَلْبُ
 إذ شَبَّت الحربُ تليها الحربُ معي حسامُ كالعقيقِ عَضْبُ^(١)
 نطاكم حتى يُذال الصعبُ نعطي الجزاء أو يفِيء النُهْبُ^(٢)
 * بكفِّ ماضٍ ليس فيه^(٣) عَثْبُ *

فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا؟» فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس؛ قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه». فخرج إليه حتى دنا منه، فحمل مرحب عليه فضربه، فأتقاه بالدَّرَقَة^(٤)، فأمسكت سيفه، وضربه محمد بن مسلمة فقتله. وقد روي أن الذي قتل مرحباً علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، يُجَبِّنُه أصحابه، وَيُجَبِّنُهُم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذته الشقيقة^(٥) فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «أما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يأخذها غنوة». وفي رواية قال: «يفتح الله على يديه»، فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه؛ قال: فأرسل رسول الله ﷺ إليه سلمة بن الأكوع فدعاه، فجاء على بعير له حتى أناخ قريباً من رسول الله ﷺ وهو أرمَد، قد عصب عينيه بشِقَّة بُرد قَطْرِي^(٦)، قال سلمة: فجتت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك؟» قال: رِمِدَتْ؛ فقال: «رِمِدَتْ؟» فقال: «ادن مني» فدنا منه فتفل في عينيه، ودعا

(١) قال أبو ذر الخثني: «العقيق هنا جمع عقيقة، وهي شعاع البرق شبه السيف به» شرح السيرة:

٣٤٦. عضب: قاطع.

(٢) الجزاء: جمع جزية. النهب: ما انتهب من الأموال.

(٣) ليس فيه عتب: ليس فيه ما يلام عليه.

(٤) الدَّرَقَة: الترس المتخذ من الجلد فقط.

(٥) الشقيقة: نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه.

(٦) القَطْرِي: نوع من البرود، ينسب إلى قرية يقال لها قطر، وهي بين عمان والعقير.

له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، وما وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية وقال: «امض حتى يفتح الله عليك» قال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «أنفذ على^(١) رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم». روى هذا الحديث أو نحوه أهل الصحة. ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض عليّ بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء، وقد أخرج حملها^(٢)، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مُعَفَّر^(٣) مُعْضَفَر، وحجرٌ قد ثَقَبَه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبٌ شاكي السلاح بطلٌ مُجَرَّبٌ
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الحروبُ أقبلت تَلْهَبُ
* كَانِ حِمَايَ كَالْحِمَى لَا يُقَرَّبُ *

فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال: [من الرجز]
أنا الذي سَمَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً كليث غاباتٍ شديدٍ قَسُورَةٍ^(٤)
* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(٥) *

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ رضي الله عنه فضربه، ففد الحجر والمِغْفَر وقلق رأسه، حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني ياسرٌ شاكي السلاح بطلٌ مُغَاوَرٌ^(٦)
إذا الليوثُ أقبلت تُبَادِرُ إن حمائي فيه موتٌ حَاضِرُ
وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو يقول: [من الرجز]

-
- (١) أنفذ على رسلك: امض على هيتك.
(٢) الخمل: هذب القטיפه ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول.
(٣) المغفر: ما يلبسه الفارس تحت البيضة.
(٤) الحيدرة: في الأصل: الأسد. وقال ابن الأعرابي: «الحيدرة في الأسد مثل الملك في الملك».
القسورة: العزيز، يقتسر غيره، أي: يقهره.
(٥) السندرة: مكيال كبير.
(٦) المغاور: الكثير القتال والغارات.

قد علمت خيبر أني زبازز قَرْمٌ لِقَوْمٍ غَيْرِ نِكْسٍ فَرَازُ^(١)
 أين حماة المجد؟ أين الأخيـاز؟ ياسرُ، لا يَغْرُكُ جمع الكفَّار
 * فجمعهم مثل السَّراب الخَثَّار^(٢) *

فقال أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقـتل ابني يا رسول الله؟ قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله»، ثم التقيا، فقتله الزبير. ومن رواية أخرى عن سلمة قال: فخرج علي رضي الله عنه يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركـز رايته في رَضْمٍ^(٣) حجارة تحت الحصن، فاطلـع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب؛ فقال اليهودي: علوتـم وما أنزل الله على موسى. وقال ابن إسحاق أيضاً من رواية أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ثُرسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة، أنا ثامنهم، نجهد على أن نُقَلِّبَ ذلك الباب، فما نقلبه.

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه؛ فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء، وأكثرها طعاماً وَوَدَكاً»^(٤) فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصُعب بن معاذ، وما بخبير حصن كان أكثر منه طعاماً وَوَدَكاً. قال البيهقي: وافتتح رسول الله ﷺ حصن ناعم، فانتقل من كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير، ويقال: حصن ناعم أول ما افتتح من حصونهم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رَحَى^(٥) منه فمات. قال: وحصن الزبير حصن منيع في رأس^(٦) قُلَّة، فحاصـرهم رسول الله ﷺ به ثلاثة أيام، فجاءه رجل من اليهود يقال له: غزال؛ فقال: يا أبا القاسم،

(١) القرم: السيد. النكس: الضعيف.

(٢) الخثار: الخداع.

(٣) الرضـم: الحـجارة المكـدسة فوق بعضها.

(٤) الودك: الدسم.

(٥) الرحي: حجر الطاحون.

(٦) في الأصلين: «في رأسه قلعة». والتصويب من دلائل النبوة. وجاء في شرح المواهب اللدنية: ٢:

٢٧٤ في هذا الحصن: «وكان اسمه حصن قلعة، لكونه كان على رأس جبل».

تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشق؟ فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك، فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دُبُول^(١) تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعته فيمتنعون منك، فإذا قطعت مشربهم عليهم أضحروا لك^(٢). فسار رسول الله ﷺ إلى دُبُولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال، وقُتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، فكان آخر حصون النطاة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من النطاة تحوّل إلى أهل الشق، وبه حصون، فكان أوّل حصن بدأ به ﷺ حصن أبي، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سَمَوان؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول؛ فدعا إلى البراز، فبرز له الحُباب بن المنذر فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحُباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن، فتبعه الحُباب فقطع عُزْقَوِيَّه، فوقع، فذُقِف^(٣) عليه، فخرج آخر فصاح: من يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشي، وقام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دُجَانة، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المِغْفَر، يخال في مشيته، فبدره أبو دُجَانة^(٤) فضربه فقطع رجله، ثم ذُقِف عليه وأخذ سلبيه؛ درعه وسيفه: فنقله^(٥) رسول الله ﷺ ذلك، وأحجموا عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دُجَانة الأنصاري، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجُدُر كأنهم الطُّبْي إلى حصن النُّزار، فغلّقوه وامتنعوا فيه، وزحف رسول الله ﷺ في أصحابه فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشق رمياً بالنبل والحجارة، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ وعلقت به، فأخذ النبل فجمعها، ثم أخذ كفّاً من حصباء^(٦)، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذاً، ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة، فافتتح القَمُوص، حصن

(١) الدبول: جمع دبل، وهو الجدول.

(٢) اصحروا: برزوا في الصحراء.

(٣) ذُقِف عليه: أجهز عليه.

(٤) أبو دُجَانة: (... ١١ هـ = ... ٦٣٢ م) سيماك بن خَرْشَة الخزرجي، المعروف بأبي دُجَانة: صحابي، كان شجاعاً بطلاً. له آثار جميلة في الإسلام. شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة. استشهد باليمامة. وكانت له مشية عجيبة في الخيلاء. انظر (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٥) نقله: وهبه.

(٦) الحصباء: الحصى.

أبي الحَقِيق، وأتى رسول الله ﷺ منه بصفية بنت حُيَيِّ بن أخطب.

قالوا: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم: الوَطِيح والسَّلاَلِم، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُسَيِّرهم، وأن يحقن دماءهم. قال البيهقي: حصرهم أربعة عشر يوماً وهم لا يطلعون من حصونهم، حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق^(١) عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا الصلح، وأرسل ابن أبي الحَقِيق إلى رسول الله ﷺ: أنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فنزل كنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء مَنْ في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايرهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة^(٢)، وعلى البز^(٣) إلا ثوباً على ظهر إنسان؛ فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئاً» فصالحوه على ذلك. وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق كنز بني النضير، فسأله رسول الله ﷺ عنه، فجدد أن يكون يعلم مكانه، وقال: نفذ في النفقة والحروب؛ فقال رسول الله ﷺ: «كان أكثر من ذلك»، ثم جاء رجل من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيت كنانة يُطيف بهذه الخربة^(٤) كل غداة، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟» قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفِرَتْ، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام به، فقال: «عذبه حتى تستأصل ما عنده»، فكان الزبير يقدح بَزْد في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد ابن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. ويقال: كان ذلك بعد فتح حصن القموص، وقبل فتح الوَطِيح والسَّلاَلِم.

قال محمد بن إسحاق: ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»، قال: ولما سمع أهل فدك أن رسول الله ﷺ افتتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه أن يُسَيِّرهم وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل؛ وكان ممن مشى

(١) المنجنيق: التي ترمى بها الحجارة.

(٢) الصفراء والبيضاء: هنا الذهب والفضة. الكراع: الخيل. الحلقة: بمعنى السلاح.

(٣) البز: الثياب.

(٤) الخربة: مكان قديم مهجور.

بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود أخو بني حارثة، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله ﷺ على النصف كما عامل أهل خيبر، فأجابهم إلى ذلك؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»؛ فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فذك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

ولما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب^(١) رضي الله عنه من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين، فقبله رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدم جعفر»!

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر

قالوا: استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلاً. من قریش وحلفائهم خمسة نفر، وهم رفاعة بن مسروح، من بني أمية بن عبد شمس، ومن حلفائهم ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة، وثقف بن عمرو بن سُمَيْط، ومن حلفاء بني أسد ابن عبد العزى أبو عَمِير عبد الله بن الهَيْب - ويقال ابن الهَيْب - بن أهيب الليثي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زُهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلاً، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضَيْل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضِيَّاح النعمان بن ثابت، والحارث بن حاطب، ممن شهد بدرًا، وغُرُوة بن مُرَّة بن سراقَة، وأوس بن الفائد، وأُتَيْف بن حَبِيب، وثابت بن إِثْلَة، وطلحة، ومبشر، وعُمارَة بن عَقبة، وعامر بن الأكوع الأسلمي، وكان قد برز له يهودي، فبرز إليه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطلٌ مغامرُ

واختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهودي في ثُرس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب ركبة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت نبي الله ﷺ وأنا شاحب أبكي، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك؟» قلت: بعض أصحابك؛ قال: «كذب من قاله، بل أجره مرتين، إنه لجاهدٌ مُجاهد».

واستشهد الأسود الراعي - واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر - وكان من حديثه

(١) جعفر بن أبي طالب: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله ابن عم النبي ﷺ. أحد السابقين إلى الإسلام. أخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن جبل. وكان الرسول ﷺ يكنيه: أبا المساكين. استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان، وقد استوفى أربعين سنة. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٣٧ رقم الترجمة ١١٦٦).

حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام؛ فعرضه عليه، فقال: فماذا لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال: «لك الجنة إن أنت مت على ذلك»؟، فأسلم وقال: يا رسول الله، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال رسول الله ﷺ: «أخرجها من عسكرنا، واحصب^(١) وجوها، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك، وسترجع إلى ربها». ففعل الأسود وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحابك، فخرجت مجتمعة كأن سائفاً يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى الله صلاة قط، فأتى به رسول الله ﷺ فوضع خلفه، وسجى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زوجته من الحور العين».

وقتل من يهود ثلاثة^(٢) وأربعون، منهم: الحارث أبو زينب، ومَرْحَب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق وأخوه.

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد: أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، واستعمل عليها قُرُوءة بن عمرو البياضي، وأمر بذلك فجزى خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، وسائر السهمان أغفال، فكان أول ما خرج سهم النبي ﷺ، وأمر ببيع الأربعة أخماس فيمن يزيد، فباعها فروة، وقسم ذلك بين أصحابه؛ وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة رجل، والخيّل مائتي فرس، فكانت السهمان على ثمانية عشر سهماً، لكل مائة سهم، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله ﷺ يعطى منه على ما أراه الله.

وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشُّق ونَطَاة والكُتَيْبَةِ، فكانت الكُتَيْبَةُ حُمسَ الله، وسهم النبي ﷺ وذوي القربى واليتامى والمساكين، وطُغَم أزواج النبي ﷺ، وطُغَم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ، وبين أهل فُذَك بالصلح، منهم مُحِيصَة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ منها ثلاثين وَسَقاً^(٣) من

(١) حصبه: رماه بالحصباء.

(٢) في ابن سعد: «ثلاثة وتسعون».

(٣) الوَسَق: ستون صاعاً، أو حمل بعير.

شعير، وثلاثين وسقاً من تمر، وكانت الشق ونطاة في سُهمان المسلمين؛ قال: وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِيَّةِ، من شهد منهم ومن غاب، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها. وقال: وكان وادياها: وادي السُرَيْرِ ووادي خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً، نطاة خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهماً، فقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم، فكان لكل سهم رأسُ جُمع إليه مائة رجل؛ قال: ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة - وهو وادي خاص - بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها. وروى بشير بن يسار قال: لما افتتح النبي ﷺ خيبر أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، فأخذ لنفسه ولنوابه وما ينزل به ثمانية عشر سهماً، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهماً. والله أعلم.

وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عُقْبَةَ بن عامر^(١) أن النبي ﷺ قال لرجل: «أترضى أن أزوجهك فلانة؟» قال: نعم؛ وقال للمرأة: «أترضين أن أزوجهك فلانة؟» قالت: نعم. فزوج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل، ولم يفرض لها صداقاً^(٢) ولم يعطها شيئاً، وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر، فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زوجهني فلانة، ولم أفرض لها صداقاً، ولم أعطها شيئاً، وإني أشهدكم أنني أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر. فأخذت سهماً فباعته بمائة ألف.

ذكر تسمية من قَسَمَ لهم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ - وهو وادي خاص^(٣) - لفاطمة ابنته رضي الله عنها مائتي وسق ولعلي بن أبي طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتي وسق، وخمسين وسقاً نَوَى^(٤)، ولعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مائتي وسق، ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مائة وسق، ولِعَقِيلِ بن أبي طالب مائة وسق وأربعين وسقاً،

(١) عُقْبَةُ بن عامر: (.... هـ - ٥٨ هـ = ٦٧٨ م) عقبه بن عامر بن عيس بن مالك الجهني: أمير، من الصحابة. شهد صفين مع معاوية وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. مات بمصر. وهو أحد من جمع القرآن. انظر (الأعلام: ٤: ٢٤٠).

(٢) الصداق: المهر.

(٣) خاص: من أودية خيبر.

(٤) النوى: التمر.

ولبني جعفر خمسين وسقاً، ولربيعه بن الحارث مائة وسق، وللصلت بن مخزومة وابنيه مائة وسق؛ للصلت منها أربعون وسقاً. وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قاسم بن مخزومة بن المطلب: أعطاه رسول الله ﷺ ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر، ولأبي نُبقة خمسين وسقاً، ولرُكَّانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولابن القاسم بن مخزومة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق، ولبني عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً، ولابن أوس بن مخزومة ثلاثين وسقاً، ولمسطح بن أثانة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيْثة أربعين وسقاً، ولتُعَيْم بن هند ثلاثين وسقاً، ولُبَحْيَنة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعَجِير بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحكم^(١) بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً، ولجُمَّانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولعبد الله بن الأرقم الزهري خمسين وسقاً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولخُمَنة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأم الزبير أربعين وسقاً ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقاً، ولابن أبي حُئَيْس ثلاثين وسقاً، ولأم طالب أربعين وسقاً، ولأبي نُضرة عشرين وسقاً، ولثُمَيْلة الكلبي خمسين وسقاً، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعون وسقاً، ولأم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقاً، ولمَلَكُو بن عبدة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبعمائة وسق.

وقال ابن إسحاق أيضاً: وقسم رسول الله ﷺ لنسائه من فتح خيبر مائة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة ابنة رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأم رُمَيْثة خمسة أوسق. شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.

قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر خارصاً^(٢) بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا؛ قال: إن شئتم فلکم، وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض. ولم يخرص عليهم عبد الله إلا عاماً واحداً ومات.

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عنه، قال: خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق، وإن اليهود لما خيرهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق، ثم خرص عليهم بعده جَبَّار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بني سلمة، فأقامت يهود على ذلك لا يرى

(١) كذا في الأصلين. وفي ابن هشام: ولأم حكيم.

(٢) خارصاً: حازراً ومقدراً.

بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدوا على عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار^(١) منها تمرأ، فوجد في عين قد كسرت عنقه، فاتهمهم رسول الله ﷺ بقتله، وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل، وابنا عمه حُوَيْصَة ومُحَيِّصَة إلى رسول الله ﷺ، فتكلم عبد الرحمن - وكان أصغرهم، وهو صاحب الدم - فقال رسول الله ﷺ: «كَبَرُ كَبَرٍ»^(٢) فسكت، وتكلم حويصة ومحيصة، ثم تكلم بعدهما، فذكروا قتل صاحبهم، فقال رسول الله ﷺ: «أَتُسَمُّونَ قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ يَمِيناً فَتُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أَفِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ خَمْسِينَ يَمِيناً مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ لَهُ قَاتِلًا، ثُمَّ يَبْرءُونَ مِنْ دَمِهِ؟»، فقالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم. قال: فَوَدَّاهُ رسول الله ﷺ بمائة ناقة. قال^(٣): «وَأَسْتَقَرَّتْ خَيْبِرُ بِيَدِ يَهُودٍ عَلَى مَا عَامَلَهُمْ عَلَيْهَا رسول الله ﷺ مدة حياته، ثُمَّ أَقْرَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْمَعَامِلَةِ، ثُمَّ أَقْرَاهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَدْرًا»^(٤) من خلافته، ثم بلغه أن رسول الله ﷺ قال في وجهه الذي قبضه الله فيه: «لَا يَجْتَمِعُنَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَارٌ»؛ ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت، فأرسل إلى يهود، فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَّنَ فِي إِجْلَائِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُنَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَارٌ» فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ فَلْيَأْتِنِي بِهِ أَنْفَذَهُ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ مِنْهُ فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلَاءِ. فَأَجْلَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

هذا ما كان من أمر خيبر على سبيل الاختصار، فلنذكر ما اتفق بعد فتح خيبر مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها، فمن ذلك خبر الشاة التي سُم فيها رسول الله ﷺ، وقد قَدَّمْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ يَهُودٍ، وَهُوَ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ هَذِهِ النُّسخة^(٥)، ومنه خبر الحجاج بن علاط.

ذكر خبر الحجاج بن علاط^(٦) وما أوصله إلى أهل مكة

عن رسول الله ﷺ حتى استوفى أمواله

قالوا: وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خيبر مع رسول

(١) يمتار: يجلب.

(٢) ويروى: «الكبر الكبير» بضم الكاف وسكون الباء، أي قدموا الأكبر.

(٣) أي ابن إسحاق. (٤) صدراً: مدة.

(٥) من تجزية المؤلف.

(٦) الحجاج بن علاط: الحجاج بن علاط بن خالد بن ثوبرة بن هلال. الفهري يكنى: أبا كلاب. =

الله ﷺ، فلما فتحت خيبر قال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتني أم شينة بنت أبي طلحة، ومال مفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله. فأذن له، فقال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول. قال: «قل»، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بشية البيضاء^(١) رجلاً من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده والله الخبر؛ قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم، فالتبّطوا^(٢) بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج! قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمداً أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر، وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من قل^(٣) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأح^(٤) جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتني فقلت: مالي - وقد كان لي عندها مال موضوع - لعلي الحق بخيبر، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من مخيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم، قلت: فاستأخر عني حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت^(٥) الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ علي حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي بن أخطب - ولقد افتتح خيبر،

= ويقال: كنيته أبو محمد وأبو عبد الله. قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر. فأسلم وسكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣١٣ رقم الترجمة ١٦٢٢).

(١) في معجم البلدان: «البيضاء: ثنية التنعيم بمكة، لها ذكر في كتاب السيرة.

(٢) فالتبّطوا: أي عدوا إليها مطيفين بها.

(٣) الفل: القوم المنهزمون.

(٤) كأحت جمع: كأسرع جمع.

(٥) أجمعت: قررت.

وانتثل^(١) ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ قال: ما تقول يا حجاج! قلت: إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فَرَقاً^(٢) من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: وسرت حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلّق^(٣) وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد لحَرّ المصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتُم به لقد افتتح محمد خبير وتُرك عروساً على أبنه ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله، وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا: يا لعباد الله! انفلت عدوّ الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

ذكر انصراف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا: ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فنزل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له: مِدْعَم؛ أهده إلیه رفاعه بن زيد الجُدَامِيّ، فبينما هو يضع رَحْل رسول الله ﷺ أتاه سهمٌ غَرَب^(٤) فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده إن شَملتَه^(٥) لتحترق عليه في النار». كان غَلْها^(٦) من قِيء المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصبَتْ شِراكينَ لتُعلن لي؛ فقال: «يَقْدُ لك مثلهما من النار».

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وساق نحو الحديث في قتل مِدْعَم، ثم قال: وكانت يهود قد تَوّى إليها ناس من العرب، فاستقبلونا بالرّمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون من أطماعهم، فعبا رسول الله ﷺ أصحابه وصفهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد،

(١) انتثل: استخرج.

(٢) فرقاً: خوفاً، خشية.

(٣) تخلّق: طلي بالخلوق، وهو ضرب من الطيب.

(٤) سهم غَرَب: سهم مجهول الرامي.

(٥) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.

(٦) غَلْها: حصل عليها.

وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحققوا دماءهم، وحسابهم على الله. فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه فقتله، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلاً، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقي إلى الإسلام. قال: ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم ﷺ حتى أمسى، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنم أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، فأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود ثيماء ما كان من أمر خيبر وقدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل: «مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟» وجاء في الحديث: «من رجل يكلاً لنا الليل؟». فقال بلال: أنا يا رسول الله. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند إلى بغيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه استيقاظاً، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال؟» فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك. قال: «صدقت»، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير ثم أنأخ، فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» [طه: ١٤]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: «إن هذا وادٍ به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا... الحديث بنحو ما تقدم.

ذكر سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوازن بتربة - وهي ناحية القبلاء على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران - فأتى الخبر هوازن فهربوا، جاء عمر محالهم فلم يلق بها أحداً. فانصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره.

روي عن سلمة بن الأكوع^(١) قال: غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه رسول الله ﷺ علينا، فسيى ناساً من المشركين فقتلناهم، وكان شعارنا: أمت أمت. قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين. وعنه أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة. وهذا الذي صححه مسلم. وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثني أبي قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه، أمره رسول الله ﷺ علينا، فلما كان بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا^(٢)، ثم شَنَّ الغارة فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سبى. ثم قال^(٣) سلمة: فرأيتُ عُقناً^(٤) من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنفلني ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة». فقلت: يا رسول الله، فقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، ثم لقيني من الغد في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة، لله أبوك!». فقلت: هي لك يا رسول الله؛ فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة. روى هذا الحديث مسلم.

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري^(٥) إلى فدك

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة

(١) سلمة بن الأكوع: (.... - ٧٤هـ = ٦٩٣ م) سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع، الأسلمي.

صحابي، من الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات، منها الحديبية، وخيبر وحنين. توفي في المدينة (الأعلام: ٣: ١١٣).

(٢) عرسنا: نزلنا في آخر الليل للاستراحة.

(٣) هنا بياض بالأصلين والتكملة من دلائل النبوة للبيهقي، وطبقات ابن سعد، وصحيح مسلم.

(٤) عُقناً: جماعة من الناس.

(٥) بشير بن سعد الأنصاري: (.... - ١٢هـ = ٦٣٣ م) بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس،

الخزرجي الأنصاري، صحابي، شهد بدرأ. كان يكتب بالعربية في الجاهلية، وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار قتل يوم «عين التمر» وكان مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة.

(الأعلام: ٢: ٥٦).

بفدك، فخرج فلقي رعاء الشاء، فسأل عن الناس ف قيل: في نواديهم؛ فاستاق النعم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركهم الدهم^(١) منهم عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى قنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المرتبون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتث^(٢) وضرب كعبه، وقيل: قد مات. ورجعوا بنعمهم وشائهم، وقدم غلبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ، ثم قدم بعده بشير بن سعد.

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي^(٣) إلى الميمنة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بني عوال، وبني عبد بن ثعلبة، وهم بالميفة، وهي وراء بطن نخل إلى الثقرة قليلاً بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برود.

بعثه في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلهم يسار، مولى رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً، ووقعوا وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء فحدره إلى المدينة، ولم يأسروا أحداً. وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، وهو نهيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض، وقال ابن إسحاق: مرداس بن نهيك؛ حليف لهم من الحرة من جُهينة. ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعي، وأن رسول الله ﷺ وداه. قال أسامة: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شهِرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فلم نزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره؛ فقال: «يا أسامة، مَنْ لك بلا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوذاً من القتل؛ قال: «فمن لك بها يا أسامة؟» قال: فوالذي بعثه بالحق إنه ما زال يردها عليّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وكنتُ أسلمتُ يومئذٍ، وأتني لم أقتله. قال: قلت: أنظرنِي يا رسول الله، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلاً يقول: «لا إله إلا الله» أبداً. قال: «يقول بعدي يا أسامة»، قلت: بعدك. وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأسامة حين قال: «يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل» «هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب»!.

(١) الدهم: العدد الكثير.

(٢) ارتث: صرع في الجنوب، وبه رمق.

(٣) غالب بن عبد الله: (... بعد ٤٨ هـ = ... بعد ٦٦٨ م) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي: صحابي، من الولاة. شهد القادسية وقتل هرمز ملك الباب. (الأعلام: ٥: ١١٤).

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن^(١) وجبار^(٢)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ. وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من غطفان بالجَناب^(٣) قد واعدتهم عُيَيْنَةَ بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا بشير بن سعد فعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمائة رجل، فساروا حتى أتوا يَمَنَ وجَبَّارَ، وهو نحو الجَناب - والجَناب يعارض سلاح^(٤) وخيبر ووادي القُرى - فدنوا من القوم فأصابوا لهم نَعْماً كثيراً، وتفرق الرُّعاء فحذروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعُلياء بلادهم، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالَّهم فلم يجد فيها أحداً، فرجع بالنَّعم، وأصاب منهم رجلين، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله ﷺ، فأسلما، فأرسلهما ﷺ.

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم

بعثه رسول الله ﷺ في ذي الحجة سنة سبع من مهاجره في خمسين رجلاً إلى بني سليم، وذلك بعد انصراف رسول الله ﷺ من مكة بعد عمرة القضاء، فخرج إليهم وتقدَّمه عَيْنُ^(٥) لهم كان معه، فحذَّروهم، فتجمَّعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعدُّون له، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دَعَوْتَنَا إليه. فتراموا ساعةً بالبَّلبَل، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامَّتُهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القَتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ، فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة.

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد^(٦)

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ. رُوِيَ عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنِي قال: بعث رسول الله ﷺ غَالِبَ بن عبد الله الليثي، ثم أحد بني كلب بن عوف في سرية، فكنث فيهم، وأمرهم أن يشنوا الغارة على بني الملوح بالكديد - وهم من بني ليث - قال: فخرجنا حتى إذا كنا بِقُدَيْد^(٧) لقينا الحارث بن البرصاء، فأخذناه.

(١) يمن: بفتح الياء، وقيل: بضمها، وقيل: بهمزة مفتوحة وسكون الميم. (الزرقاني: ٢: ٣٠٢).

(٢) جبار: ضبطه الزرقاني بفتح الجيم. وضبط في معجم البلدان بضمها.

(٣) الجَناب: من أرض غطفان. (٤) سلاح: موضع أسفل خيبر.

(٥) العين: الجاسوس.

(٦) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، ويوم الكديد من أيام العرب.

(٧) قُدَيْد: بالتصغير، موضع بين مكة والمدينة.

فقال: إنما جئت أريد الإسلام. قلنا: إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً وليلة. قال: فشددناه وثاقاً، وخلفنا عليه رُوَيْجلاً^(١) منا أسود، وبرزنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكميتا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيثة^(٢)، فخرجت حتى آتيت تلاً مشرفاً على الحاضر^(٣)، فاستندت فيه، فعلوت في رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمُنْبَطِح على التل إذ خرج رجلٌ منهم من خبائه، فقال لامرأته: إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك، هل تفقدين منها شيئاً؟ لا تكون الكلاب جرت بعضها، قال: فنظرت، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً. قال: فناوليني قوسي وسهمين. فناولته، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكاني، ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكاني، فقال لامرأته: لو كان ربيثة لقد تحرك - لقد خالطه سهماي لا أبا لك! فإذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب؛ قال: ثم دخل، وأمهلناهم حتى اطمأنوا وناموا - وكان وجه السحر - شتاً عليهم الغارة، واستقنا النعم، فخرج صريح القوم في قومهم، فجاء ما لا قبل لنا به، فخرجنا بها نحدرها حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملناها، واحتملنا صاحبنا، وأدركنا القوم حتى نظروا إلينا، ما بيننا وبينهم إلا الوادي - وادي قديد - فأرسل الله تعالى الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه. فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إليه، وإننا لنسوق نغمهم ما يستطيع رجلٌ منهم أن يجيز إلينا، ونحن نحذوها سراعاً حتى قُتِناهم، فلم يقدروا على طلبنا، قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: وكانوا بضعة عشر رجلاً، وكان شعارهم يومئذ: أمِثْ أمِثْ!

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مُصَاب أصحاب بشير بن سعد بفدك

كانت في صفر سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ قد هباً الزبير بن العوام رضي الله عنه، وقال له: «سِرْ حتى تنتهي إلى مُصَاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم»، وهياً معه مائتي رجل، وعقد له لواءً، فقدم غالب بن عبد الله من الكديد، وقد أظفره الله، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اجلس». وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، فيهم أسامة بن زيد، فسار حتى انتهى إلى مُصَاب أصحاب بشير، فأصابوا نعماً، وقتلوا قتلى.

(١) رويجلاً: تصغير رجل.

(٢) ربيثة: عينا لهم.

(٣) الحاضر: الحي العظيم.

ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي^(١) إلى بني عامر بالسبي

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسبي^(٢)، من ناحية رُكبة^(٣)، من وراء المَعْدِن^(٤)، وهي من المدينة على خمس ليال، وأمره أن يُغير عليهم، فسار حتى صَبَحَهُمْ وهي غَارُون، فأصابوا نَعْمًا كثيراً وشاء، فاستاقوا ذلك حتى قَدِمُوا المدينة، وغابت هذه السرية خمس عشرة ليلة.

ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري^(٥) إلى ذات أطلاح

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعاً كثيراً من جمعهم، فدَعَوْهُمْ إلى الإسلام: فلم يستجيبوا لهم ورَشَقُوهُمْ بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ حتى قتلوا، وأفلت منهم رجلٌ جريحٌ، فَأَتَى رسول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ الخبر، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَهَمَّ بِالْبَعْثِ إِلَيْهِمْ، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع آخر، فتركهم.

ذكر سرية مُؤْتَةَ

ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكَرَك^(٦).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى مَلِكِ بَضْرَى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شَرَحْبِيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يُقْتَلْ لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، فاشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بِالْجُرْفِ^(٧)، وهم ثلاثة

(١) شجاع بن وهب الأسدي: (.... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي، من بني غنم: صحابي، شجاع من أمراء السرايا. قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها. قتل شجاع يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ١٥٨).

(٢) السبي: ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة.

(٣) رُكْبَة: (بضم السكون ففتح): موضع بالطائف.

(٤) المَعْدِن: يريد معدن بني سليم، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد.

(٥) كعب بن عمير: (.... - ٨ هـ = ٦٢٩ م) كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة. بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية نحو «ذات أطلاح» في البلقاء، فقتل فيها. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٦) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء.

(٧) الجُرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير القوم زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة، فإن قُتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم»، وعقد لهم رسول الله ﷺ لواءً أبيض وسلمه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام «فإن أجابوا وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم»، وخرج رسول الله ﷺ مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع^(١)، فوقف وودّعهم وانصرف عنهم، فقال عبد الله بن رواحة: [من الكامل]

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى إِمْرِي وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُودَعٍ^(٢) وَخَلِيلِ

فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردكم صالحين غانمين!. فقال ابن رواحة: [من البسيط]

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْخٍ تَقْذِفُ الزَّيْدَا^(٣)
فِي آيَاتٍ^(٤) أُخَرِ.

قال: فلما فصلوا^(٥) من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان^(٦) من أرض الشام، وبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب^(٧) من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر ولخم والقين، عليهم رجل من بني ثم أحد إراشة؛ يقال له: مالك بن زافلة^(٨)، فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فشجعهم عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإثما هي إحدى الحسينيين: إما ظهور^(٩)، وإما

(١) ثنية الوداع: هي ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة. قيل في سبب تسميتها بذلك، إنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة.

(٢) في ابن هشام: ٤ : ١٦ : «مشيع».

(٣) ذات فرغ: أي واسعة، وأراد بالزيد هنا رغبة الدم؛ (الزرقاني ٢ : ٣٢٣).

(٤) الأبيات في ابن هشام ٤ : ١٥ - ١٦.

(٥) فصلوا: خرجوا.

(٦) معان: ضبطه الزرقاني بفتح الميم، وضبطه البكري، بضمها: حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة.

(٧) مآب: موضع بالشام.

(٨) زافلة: كذا ورد هذا الاسم بالزاي في الأصلين وابن هشام: ٤ : ٢٣، والذي في الزرقاني ٢ : ٣٢٣ «رافلة» بالراء المهملة.

(٩) الظهور: الغلبة.

شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رَواحَة. قال: فمضى الناس حتى إذا كانوا بِتُخُوم^(١) الْبَلْقَاءَ لقيتهم جموعٌ هَرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى الْبَلْقَاءَ يقال لها الْمَشَارِف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَة^(٢)، ووافاهم المشركون، فجاء منهم ما لا قِبَل لأحد به من الْعَدَد والسلاح والكُراع^(٣) والذبياج والحرير والذهب فعبا المسلمون، فجعلوا على ميمتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له: قُطْبَة بْنُ قَتَادَة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبَايَة بْنُ مَالِك - ويقال: عُبَادَة - ثم التقوا واقتتلوا، فقاتل زيدُ بْنُ حارثة رضي الله عنه براية رسول الله ﷺ حتى قُتِل طَغْنًا بالرماح، ثم أخذ الراية جعفرُ بْنُ أَبِي طَالِب، فنزل عن فرس له شَقْرَاء فَعَرَقَبَهَا^(٤)، فكانت أوَّل فرس عُرِقَتْ في الإسلام، وقاتل حتى قُتِل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جُرحاً، ووجدنا فيما أقبل من بدنه اثنتين وسبعين ضربةً بسيف وطعنةً برمح.

وَحَكَّى أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الْمَلِكُ بْنُ هِشَام أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِب أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ يَدَهُ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ، فَاحْتَضَنَهُ بَعْضُدَيْهِ، حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ.

وقال محمد بن إسحاق: كان جعفر يقاتل وهو يقول: [من الرجز]

يَا حَبَاذَا الْجَنَّةَ وَاقْتِرَابُهَا طَيْبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بِعَيْدَةِ أَنْسَابُهَا
* عَلِيٌّ إِنْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا *

قال: ولَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَواحَة الراية، ثم تقدّم بها وهو على فَرَسِهِ، فجعل يستنزِل نفسه^(٥)، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال: [من الرجز]

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسَ لَتَنْزِلَنَّ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّتَّةَ مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ^(٦)

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين أرض وأرض.

(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان).

(٣) الكراع: في الزرقاني: ٢: ٣٢٤: أن الكراع جماعة الخيل خاصة.

(٤) عرقبها: قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٥) يستنزِل نفسه: أي يطلب نزولها عما أرادته وهمت به.

(٦) أجلب الناس: اختلطت أصواتهم وضجوا. الرنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

قد طال ما قد كنتِ مطمئنة هل أنتِ إلا نُطفة في شنة^(١)
وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الرجز]

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمئيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
* وإن تَوَلَّيتِ فقد شقيت *

يريد بقوله: «فعلهما» صاحبيه زيداً وجعفرأ؛ ثم نزل. فاتاه ابن عم له بعزق^(٢)
من لحم، فقال: شدُّ بهذا صُلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من
يده فانتَهس^(٣) منه نَهْسةً، ثم سمع الخطمة^(٤) من ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا،
ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه وتقدّم، فقاتل حتى قُتل.

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم، وقال: يا معشر الناس^(٥)، اصطلحوا على رجل
منكم؛ فقالوا: أنت؛ قال: ما أنا بفاعل. فاصطَلَحَ الناسُ على خالد بن الوليد، فلما
أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم^(٦)، ثم انحاز وانحيز عنه، وانكشف، فكانت
الهيزمة، فتبعهم المشركون، فقتل من قتل من المسلمين، ورُفعت الأرض لرسول
الله ﷺ حتى نظر إلى معتك القوم، فلما أخذ خالد بن الوليد اللواء قال رسول الله ﷺ:
«الآن حمي الوطيس»^(٧).

قال محمد بن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ: «أخذ الراية زيد بن
حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»، ثم
صمّت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما
يكرهون؛ فقال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً».

قال ابن إسحاق: وكان قُطْبَةُ بن قَتَادَةَ العُذْرِي^(٨) حَمَلَ على مالك بن زافلة فقتله

(١) النطفة: القليل من الماء الصافي. الشنة: القرية الخلق.

(٢) العزق: العظم الذي عليه بعض اللحم.

(٣) انتَهَس: أخذ منه بفمه يسيراً.

(٤) الخطمة: زحام الناس، وحطم بعضهم بعضاً.

(٥) في الزرقاني: ٢: ٣٢٦ عن ابن إسحاق: «المسلمين».

(٦) حاشى بهم: انحاز بهم، من الحشى، وهي الناحية. وفي ابن هشام: ٢: ٢٥٨: «وخاشى بهم» من
المخاشاة، وهي المحجزة. من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم. وفي الزرقاني:

٢: ٣٢٧: «فجاش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه».

(٧) حمي الوطيس: حمي الضرب وجذت الحرب واشتدت.

(٨) قُطْبَةُ بن قَتَادَةَ: (... - بعد ١٤ هـ = ... - بعد ٦٣٥ م) قُطْبَةُ بن قَتَادَةَ بن جرير السدوسي
الشياني. أبو الحويصلة: شجاع، من القادة. أسلم بعد فتح مكة. (الأعلام: ٥: ٢٠٠).

وهو على المائة ألف التي اجتمعت من العرب، فقال في ذلك: [من المتقارب]

ظعنْتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإراشِ برمحٍ مضى فيه ثمَّ انحطَمُ^(١)

ضربتُ على جِدهِ ضربةً فمال كما مالَ غصنُ السَّلمِ^(٢)

قال: ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقَّوهم بالجُزف، فجعل الناس يَحْثُون في وجوهم التراب ويقولون: يا فَرَّار، فررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بفَرَّار، ولكنهم كُزَّار إن شاء الله».

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة

استشهد من قريش ومواليهم أربعة نفر، وهم: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة، ووهب بن سعد بن أبي سرح، واستشهد من الأنصار: عبد الله بن رواحة، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان بن إساف، وشراقة بن عمرو وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد، رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل^(٣)

وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من قُضاعة قد تجمعوا يريدون أن يذئوا إلى أطراف^(٤) رسول الله ﷺ، فدعا عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض، وجعل معه رايةً سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة^(٥) المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلية^(٦) وعُدرة وبلقين، فسار الليل وكم من النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو

(١) انحطم: انكسر.

(٢) الجيد: العنق. والسلم: شجرة العضاة، الواحدة: سلمة.

(٣) بالنسبة لضبط هذه الكلمة راجع الزرقاني: ٢: ٣٣٢.

(٤) كذا في الأصلين وابن سعد: ٢: ٩٥ قسم أول، وفي عيون الأثر: ٢: ١٥٧ يريدون أن يذئوا إلى أطراف المدينة.

(٥) سراة القوم: أصحاب الشرف فيهم.

(٦) لأن عمراً كان ذا رحم فيهم، فإن جدته لأبيه كانت بلويه، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بعمرو.

بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو؛ فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مدداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة^(١)، وسار حتى وطىء بلاد بلقي، ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي^(٢) بريداً إلى رسول الله ﷺ؛ فأخبره بفقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح، وهي سرية الحَبَط^(٣)

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى حي من جهينة بالقبليّة مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليالٍ، فأصابهم في الطريق جوع شديد، فأكلوا الحَبَط، وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم.

رؤي عن عبادة بن الصامت قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف^(٤) البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جراباً من تمر، فجعل يقوتهم إياه حتى صاروا إلى أن يعده لهم عداً، ثم نفذ التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم ثمرة، فقسّمها يوماً بيننا، فنقصت ثمرة عن رجل، قال: فوجدنا فقدّها ذلك اليوم، فلما جاهدنا^(٥) الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبنا من لحوبها وودكها^(٦)، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمئاً وابتلنا^(٧)، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها فوضعه على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا، فخرج من تحتها وما مسّت رأسه، فلما قدّمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياها، فقال: «رَزَقَ رَزَقَكُمْوه الله».

قال ابن سعد: وانصرفوا ولم يلقوا كيداً.

-
- (١) زاد في ابن سعد: ٢: ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله: «وكان عمرو يصلي بالناس».
- (٢) عوف بن مالك: (... - ٧٣ هـ = ... - ٦٩٢ م) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني: صحابي من الشجعان الرؤساء. أول مشاهده خيبر. وكان معه راية «أشجع» يوم الفتح. نزل حمص وسكن دمشق. (الأعلام: ٥: ٩٦).
- (٣) الحَبَط: (بالتحريك) ورق العضاة، من الطلع ونحوه من الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر.
- (٤) سيف البحر: ساحله.
- (٥) جاهدنا: أضعفنا.
- (٦) الودك: (بالتحريك) الشحم.
- (٧) ابتلنا: حسنت حالنا بعد الهزال، وأفقنا من ألم الجوع الذي كان أصابنا.

ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خُضرة وهي أرض مُحارب بنجد

قالوا: بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى عَطْفَان، وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكَمِن النهار، فهَجَمَ على حاضِرٍ منهم عظيم، فأحاط به، فصَرَخَ رجلٌ منهم: يا خُضرة وقاتلَ منهم رجال، فقتلوا من أشرفهم^(١)، واستاقوا النَّعَمَ، فكانت الإبلُ مائتي بعير، والغنمُ أَلْفِي شاة، وسبوا سَبِيّاً كثيراً، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخُمسَ، وقسموا ما بقي على السرية، فأصابَ كلُّ رجلٍ منهم اثنا عشرَ بعيراً وُعِدلَ البعيرُ بعشرٍ من الغنم، وصارت في سَهْمِ أبي قتادة جاريةٌ وضيئةٌ، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها ﷺ لمُخَمِيَّةَ بن جَزء. وغابوا في هذه السرية خمسَ عشرة ليلة.

ذكر سرية أبي قتادة ربعي الأنصاري إلى بطن إضم

كان هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله ﷺ. قالوا: لما هم رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة بعثَ أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم - وهي فيما بين ذي خُشب وذي المَرزوة، وبينها وبين المدينة ثلاث بُرْد - ليظنَّ ظانُّ أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، وكان في السرية محلّم بن جثامة الليثي، فمرَّ عامر بن الأصبط الأشجعي، فسلمَ بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه محلّم بن جثامة فقتله لشيء كان بينهما، وسلبه بغيره ومتاعه، فلما لحقوا برسول الله ﷺ نزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤] الآية. فمضوا ولم يلقوا جمعاً فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشب، فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد توجه إلى مكة، فأخذوا على يَتَن^(٢) حتى لقوا النبي ﷺ بالسُّقيا.

ذكر غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح والسبب الذي أوجب نقض العهد وفسخ الهدنة

كانت هذه الغزوة في شهر رمضان سنة ثمانٍ من مهاجر رسول الله ﷺ، وعلى

(١) كذا في الأصلين. والذي في الزرقاني: ٢: ٣٤٠ وابن سعد: ٢: ٩٦: «فقتلوا من أشرف لهم» أي ظهر.

(٢) يَتَن: بفتح فسكون: ناحية من أعراض المدينة على بريد منها (معجم البلدان).

رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية.

وسبب ذلك أنه لما دخل شعبان من هذه السنة كُلمت بنو نفاثة - وهم من بني بكر - أشراف قريش أن يعينوهم على خُزاعة بالرجال والسلاح، وكانت خُزاعة قد دخلت في عقد رسول الله ﷺ وعهده يوم الحديبية، كما قدّمنا ذكر ذلك. ودخلت بني بكر في عقد قريش وعهدها، قالوا: فلما سألوهم ذلك وعدوهم ووافوهم بالوتير^(١) متنكرين متنقيين^(٢)، فيهم صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأخيف، فبيتوا خُزاعة ليلاً، وهم غارون^(٣) آمنون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً، ثم ندمت قريش على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بن سالم^(٤) الخزاعي في أربعين ركباً من خُزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يُخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه.

قال ابن إسحاق: قدم عمرو بن سالم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف ورسول الله ﷺ جالس في المسجد بين ظهрани الناس، فقال: [من الرجز]

يا ربّ إني ناشدُ محمداً	جِلَفَ ابْنِنا وأبيهِ الأثْلَدَا ^(٥)
قد كنْتُم وُلْدًا وكُنّا والِدَا	ثُمّتْ أَسْلَمْنَا فلم ننزع يدَا ^(٦)
فانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا	وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا ^(٧)
فيهم رسولُ الله قد تَجَرَّدَا	إِنْ سِيَمَ خَسَفَا وجهه تَرَبَّدَا ^(٨)
فِي قَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا	إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفوكَ الموعِدَا ^(٩)
ونَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكَّدَا	وَجَعَلُوا لي في كَدَاءٍ رُصْدَا ^(١٠)
وَزَعَمُوا أَنْ لستُ أدعو أحداً	وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا

(١) الوتير: ماء قريب من مكة.

(٢) متنقيين: النقاب: غطاء الوجه.

(٣) غارون: غافلون.

(٤) عمرو بن سالم الخزاعي: عمرو بن سالم بن حضيرة بن سالم الخزاعي. كان أحد من يحمل ألوية خُزاعة يوم الفتح. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ١٧٤ رقم الترجمة ٦٨٤٢).

(٥) ناشد: طالب. والجلف: المناصرة.

(٦) الوُلْد: لغة في الولد. وثمت: حرف عطف أدخل عليه تاء التانيث.

(٧) نصرأ أبداً: في ابن هشام: ٤: ٣٦ «أعتدا».

(٨) سيم خسفاً: شعر بالذل. تريد: تغير.

(٩) الفيلق: العسكر الكثير.

(١٠) رصداً: جمع راصد. وهو الذي يرقب الشيء.

هم بَيِّثُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدًا وَقَتَّلُونَا وَكُنَّا سُجْدًا^(١)

يقول: قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا، وَيُرَوَّى بِدَلِّ قَوْلِهِ: * قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا *

* نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدًا *

قال: فقال رسول الله ﷺ: «نَصَرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ».

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجْرِي رَدَاءَهُ وَيَقُولُ: «لَا نَصْرَ لِي إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصَرَ مِنْهُ نَفْسِي». ثُمَّ عَرَّضَ لَهُ سَحَابٌ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا السَّحَابَ لَيَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

قال محمد بنُ إسحاق: وقَدِمَ بُذَيْلُ بْنُ وَزْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خَزَاعَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَنْ أَصِيبَ مِنْهُمْ وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بَنِي بَكْرِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كَأَنْتُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ»، وَمَضَى بُذَيْلُ بْنُ وَزْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْسَفَانَ^(٢)، قَدْ بَعَثَهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُذَيْلُ؟ قَالَ: تَسِيرْتُ^(٣) فِي خَزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي؛ قَالَ: أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، وَفَارَقَهُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنْ كَانَ بُذَيْلُ جَاءَ إِلَى يَثْرِبَ لَقَدْ عَلَفَ النَّوَى^(٤) بِهَا، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهَ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُذَيْلُ مُحَمَّدًا؛ ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ النَّبِيِّ ﷺ، فَطَوَّهَتْ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، مَا أَدْرِي أَرُغِبْتَ بِي عَنْ هَذِهِ الْفَرَّاشِ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي، قَالَتْ: بَلْ هُوَ فَرَّاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيَّةُ شَرٌّ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ؛ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ ابْنُهَا غُلَامٌ يَدِبُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا

(١) التهجد: التعبد ليلاً.

(٢) عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان).

(٣) تسيرت: سرت.

(٤) النوى: بذور التمر.

أَرْجَعَنْ^(١) كما جثت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سُفْيَان، والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بُنَيْكَ هذا فيُجِيرَ بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنْيَ ذاك أن يُجِيرَ بين الناس، وما يجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ؛ فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة. فقم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مُغْنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سُفْيَان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجزتُ بين الناس، ثم ركب بغيره وانطلق، فلما قدم مكة على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جثت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جثت ابنُ أبي فُحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جثت ابنُ الخطّاب فوجدته أعدى العدو، ثم جثت عليّاً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعتُه، فوالله ما أدري هل يعني شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرَكَ؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجازَ ذلك محمدٌ؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك، والله إن زادَ الرجلُ على أن لعب منك، فما يغني عنك ما فعلت، ثم تجهّز رسول الله ﷺ وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدّ والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تَبْعَها»^(٢) في بلادها». والله المعين.

ذكرُ خبر حاطب بن أبي بلتعة^(٣) في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، وأخذه الكتاب، وما أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من القرآن

قال: ولما أجمع رسولُ الله ﷺ المسيرَ إلى مكة كتب حاطب بنُ أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسولُ الله ﷺ في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأةً يقال إنها من مُزَيْنَة - وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها^(٤) وخرجت به، وأتى

(١) في كلا الأصلين: «فلأرجعن»؛ وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

(٢) نبغتها: تفاجئها.

(٣) حاطب بن أبي بلتعة: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير. اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى. شهد بدرأ. كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها. مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة (راجع: الإصابة في تمييز الصحابة: ١ : ٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨).

(٤) القرون: جمع قرن، وهو: الضفيرة.

رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صَنَعَ حاطب، فبعثَ عليَّ بنَ أبي طالب، والزبيرَ بن العوام رضي الله عنهما، وقال: أدركا امرأةً قد كُتِبَ معها حاطبٌ كتاباً إلى قريش يحذِّرهم ما قد أجمعنا في أمرهم، فخرَّجا فأدركاها بالخلِيقَة، خَلِيقَة بني أبي أحمد، فاستنزَلاها والتَمَسَا في رَحْلِها فلم يجدَا شيئاً، فقال لها علي: أحلف بالله لتُخرِجَنَا لَنَا هذا الكتاب أو لنفتشَنَّكَ، فقالت: أعرض عني، فأعرض، فجَلَّتْ قرونَ رأسِها فاستخرجت الكتابَ ودفعتهُ إليه، فَأَتَيَا به رسولَ الله ﷺ، فدعا حاطباً فقال: «ما حَمَلَكَ على هذا؟» قال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيَّرْتُ وما بدَّلْتُ، ولكنتي امرؤٌ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم ولَدٌ وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فإنَّ الرجل قد نافَقَ، فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلَّ الله قد أطلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر، فقال: اعْمِلُوا ما شِئْتُمْ فقد غَفَرْتُ لكم».

هذه رواية محمد بن إسحاق.

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بنُ محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وأنها أتت رسولَ الله ﷺ من مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسِلمة جئتِ؟» قالت: لا، قال: «أمهاجرة جئتِ؟» قالت: لا؛ قال: «فما حاجتك؟» قالت: كنتُ كثيرةَ العشيرة والأصل والموالي، وقد ذهبت موالِي، واحتججتُ حاجةً شديدة، فقدمتُ عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني. قال لها: «فأين أنتِ من شباب أهل مكة»، وكانت مغتية نائحة، قالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر: فحثَّ رسولُ الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقةً؛ فأتاها حاطب بنُ أبي بلتعة حليفُ بني أسد بن عبد العزى، فكتبَ معها إلى أهل مكة كتاباً، وأعطاهَا عشرةَ دنانير.

قال الثعلبي: هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وقال مقاتل بن حيان: أعطاهَا عشرة دراهم وكساها بُرداً على أن توصِلَ الكتابُ إلى أهل مكة، وكتبَ في الكتاب: «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسولَ الله يريدكم، فخذوا جذركم». فخرجت سارة، ونزل جبريل، فأخبرَ النبي ﷺ بما فعل حاطب، فبعثَ رسولَ الله ﷺ عليّاً، وعمرَ، والزبيرَ، وطلحةً وعماراً، والمقدادَ بنُ الأسود، وأبا مرزئد، وكانوا كلهم فرساناً، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضةً خاخ»^(١)

(١) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان).

فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها، واخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها» فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها، وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهتوا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذبتنا، وسل سيفه، وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا والله لأجرذنك، ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من دوائبها قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لما معها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فاتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم، قال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً؛ فصدقه رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر».

وأنزل الله عز وجل في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، قال: أي من مكة لأن آمنتم بالله ربكم؛ قال: في الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَتِيَ مَرْضَاتٍ تُشِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّهُوا يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^(١) قال: يتفقوكم يروكم ويظهروا^(١)، ﴿وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بالقتل، ﴿وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي بالشتيم، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصرحكم ولا يؤادونكم.

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْيَمِينَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَآلَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) [المتحنة: ٣] قال: معنى الآية: لا تدعونكم قرباتكم ولا أولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مناصحتهم وموالة أعدائهم،

(١) كذا في الأصلين: والذي في القرطبي: «يتفقوكم: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم».

ومظاهرتهم، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التي عصيتكم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقْضَىٰ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفر به النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرْبَىٰ وَيَنَّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَلَدَاؤِهِمْ أَقْبَلُوا بِإِلَهِ اللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤] الآية. ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦] قال: قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء؛ قال: فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم من المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادَبْتُمْ يَتِيمًا مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]؛ قال: ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخواناً، وخالطوهم وناكحوهم^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨] معناه: أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، واختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية، فقال ابن عباس: نزلت في خزاعة، منهم هلال بن عويمر وخزيمة، وسراقة بن مالك بن جُعشم، وبنو مُذَلَج، وكانوا صالحوا النبي ﷺ على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً.

وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم، وذلك أن أمها قتيبة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حنسل قدمت عليها المدينة بهدايا وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية، ولا تدخلني علي بيتي حتى أستاذن رسول الله ﷺ؛ فسألت لها عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتحسن إليها، وتكرمها. وقال مرة الهمداني وعطية العوفي: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَلَخَرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٩] قال: وهم مشركو مكة. فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح.

(١) ناكحوهم: تزوجوا من بعضهم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، ومن جاءه في طريقه قبل دخول مكة

قال: ولما تهيأ رسول الله ﷺ للغزاة بعث إلى من حوله من العرب فجلبهم، وهم أسلم، وغفار، ومزينة، وجُهينة، وأشجع، وسُلَيم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه في الطريق، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم؛ قاله محمد بن سعد.

وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد البيهقي: استخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حُصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الأربعاء لعشر ليالٍ خلون من شهر رمضان بعد العصر، فلما انتهى إلى الصلُص^(١) قَدِمَ أمامه الزبير بن العوام في مائة من المسلمين، وصام رسول الله ﷺ وصام الناس حتى إذا كان بالكديد^(٢) بين عُسفان^(٣) وأمَج^(٤) أفطر. ونادى مناديه: من أحب أن يُفطر فليفطر، ومن أحب أن يصوم فليصم.

قال ابن سعد: فلما كان رسول الله ﷺ بِقُدَيْد^(٥) عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

قال محمد بن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل مَرَّ الظُّهْران^(٦) وهو في عشرة آلاف من المسلمين، فسبغت^(٧) سُلَيم، وبعضهم يقول: أَلْفَتْ مَزِينَةَ، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب معه المهاجرون والأنصار. قال: ولما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق لقيه عمه العباس بن عبد المطلب.

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفَة^(٨) مهاجراً بعياله، وكان قبل ذلك بمكة على سبيلته، وقد قَدِمْنَا أَنَّهُ أَسْلَمَ عند انصراف رسول الله ﷺ من غزوة بدر، قال: ولقيه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، لقياه بِنِيقِ

(١) الصلُص: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها.

(٢) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة.

(٣) عُسفان: قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة.

(٤) أمَج: بلد من أعراس المدينة.

(٥) قُدَيْد: (بالتصغير) موضع قرب مكة.

(٦) مَرَّ الظُّهْران: موضع على مرحلة من مكة.

(٧) سبغت: أي كانت سبعمائة، وألفت: كانت ألفاً.

(٨) الجُحْفَة: موضع على أربع مراحل من مكة.

العُقَاب^(١) بين مكة والمدينة، والتمسا الدخول عليه، وكَلَّمْتَهُ أَمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابنُ عمك، وابن عمتك وصهرُك. فقال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فَهَتَكَ عِرْضِي، وأما ابن عمتي وصهرِي فهو الذي قال لي بمكة ما قال»، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبي سفيان^(٢) بُنِيَ لَهُ قال: والله لتأذَنَنَّ لي أو لآخِذَنَّ بيدَ بُنَيِّ هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً؛ فلما بلغ ذلك رسولُ الله ﷺ رَقَّ لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه، فأسلما، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر مما كان قد مضى من فعله فقال: [من الطويل]

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً	لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ ^(٣)
لكالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فهذا أواني حين أهدى وأهتدي ^(٤)
هداني هادٍ غيرَ نفسي ودلني	على الحقِّ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مَطَرِدٍ ^(٥)
أصدَّ وأنأى جاهدًا عن محمدٍ	وأدعى وإن لم أنتسب من محمدٍ
هم ما هم من لم يقل بهوائهم	وإن كان ذا رأي يُلَمُّ وَيَفْتَنُ ^(٦)
أريد لأرضيهم ولستُ بلائطٍ	مع القوم ما لم أهد في كل مقعدٍ ^(٧)
فقل لثقيف: لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك: غيري أوعدي
فما كانت في الجيش الذي نال عامراً	وما كان عن جرٍّ لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلادٍ بعيدة	نزاع جاءت من سهام وسردد ^(٨)

(١) نيق العقاب: موضع قرب الجحفة.

(٢) أبو سفيان بن الحارث: (.... - ٢٠ هـ = ٦٤١ - ٦٤٠ م) المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان، الهاشمي القرشي: أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخ رسول الله ﷺ من الرضاع كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاه وهجا أصحابه. أسلم وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ثم وقعة حنين. له شعر كثير في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير في الإسلام هجاء بالمشركين مات بالمدينة وصلى عليه عمر. انظر (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) اللات: من أصنام الجاهلية.

(٤) الإدلاج: السير ليلاً.

(٥) رواية هذا البيت كما في ابن هشام: ٤: ٤٣، والبداية: ٤: ٢٨٧.

(٦) هداني هادٍ غير نفسي ونالني مع الله من طردت كل مطرد يفند: تنقض حججه.

(٧) لائط: ملصق.

(٨) النزاع: الغرياء: سهام وسردد: موضعان من أرض عك.

قال: ولَمَّا بلغ إنشاده قوله: «من طَرَدَت كل مطرَد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «أنت طَرَدتني كل مطرَد».

قال: ولَمَّا نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظُّهْرَان نزلها عَشِيًّا، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، فقال العباس بن عبد المطلب: واصْبَاحَ قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مَكَّةَ عَنُوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه إِنَّه لَهْلَاك قريشٍ إلى آخر الدهر.

قال العباس: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك^(١)، فقلت: لعلِّي أجِد بعض الخطابة أو صاحبَ لَبَن، أو ذا حاجة يأتي مَكَّةَ، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنُوةً.

ذكر مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ، وإسلام أبي سفيان، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه: وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبُدَيْل بن وَرْقَاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، فوالله إني لأسير على بغلة رسول الله ﷺ، التمس ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان^(٢)، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً، فيقول له بديل: هذه والله خِزَاعَةٌ قد حَمَسَتْهَا^(٣) الحرب، فيقول أبو سفيان: خِزَاعَةٌ أَذْلُ وَأَقْلُ أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفتُ صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: يا أبا الفضل، قلت: نعم، قال: ما لك فِداك أبي وأمي! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله في الناس، واصْبَاحَ قريش واللَّهِ! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي!، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عَجْز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، قال: فركب خَلْفِي، ورجع صاحبه؛ قال: فجئتُ به، كلما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا: مَنْ هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب.

(١) الأراك: وإِدِ قرب مكة.

(٢) يتراجعان: يتحادثان.

(٣) حمستها: اشتدت عليها.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرَ تلك الليلة على الحرس؛ قال العباس: فقال عمر: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجْز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته، فاقتحمت عن البغلة، ودخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عَقْد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه. قال العباس، قلت: يا رسول الله، قد أجرتَه، ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلت: وألله لا ينجيه الليلة رجلٌ دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتُ هذا، ولكنتُ قد عرفتُ أنه من رجال بني عبد مناف؛ فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحتَ فأتني به»؛ قال: فذهبتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ^(١) لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»، قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى شيئاً بعد؛ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنني رسولُ الله؟» قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما والله هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً؛ فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله ﷺ قبل أن تُضرب عنقك؛ قال: فشهد شهادة الحق، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»؛ فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس، احتسبه بمَضِيق الوادي عند خَطْمِ الجبل^(٢) حتى تمرَّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه؛ قال: ومَرَّتِ القبائل على راياتها كلِّما مَرَّتِ قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سُلَيم، فيقول: ما لي ولسُلَيم، ثم تمرَّ القبيلة، فيقول: من هذه؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى مَرَّتِ القبائل، فما تمرَّ قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان! حتى مرَّ رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار - وإِنَّمَا سَمِيتُ بالخضراء

(١) ألم يئن: ألم يحن.

(٢) خطم الجبل: أنفه النادر منه.

لكثرة الحديد وظهوره فيها - وهم لا يرى منهم إلا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك العُدَّة عظيمًا، قلت: ويحك! إنها النبوة قال: فنعلم إذاً، ثم قلت: النِّجَاء^(١) إلى قومك، فسار حتى إذا جاءهم صَرَخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه، فقالت: أَقْتُلُوا الْحَمِيَّةَ^(٢) الدِّسَمَ الْأَحْمَسَ، قُبِحَ من طليعة قوم! قال: ويلكم لا تغرّركم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل داري فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. ففترق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد. والله يؤيد بنصره من يشاء.

ذكر دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكة شرفها الله تعالى صلحاً، ودخول خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عنوة

قال: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى ذي طُوًى^(٣)، وقف على راحلته مُغْتَجِرًا^(٤) بشقّة بُرْد جَبْرة حمراء وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنَّ عَثُونَهُ^(٥) ليكاد يمسّ واسطَ الرحل، ثم فرق رسول الله ﷺ الجيش من ذي طُوًى، وكانت راية رسول الله ﷺ يومئذٍ مع سعد بن عُبادة رضي الله عنه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، وكان على المجنّبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كُدَى^(٦)، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل ببعض الناس مِنْ كَدَاء^(٧)، فلَمَّا وَجَّهَ سَعْدٌ للدخول قال: اليومَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الْحَرَمَةُ، وفي رواية تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ؛ فسمعها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بنُ عُبادة، ما نأمن من أن يكون له في قريش صَوْلَةٌ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي

(١) النجاء: السرعة.

(٢) الحميت: في الأصل: زق السمن. الدسم: الكثير الودك. الأحمس: الذي لا خير عنده. من قولهم: عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر.

(٣) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٤) الاعتمار: التعميم بغير ذؤابة. الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

(٥) العثون: اللحية (اللسان: عثن).

(٦) كُدَى: جبل بأسفل مكة.

(٧) كدَاء: جبل بأعلى مكة.

طالب: «أدرِكه فخذ الراية منه، فادخل أنت بها». حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد.

وذكر يحيى بن سعيد الأموي^(١) في السير: أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مرّ على أبي سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه. اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، فأقبل رسول الله ﷺ في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا، وقال: اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً؛ وإنني أنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأوصلهم وأرحمهم.

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن سعداً أن تكون منه في قريش صولة؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يوم المَرْحَمَة، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً». وقال خِرَار بن الخطاب الفهري يومئذ: [من الخفيف]

يا نبيّ الهدى إليك لجا حيّ	قريش ولات حين لجا ^(٢)
حين ضاقت عليهم سعة الأر	ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقنا البطان على القو	م ونودوا بالصّينم الصّلعاء ^(٣)
إن سعداً يريد قاصمة الظهر	ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي	ظ رمانا بالنّسر والعواء ^(٤)
وغرّ الصدر لا يهّم بشيء	غير سفك الدّما وهتك النساء ^(٥)
قد تلظى على البطاح وجاءت	عنه هند بالسّوءة السّوءاء ^(٦)
إذ ينادي بذلّ حيّ قريش	وابن حرب بدا من الشّهداء

(١) يحيى بن سعيد: (.... - ١٤٣ هـ = ٧٦٠ م) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، أبو سعيد، قاضٍ من أكابر أهل الحديث، من أهل المدينة، توفي بالهاشمية راجع (الأعلام: ٨: ١٤٧).

(٢) لجا: مهموز، وتركه هنا للوزن.

(٣) التقت حلقنا البطان: مثل في بلوغ الأمر. البطان: حزام يجعل تحت بطن البعير. الضيلم: الداهية الشديدة.

(٤) النسر والعواء: كوكبان.

(٥) وغرّ الصدر: الحاقط الميغض.

(٦) السوءة السّوءاء: الفعلة الشنيعة.

فلئن أقحم اللواء نادى يا حماة اللّواء أهل اللّواء
ثم ثابت إليه من بهم الحزرج والأوس أنجم الهينجاء
لتكوئن بالبطاح قريش فقة القاع في أكف الإمام^(١)
فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء^(٢)
إنه مطرق يريد لنا الأم ر سكوئاً كالحية الصماء^(٣)

قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده، وجعله بيد قيس ابنه، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إذا صار إلى ابنه، وأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمرة^(٤) من رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته، فعرّفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

قال: وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وكان على المجنبة اليمنى، أن يدخل ببعض الناس من الليط أسفل مكة، وكان معه: أسلم، وسليم وغفار، ومزينة، وجهينة، وقبائل من العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر^(٥)، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هناك قبة، ونهى عن القتال، وعبر أصحاب رسول الله ﷺ من الأماكن التي أمرهم ﷺ أن يدخلوا منها، لم يلقوا كيداً، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعاً من قريش، ووقفوا بالخدمة^(٦) ليقاتلوا خالد بن الوليد، ويمنعوه من الدخول، وشهروا السلاح ورموا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم، فقتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش، وأربعة نفر من هذيل، وانهزموا أقبح هزيمة، فلما ظهر رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر رأس البارقة^(٧) فقال: «ألم أنه عن القتال؟ فقيل: يا رسول الله، إن خالد بن الوليد قتل، فقاتل؛ فقال: «قضاء الله خير»، وقتل من المسلمين رجلان كانا سلكا طريقاً غير طريق خالد فقتلا، وهما كرز بن جابر الفهري، وحبيش بن خالد الخزاعي. قاله محمد بن سعد.

- (١) الفقة: ضرب من الكمأة، وهي البيضاء الرخوة، يشبه بها الرجل الذليل. وفقة القاع: مثل يضرب في الذل لأن الفقة أردأ القمأة.
- (٢) والغ في الدماء: كثير سفك الدماء.
- (٣) الحية الصماء: التي لا تنفع معها الرقية، وهي أخبت الحيات وأضرها.
- (٤) إمارة: دليل.
- (٥) أذاخر: ثنية بين مكة والمدينة «البكري: ١: ١٢٨».
- (٦) الخدمة: جبل بمكة له يوم معروف.
- (٧) البارقة: السيوف.

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً. وقال: وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدّ سلاحاً ويُصلح منه قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء؛ قال: والله إنني لأرجو أن أخذمك بعضهم. ثم قال: [من الرجز]

إن يُقبلوا اليوم فما لي عِلَّةٌ هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّةٌ^(١)

* وذو غرارين سريعُ السِّلَّةِ^(٢) *

ثم شهد يوم الخندمة، فلما انهزم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين الذي كنت تقول؟ فقال: [من الرجز]

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة

وأبو يزيد قائم كالموتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة^(٣)

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ ضَرْباً فلا تَسْمَعُ إلا غَمْغَمَةً^(٤)

لهم نهيتُ خَلَقْنَا وَهَمَّهْمَةً لا تنطقي في اللوم أدنى كلمة^(٥)

قال ابن هشام: ويروى للزعاش الهذلي.

وكان ممن فرّ يومئذ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ لأبويه، فأسلمت، وهرب هُبيرة إلى نجران، وقال معتذراً من فراره: [من الطويل]

لعمرك ما ولّيت ظهري محمداً وأصحابه جُبناً ولا خيفةً القتلِ

ولكنني قَلْبَتُ أُمري فلم أجد لسيوفي عَناءَ إن ضَربتُ ولا نَبلي

وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعتُ لَعَوْدٍ كَالهَزْبِ إلى الشَّبلِ

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وخُنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان.

(١) الألّة: جميع أداة الحرب.

(٢) ذو غرارين: ذو خدين.

(٣) الموتمة: الثكلى.

(٤) الغمغمة: الأصوات غير المعروفة.

(٥) النهيت: زئير الأسد. الهمهمة: تردد الزئير في الصدر.

ذكر من أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر وأربع نسوة، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة: وهم: عكرمة بن أبي جهل، وهبّار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن ضبابة الليثي، والحويرث بن ثقيذ بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وقرنتي، وقرينة.

فأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه.

حكى الزبير بن بكار^(١) قال: لما أسلم عكرمة قال: يا رسول الله، علّمني خير شيء تعلمه أقوله؛ فقال له النبي ﷺ: «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأشهد بذلك من حضرني، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي؛ فاستغفر له رسول الله ﷺ؛ فقال عكرمة: والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقْتُ ضِعْفَهَا في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلتهُ إلا قاتلتُ ضِعْفَهُ؛ ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتى استشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام؛ وقيل: استشهد في آخر خلافة أبي بكر، قيل: في يوم اليزموك. وقيل: في يوم مَرَج الصَّفَر^(٢)، وقيل: أجنادين^(٣). والله أعلم.

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدّ ورجع إلى قريش، فلما كان يوم الفتح قرّ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أخوه من الرضاعة، فعّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمن له بعد أن اطمأن الناس؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ صمّت طويلاً، ثم قال: «نعم»؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه: «لقد صمّت ليقيم إليه بعضكم فيضرب عنقه»، فقال رجل من الأنصار: فهلاً أو مات إليّ يا رسول الله؟ فقال: «إن النبي لا يقتل بالإشارة»، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك.

(١) الزبير بن بكار: (١٧٢ - ٢٥٦ هـ = ٧٨٨ - ٨٧٠ م) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله: عالم بآنسب وأخبار العرب راوية. ولد في المدينة وولي قضاء مكة فتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ٤٢).

(٢) مرج الصفر: موضع بالشام كانت به وقعة للمسلمين مع الروم، وهو بالغرب من غوطة دمشق.

(٣) أجنادين: موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم.

وأما مِقْيَسُ بْنُ صُبابَةَ، فإن أخاه هشام بن صبابَةَ كان قد صحب رسول الله ﷺ في غزوة بني الْمُضْطَلِّقِ بِالْمُرَيْسِيعِ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عُبَادَةَ بن الصامت وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ، فقدم مِقْيَسُ هذا على رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وأظهر الإسلام، وقال: يا رسول الله، جئتُك مسلماً، وجئتُك أطلب ديةَ أخي، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه، فأقام غيرَ كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً، فنذر رسول الله ﷺ قتله لذلك، فقتله ثُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ رجل من قومه.

وأما الحويرث بن ثَقَيْدٍ فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنه كان يؤذي رسول الله ﷺ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بنتي رسول الله ﷺ فاطمة وأمّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض.

وأما عبد الله بن خَطَلٍ، فأمر رسول الله ﷺ بقتله لأنّه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً^(١)، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه وهو مسلم، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فقتله ثم ارتدّ، وكانت فَرْتَنَى وَفَرْيَةَ قَيْنَتَاهُ تُغَيَّانِ بهجاء رسول الله ﷺ، فقتل ابنَ خَطَلٍ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ المَخْزُومِيّ، وأبو برزة الأسلمي، اشتَرَكَا في دمه، وقُتِلَتْ إحدى قَيْنَتَيْهِ وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمنها.

وهند بنت عُتْبَةَ أسلمت. ولما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء؛ ومن الشرط فيها إلا يسرفن ولا يزينن، قالت: وهل تزني الحرّة أو تسرق يا رسول الله؟ فلما قال: «ولا تقتلن أولادكن»، قالت: قد ربيناهم صغاراً، وقَتَلْتَهُمْ بيدِ كباراً، أو نحو هذا من القول، وشكت إلى رسول الله ﷺ أن زوجها أبا سفيان شحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها ولولدها، فقال: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ أنتِ وولدك».

وأما سارة فاستؤمن لها، فأمنها رسول الله ﷺ.

وأما هَبَارٌ فإنه هرب فلم يوجد، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه.

ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة بن كعب^(٢)

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

(١) مُصَدِّقاً: جامعاً للصدقات، وهي الزكاة.

(٢) أبو قحافة: (٨٣ ق هـ - ١٤ هـ = ٥٤٢ - ٦٣٥ م) عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التميمي =

قالت: لما وقف رسول الله ﷺ على ذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بُنيّة، إظهري بي على جبل أبي قُبَيْس - قالت: وكان قد كُف بصره - فأشرفت به عليه فقال لها: أي بُنيّة؟ ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل؛ قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً؛ قال: أي بُنيّة، ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد؛ فقال: قد والله إذاً دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي؛ قالت: فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته؛ قالت: وفي عنق الجارية طوق من وَرِق^(١)، فتلقأها رجل فاقتطعه من عنقها، فلما دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، قالت: فأسلم؛ قالت: فدخل به أبو بكر وكأّن رأسه ثُغامة^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّروا هذا من شعره»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؛ فلم يجبه أحد؛ قالت: فقال: أي أختي، احتسبي طوقك، فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل.

وأسلم عبد الله بن الزُبَيْر^(٣) عام الفتح وحسن إسلامه، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ أشدّ الأذى في الجاهلية، فأسلم واعتذر إلى رسول الله ﷺ، فقبل عذره، وكان شاعراً مجيداً، فقال يمدح رسول الله ﷺ: وله في مدحه أشعاراً كثيرة يَنْسَخُ بها ما قد مضى في كفره، منها قوله: [من الكامل]

مَنَعَ الرِّقَادَ بِلَابِلٍ وَهَمُومٌ وَاللَّيْلَ مُعْتَلِجَ الرِّوَاقِ بِهِيمٌ^(٤)
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامَنِي فِيهِ فَبْتَ كَأَنَّنِي مُحْمُومٌ

= القرشي، أبو قحافة: والد أبي بكر الصديق. كان من سادات قريش في الجاهلية. وأسلم يوم فتح مكة، وتوفي ولده أبو بكر قبله. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).

(١) الورق: الفضة، وقيل: الذهب والفضة. (اللسان: ورق).

(٢) الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، يشبه بياض الشيب به.

(٣) عبد الله بن الزُبَيْر: (... - نحو ١٥ هـ = ... - نحو ٦٣٦ م) عبد الله بن الزُبَيْر بن قيس السهمي، أبو سعد، شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة. فهرب إلى نجران. ثم عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ في: فأمر له بحلة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٤) البلابل: الوسواس المختلطة، معتلج: مضطرب، يركب بعضه بعضاً. رواق الليل: مقدمه وجانبه. البهيم: الذي لا ضياء فيه.

يا خيرَ من حَمَلْتُ على أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدِينِ غَشُومٌ^(١)
 إِنِّي لَمَعْتِذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أُسْدِيتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ مُقِيمٌ^(٢)
 أَيَّامَ تَأْمُرَنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرَنِي بِهَا مَخْزُومٌ^(٣)
 وَأَمَدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الْغَوَاةِ، وَأَمْرُهُمْ مَشْؤُومٌ
 فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مُحْرُومٌ
 مَضَتْ الْعِدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَأَتَتْ أَوَاصِرُ بَيْنِنَا وَحُلُومٌ^(٤)
 فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَاهُمَا وَارْحَمْ فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
 وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْمَلِكِ عَلَامَةٌ نَوْرٌ أَغْرُ وَخَاتَمٌ مَخْتُومٌ
 أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بَرَهَانَهُ شَرَفًا وَبَرَهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمٌ

ذكر دخول رسول الله ﷺ المسجد، وطوافه بالبيت ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال: ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمِخْجَنٍ^(٥) في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة^(٦) فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتح له، فدخلها، فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ وَطَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ لَا كُلَّ مَائِثَةٍ^(٧)» أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةً^(٨) الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ؛ أَلَا وَقَتِيلَ الْخَطَا شَبِهُ الْعُمْدَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا، فَفِيهِ الدِّبَةُ مَغْلُظَةٌ، مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بَطُونِهَا

(١) العيرانة: الناقة السريعة في نشاط. سرح اليدين: سريعتهما، غشوم: لا يثنيها عن مرادها شيء.

(٢) أسديت: ما صنعت من جميل.

(٣) أغوى خطة: أضل خطة.

(٤) الأواصر: العلاقات المتينة، علاقة القربى.

(٥) المِخْجَن: العصا المعوجة (اللسان: حجن).

(٦) عثمان بن طلحة: (٤٢... هـ = ٦٦٢ م) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي

العبدري، من بني عبد الدار: صحابي. كان حاجب البيت الحرام. أسلم مع خالد بن الوليد في

هذنة الحديبية وشهد فتح مكة. فدفن رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبه بن

عثمان بن أبي طلحة. ثم سكن المدينة ومات بها، وقيل: بمكة. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).

(٧) المائثة: المكرمة المتوارثة.

(٨) سدانة البيت: خدمة البيت.

أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؛ ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، إجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاء»؛ حكاه محمد بن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: دفع إليه رسول الله ﷺ المفتاح وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة تالدة^(١) خالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم»؛ ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب.

قال عبد الملك بن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام^(٢) يستقسم بها، فقال: «قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦)» ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمت.

قال: ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح، فأمره أن يؤذن، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوساً بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد: أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه؛ فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته؛ فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى؛ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «قد علمت الذي قلت»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ﷺ ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فما أشار ﷺ إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لِقْفاه، ولا لِقْفاه إلا وقع لوجهه: حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

(١) تالدة: قديمة مورثة.

(٢) الأزلام: السهام التي كان يستقسم بها الجاهليون.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان أعظمها هُبَل، وساق الحديث نحو ما تقدّم، فقال تميم بن أسد الخزاعي^(١) في ذلك: [من الوافر]

وفي الأصنام معتبر وعِلْمٌ لمن يرجو الثواب أو العقابا

قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ بعد الظهر فقال: «إن الله قد حرّم مكة يوم خلّق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ولا يحلّ لنا من غنائمها شيء»، وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ويث السرايا، ثم خرج إلى حنين.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العُزَّى^(٢) وهدمها

قالوا: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليهدمها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليالٍ بَقِين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فإنك لم تهديمها، فارجع إليها فاهدمها»؛ فرجع خالد وهو متغيظ، فجزّد سيفه، فخرجت إليه امرأة عُزَيّانة سوداء نائرة الرأس^(٣) فجعل السّادن^(٤) يصيح بها، فضربها خالد فجزلها^(٥) اثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره؛ فقال: «نعم، تلك العُزَّى، وقد يئسّ أن تُعبد ببلادكم أبداً»، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شَيْبَان من بني سُلَيْم.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سُوَاع^(٦) وكسره

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان بعد الفتح أيضاً إلى سُوَاع، وهو صنم هُذَيْل ليهدمه؛ قال عمرو: فأنتهيت إليه وعنده السّادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنَع؛ قلت: حتى الآن

(١) تميم بن أسد الخزاعي: تميم بن أسيد، وقيل بن أسد بن عبد العزى بن كعب بن عمرو الخزاعي.

أسلم وصحب قبل فتح مكة. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٨٣ رقم الترجمة ٨٣٤).

(٢) العُزَّى: صنم كانت تعبد قريش (اللسان: عزز).

(٣) نائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٤) السّادن: خادم الكعبة، وبيت الأصنام.

(٥) جزّلها: قطعها.

(٦) سُوَاع: راجع (اللسان: سواع).

أنت في الباطل وَيَحْك! وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة^(١)

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان أيضاً إلى مناة - وكانت بالمشلل^(٢) للأوس والخزرج وغسان - ليهدهما، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها؛ فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه، ولم يجدوا في خزانها شيئاً، وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر ابن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغميصاء

قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه في شوال إلى بني جذيمة بن عامر، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم؛ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فأنتهى إليهم خالد بن الوليد، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وأذننا فيها؛ قال: فما بال السلاح عليكم؟ فقالوا: إن بيننا وبين بعض العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح؛ قال: فضعوا السلاح؛ قال: فوضعوه، فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليدأه؛ أي فليجهز عليه بالسيف.

فأما بنو سليم فقتلوا من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسارهم، فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»؛ وبعث علي بن أبي طالب قوًى^(٣) لهم قتلهم وما ذهب منهم.

(١) مناة: صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة. يعبدونه من دون الله.

(٢) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

(٣) ودى: دفع ديات القتلى.

وقد حكى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني^(١)، خبر هذه السرية في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وخبر مقتله، وذكر خبره مع حبيشة، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال: كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفْعَة^(٢): دون المحتلِّم، لتزور جارة لها، وكانت لها بنت يقال لها: حبيشة إحدى بنات عامر بن عبد مناة، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقع في نفسه؛ فانصرف وترك أمه عند جارتها، فبقيت عندها يومين، ثم أتتها ليرجعها إلى منزله، فوجد حبيشة قد زُينت لأمرٍ كان في الحي، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداة تمطر، فمشى معها وجعل يقول: [من الوافر]

فما أدري بلى إني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والذي خلق الهدايا وما إن عندها للصب عيش^(٣)

قال: فسمعت ذلك حبيشة، فتغافلت عنه، وكرهت قوله، ثم مشى ملياً فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض، فقال: [من البسيط]

يا أمتاً خبريني غير كاذبة وما يريد مسؤل الحق بالكذب
أأنت أحسن أم ظبي براية لا بل حبيشة في عيني وفي أربي^(٤)

قال: فزجرته أمه، وقالت: ما أنت وهذا، أنا مزوجتك، بنت عمك، فهي أجمل من تلك، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت: زني ابتك له، ففعلت وأدخلتها عليه، فلما رآها أطرق، فقالت له أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال: [من الطويل]

إذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير يحشه وقود الغضى فالقلب مضطرم جمر^(٥)

قال: وجعل يرسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله الشعر فيها، فمن ذلك قوله: [من الطويل]

(١) أبو الفرج الأصفهاني: (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م) علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه «الأغاني - ط» واحد وعشرون جزءاً. لم يعمل في بابيه مثله. (الأعلام: ٤: ٢٧٨) والخبر في الأغاني: ٧: ٢٨٠ دار الكتب.

(٢) يَفْعَة: في أول فتوته.

(٣) رواية الأغاني: «وما عن بعدها للصب عيش».

(٤) أربي: غايته.

(٥) حش النار: أوقدها.

حُبَيْشَةُ هَلْ جَدِّي وَجَدَكَ جَامِعٌ بِشَمْلِكُمْ شَمْلِي وَأَهْلِكُمْ أَهْلِي^(١)
 وَهَلْ أَنَا مَلْتَفٌ بِشَوْبِكَ مَرَّةً بِصَحْرَاءَ بَيْنَ الْأَيْكَتَيْنِ إِلَى النَّخْلِ
 وَمَرْتَشَفٌ مِنْ رَيْقِ ثَغْرِكَ مَرَّةً كَرَّاجٍ وَمِنْكَ خَالِطًا عَسَلَ النَّحْلِ^(٢)

فلما بلغ أهلها خبره، حجبوها عنه مدة، وهو يزيد غراماً بها، ويكثر قوله الشعر فيها، فأتوها فقالوا لها: عِديهِ السَّرْحَةُ^(٣)، فإذا إِيَّاكَ فَقُولِي لَه: نَشُدُّكَ اللَّهُ إِنْ أَحْبَبْتَنِي فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغِضَ إِلَيَّ مِنْكَ، وَنَحْنُ قَرِيبٌ نَسْمَعُ مَا تَقُولِينَ؛ فَوَاعِدْتَهُ، وَجَلَسُوا قَرِيباً يَسْمَعُونَ، وَجَلَسَتْ عِنْدَ السَّرْحَةِ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ لِمَوْعِدِهَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا دَمَعَتْ عَيْنُهَا، وَالتَفَتَتْ حَيْثُ أَهْلُهَا جُلُوسٌ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ قَرِيبٌ، فَجَرَعَ وَبَلَّغَهُ مَا أَمْرُهَا بِهِ أَنْ تَقُولَهُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

فَلَوْ قُلْتُ مَا قَالُوا لَزِدْتِ جَوَى جَوٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِترٌ وَلَا صَبْرٌ^(٤)
 وَلَمْ يَكْ حَبِّي عَنْ نَوَالٍ بِذِلَّتِهِ فَيُسْلِينِي عَنْكَ التَّجَلَّدَ وَالْهَجْرَ
 وَمَا أَنْسَمِ الْأَشْيَاءُ لَمْ أَنْسَ دَمْعَهَا وَنَظَرْتُهَا حَتَّى يُعَيَّبَنِي الْقَبْرَ

قال: وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي عَامِرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا قَاتَلَهُمْ، فَصَحَبَهُمْ خَالِدٌ بِالْعُمَيْصَاءِ وَقَدْ عَلِمُوا بِهِ وَخَافُوهُ، وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا الْفَاكَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَمَهُ الْفَاكَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَمَعَهُ بَنُو سَلِيمٍ وَهُمْ يَطْلُبُونَهُمْ بِمَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ صَخْرِ بْنِ الشَّرِيدِ وَإِخْوَاتِهِ كُرْزَ وَعَمْرُوَ وَالْحَارِثُ، وَكَانُوا قَتَلُوهُمْ فِي مَوْطَنٍ وَاحِدٍ. فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَرَأَوْا مَعَهُ بَنِي سَلِيمٍ زَادَهُمْ ذَلِكَ تُفُوراً، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: أَسْلِمُوا، فَقَالُوا: نَحْنُ مُسْلِمُونَ؛ قَالَ: فَأَلْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ؛ فَقَالَ لَهُمْ جَذِيمُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي أَقْرَمٍ: يَا قَوْمَ، لَا تُلْقُوا سِلَاحَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا بَعْدَ وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْقَتْلُ؛ قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُلْقِي سِلَاحَنَا وَلَا نَنْزِلُ، فَمَا نَحْنُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ بِأَمْنِينَ؛ قَالَ خَالِدٌ: فَلَا أَمَانَ لَكُمْ؛ فَتَزَلَّتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَأَسْرَوْهُمْ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّةُ الْقَوْمِ فِرْقَتَيْنِ، فَأَصْعَدْتُ فِرْقَةً وَسَفَلْتُ أُخْرَى.

قال ابن دأب: فَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتَّهُمْ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَذْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:

(١) الجد: الحظ.

(٢) الراج: الخمرة.

(٣) السرحة: نوع من الشجر الكبير. وقد يكون المقصود أن توافيه إلى هذا المكان الذي ينبت فيه هذا الشجر (اللسان - سرح).

(٤) الجوى: العشق، جوى: عاشق.

كنت يومئذ في جُند خالد، فبعثنا في إثر ظُعْنٍ^(١) مُضْعِدة يسوق بها فتية، فقال: أدركوا أولئك؛ فخرجنا في إثرهم حتى أدركناهم، فَمَضَوْا، ووقف لنا غلام على الطريق، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول:

أَرْجِيْنَ أَطْرَافَ الذُّيُولِ وَارْتَعَنْ مَشْيَ حَيَّاتِ كَانَ لَمْ يَفْزَعَنْ
* إِنْ يُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُمْنَعَنْ *

فقاتلنا طويلاً، فقتلناه ومضينا، حتى لحقنا الظُّعْنُ، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول: [من الرجز]

أَقْسِمُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ يَرْزَمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَوَهْدَةٍ^(٢)
يَفْرِسُ ثُنْيَانِ الرَّجَالِ وَحْدَةً بِأَصْدَقِ الْغَدَاةِ مَنِّي نَجْدَةٍ^(٣)

فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظُّعْنُ، وإذا فيهن غلام وضيء به صُفْرَةٌ في لَوْنِهِ كَالْمَنْهوكِ^(٤)، فربطناه بحبل، وقَدَمْنَاهُ لِنَقْتَلِهِ، فقال: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بي الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني؛ قلنا: نفعل؛ فخرجنا حتى نعارض الظُّعْنَ بِأَسْفَلِ الْوَادِي، فلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، نادى بأعلى صوته: إِسْلَمِي حُبَيْشَ، عند فقد العيش؛ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ جَارِيَةً بِيضَاءَ حَسَنَاءَ؛ فَقَالَتْ: وَأَنْتِ فَاسْلَمِي عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ، وَشِدَّةِ الْبَلَاءِ؛ قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكِ دَهْرًا، وَإِنْ بَقِيَتْ عَصْرًا؛ فَقَالَتْ: وَأَنْتِ سَلَامٌ عَلَيْكِ عَشْرًا، وَشَفْعًا، وَوَتْرًا، وَثَلَاثَةً تَتْرَى، فقال: [من الكامل]

إِنْ يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشَ فَلَمْ يَدْعُ هَوَاكِ لَهُمْ مَنِّي سَوَى غَلَّةِ الصَّدْرِ
فَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحِمِّي مِنْ دَمِي وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمُوعَ عَلَى نَحْرِي
فَقَالَتْ لَهُ: [من الطويل]

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً وَأُخْرَى وَأَسَيْنَاكَ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَبْعُدُ فَنِعْمَ فَتَى الْهَوَى جَمِيلُ الْعَفَافِ وَالْمُودَّةِ فِي سِتْرِ
فَقَالَ لَهَا: [من الطويل]

أَرَيْتَ إِنْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتَكُمْ بَحْرَةً أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٥)

(١) الظعن: الجمال التي تحمل النساء.

(٢) الخادر: الأسد. يرزم: يرقد، يجثم.

(٣) نجدة: مساعدة، دفاعاً.

(٤) المنهوك: المرهق.

(٥) الخوانق: موضع بهامة.

ألم يك حقاً أن يُسَوَّلَ عاشقٌ تكلفَ إدلاجَ السُرى والودائع^(١)

فقلت: بلى والله، فقال: [من الطويل]

فلا ذنب لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبني بوذ قبل إحدى الصفائق^(٢)

أثيبني بوذ قبل أن تشحطَ النوى وَيُنْأَى الخَلِيطُ بالحبیب المفارق^(٣)

قال ابن أبي حذرد: فقدّمناه فضرّبنا عنقه، فاقتمحت الجارية من خذرها حتى أهوت نحوه، فالتقمّت فاه، فنزعنا منها رأسه، وإنها لتتبّع نفسها حتى ماتت مكانها، وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السّمِينَدَع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع خالد وشكاه. قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ قال: «هل أنكر عليه أحد ما صنع»؟ قال: نعم، رجل أصفر رُبْعَة^(٤)، ورجل طويل أحمر؛ فقال عمر رضي الله عنه: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأوّل فهو ابني، وأما الآخر فمولي أبي حذيفة، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يقتله، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما، فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بعد فراغه من حنين، وبعث معه بابل وورق، وأمره أن يديهم، فوداهم، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله، فقال: قدمت عليهم فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيب منكم من القتلى والجرحى، وتحلّلوا رسول الله ﷺ ممّا عِلِمَ وممّا لم يعلم؟ فقالوا: نعم، قال: فدفعته إليهم، وجعلت أديهم^(٥) حتى إني لأدي مِيلَغ^(٦) الكلب. وفضلت فضلة فدفعتها إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أقبلوها؟ قلت: نعم؛ قال: «فوالذي أنا عبده لذلك أحب إليّ من حُمُر النّعم».

وروى أبو الفرج أيضاً^(٧) بسند رفعه إلى عمر بن شبة، قال: قالوا: يُروى أن خالداً أتى النبي ﷺ فسئل عن غزاته بني جذيمة، فقال: إن أذن رسول الله ﷺ تحدّث، فقال: «تحدّثت»، فقال: لقيناهم بالعميصاء بعد وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرّن الشمس يغيب، فمَنَحنا الله عز وجل أكتافهم، فاتبعناهم نطلبهم، فإذا غلام له ذوائب

(١) ادلاج السرى: السير ليلاً. الودائع: جمع وديعة وهي شدة الحر في الظهيرة.

(٢) الصفائق: الخطوب، واحدها: صفيقة.

(٣) الخليط: الجماعة المتحابون.

(٤) الرُبْعَة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير.

(٥) أديهم: ادفع الديات.

(٦) مِيلَغ: الإناء الذي يلغ فيه الكلب.

(٧) الأغاني ٧: ٨٩.

على فرس في أخريات الناس، فبَوَأْتُ^(١) له الرمح فوضعتُه بين كتفيه. فقال: لا إله، فقبضْتُ الرمحَ، فقال: إلاَّ الآلات أحسنتُ أو أساءتُ، فهشمتُه^(٢) هشمةً أُرديتُه بها، ثم أخذته أسيراً، فشددته وثاقاً، ثم كلمته فلم يكلمني، واستخبرته فلم يخبرني؛ فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بني جذيمة يسوق بهنَّ المسلمون، فقال: يا خالد، فقلت: ما تشاء؟ فقال: هل أنت واقفي^(٣) على هذه النسوة؟ فأبيتُ، فألقى^(٤) عليَّ أصحابي، ففعلت، وفيهنَّ جارية تدعى حُبَيْشَة، فقال لها: ناوليني يدك، فناولته يدها في ثوبها، فقال: إسلمي حُبَيْش، قبل نفاد العيش. فقالت: حَيَّيتُ عَشْرًا، وتسعاً تَتْرَى، وثمانياً أخرى، فقال: [من الطويل]

أريتِكِ إذ طالبتكم فوجدتكم
ألم يك حقاً أن ينوَّلَ عاشقٌ
فقلت: بلى، فقال: [من الطويل]

فقد قلت إذ أهلي وأهلك جيرةً
أثيبي بوذ قبل أن تشحطَ التوى
ويناؤى الأمير الحبيب المُفارق
ولا راق عيني بعد عينك رائقٌ^(٥)

قال خالد: فغاضني ما رأيت من غَزَلِه وشعره في حاله تلك، فقدَمته فضربت عنقه، فأقبلت الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضعتُه في حجرها، وجعلت ترشُّفه وتقول: [من الطويل]

لا تَبْعِدُنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً
ولا تبعدُنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً
فقد عشتَ محمودَ الثنا ماجدَ الفِعل
وللتحر يوماً عند قَرقرة البُزل^(٦)
فما زالت تبكي وتردّد هذه الأبيات حتى ماتت، وإنَّ رأسه لفي حجرها، فقال

(١) بَوَأْتُ له الرمح: سدده.

(٢) هشمتُه: جذبته.

(٣) واقفي: تجعلني أطلع وأتأكد.

(٤) ألقى عليَّ أصحابي: حلقوا.

(٥) نخلة: هي نخلة اليمانية.

(٦) في هذا البيت إقواء.

(٧) تشجر: تطعن. البزل: جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة. القرقرة: دعاء الإبل، وهي أيضاً هدير الفحل.

رسول الله ﷺ: «لقد وقفت لي يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلتَه». والله أعلم.

ذكر غزوة حنين، وهي إلى هوازن وثقيف

غزاها رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمان من مهاجره. وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، مشى أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وأوعبوا^(١) وبَعَوْا، وجمع أمرهم مالك بن عوف النَّضري، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس^(٢)، وجعلت الأمداد تأتيهم.

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر، وجُشَم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال: ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم؛ قال: وفي بني جُشَم دريد بن الصَّمَّة، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمَنُ برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سيّدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه^(٣).

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان على ثقيف كنانة ابن عبد يا ليل بن عمرو بن عَمِير الثقفي. قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف، قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْد بن الصَّمَّة الصَّمَّة: معاوية الأصغر بن بكر بن عَلَقَة، وقيل: علقمة بن خُزاعة بن عَزْبَة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن، في شجار له يقاد به - والشجار الهودج - فلما نزل دريد قال: بأيّ وإِ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نغم مجال الخيل، لا حَزَن ضِرْس، ولا سَهْل دُهَس^(٤)، ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار^(٥) الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا

(١) أوعبوا: لم يدعوا شيئاً.

(٢) أوطاس: وادٍ في بلاد هوازن.

(٣) في ابن هشام: ٤ : ٨٠: «وأخوه أحمر بن الحارث».

(٤) الحزن: ما غلظ من الأرض. الضرس: الصعب من الحجارة. الدهس: المكان السهل.

(٥) يُعار الشاء: صوتها.

مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كان له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فَأَنْقَضَ به، - أي صاح - ثم قال: راعي ضأن والله! وهل يرذ المنهزم شيء! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلِكَ ومالك ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحدُّ والجُدُّ؛ ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددتُ أنكم فعلتم كما فعلت، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال ذابك الجَدَّعان من عامر^(١) لا ينفعان ولا يضران، يا مالك: إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة^(٢) هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، إدفعهم إلى متمنع بلادهم، وعلِّيا قومهم، ثم القِ الصُّبَاء^(٣) على مُتون الخيل، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك، قد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله، لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعُنني يا معشر هوازن أو لا تُكثن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصِّمَّة فيها ذكر ورأي، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يَفْتُنني: [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيها جَدَّعٌ أَخْبَ فيها وَأَضَعُ^(٤)

أَقُوذُ وَطُفَاء الزَّمْعِ كَأَنها شاة صَدْعُ^(٥)

ثم قال مالك بن عوف للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد؛ قال: وبعث مالك بن عوف عُيوناً من رجاله فأنزوه وقد تفرقت أوصالهم من الرِّغْب، فقال: وَيَلِكُمْ! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً، على خيلٍ بُلُق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

(١) الجَدَّع: الشاب الحدث.

(٢) بيضة هوازن: أصلهم ومجتمعهم.

(٣) في الأصلين: «الظبا» تحريف. والصبا، في الأصل: جمع صابئ، وهو من خرج من دين إلى دين. وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا. وفي اللسان في حديث هوازن: «والف الصُّبَى» (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أي الذين يشتهون الحرب، ويميلون إليها.

(٤) الخب والوضع: ضربان من السير.

(٥) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذي فوق مربوط قيد الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، والمراد بالشاة: الوعل. صدع: أي وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الخشن).

قال ابن إسحاق: ولما سمع رسول الله ﷺ بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، ففعل؛ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأجمع رسول الله ﷺ المسير إلى هوازن لقتالهم، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أذراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: «أعزنا سلاحك نلقَ به عدونا»؛ فقال: أغضباً يا محمد؟ فقال: «بل عارية^(١) مضمونة حتى نؤذيها إليك»؛ قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، ثم خرج رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة.

قال الثعلبي: قال مقاتل: كانوا أحد عشرة ألفاً وخمسمائة.

وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، فقال رسول الله ﷺ: «لن تُغلب اليومَ من قلة»، حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال الثعلبي: ويقال: بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له: سلمة بن سلامة.

قال ابن سعد: وخرج مع رسول الله ﷺ ناس من المشركين كثير، منهم صفوان ابن أمية.

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سيذرة^(٢) عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً؛ قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سيذرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنّبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ» [الأعراف: ١٣٨] إنها السنن، لتركن سنن، من كان قبلكم»، قالوا: وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فلما كان من الليل عمّد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله ﷺ وأصحابه حملة واحدة، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه في السحر، وصفّهم صفوفاً، ووضع الألوية

(١) عارية: مستعارة.

(٢) السدرة: شجرة النبق.

والرايات في أهلها مع المهاجرين: لواء يحملها علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحملها حُباب بن المنذر - ويقال: سعد بن عبادة - ولواء الأوس مع أسيد بن حضير، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمًى، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم منهم مسمًون، وكان رسول الله ﷺ قد قدم سَلِيماً من يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قَدِمَ الجِعْرَانَة، قال: وانحدر رسول الله ﷺ في وادي حنين على تعبثته، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل»، ولبس درعين والمِغْفَر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يَرَوْا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غَبَش^(١) الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعته، فحملوا حملة، وانكشفت الخيل خيل بني سليم مولية، وتبعهم الناس منهزمين، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ يومئذ ثلثمائة من المسلمين، وانهزم سائر الناس عنه، وجعل رسول الله ﷺ يقول للعباس: ناد، يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمُرَة^(٢)، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى - وكان صَيِّتاً^(٣) - فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حَنَّتْ على أولادها يقولون: يا لَبِيكَ يا لَبِيكَ! فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ^(٤)»: [من مجزوء الرجز]

أنا النبي لا كَذِبُ أنا ابنُ عبد المطلب

ثم قال للعباس بن عبد المطلب: ناولني حَصِيَّات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، وقال: «انهزموا ورب الكعبة»، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وانهزموا لا يُلَوِي أحد منهم على أحد.

قال محمد بن إسحاق: لما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من

(١) غَبَش الصبح: ظلمة آخر الليل، وفي ابن هشام: «عماءة الصبح».

(٢) السُّمُرَة: شجرة الطلح، وهي التي كان عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) صَيِّتاً: قوي الصوت.

(٤) الوطيس: التنور يخبز فيه. وقيل: هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشبون فيها اللحم.

جُفَاء مَكَّةَ الهزيمة، تكلَّم رجال بما في أنفسهم من الضَّغْن^(١)، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وأن الأزلام^(٢) لمعه في كنانته، وصرخ جَبَلَة بن الحَنْبَل وهو مع أخيه صفوان بن أمية: ألا بَطَل السَّخَرُ اليوم! فقال له صفوان: أَسَكَتَ فَضَّيَّ الله فاك! فوالله لأن يَرَبَّنِي^(٣) رجل من قريش أحبَّ إليَّ من أن يَرَبَّنِي رجل من هوازن؛ وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة^(٤): اليوم أدرك ثأري من محمد - وكان أبوه قتل يوم أُحُد - اليوم أقتل محمداً. قال: فبادرت لأقتله، فأقبل شيء حتى غَشَى فؤادي، فلم أطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع مِنِّي.

وفي رواية أخرى، قال شيبه بن عثمان: استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة، فأطلع الله رسوله علي ما في نفسي، فالتفت إليَّ وضرب في صدري وقال: «أعيذك بالله يا شيبه»، فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحبَّ إليَّ من سمعي وبصري فقلت: أشهد أنك رسول الله ﷺ، وأنَّ الله أطلعك على ما في نفسي.

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال: إنني لمع رسول الله ﷺ أَخَذَ بِحَكْمَةٍ^(٥) بغلته البيضاء وقد شَجَرْتَهَا^(٦) بها، وكنت امرأة جسيماً شديد الصوت، ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس»، فلم أر الناس يَلُوُّونَ على شيء، فقال: «يا عباس، اصرخ، يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرَةِ» قال: فأجابوا لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليشني بعيه فلا يقدر على ذلك، ويأخذ دِرْعَه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتمح عن بعيه ويخلي سبيله، فيؤمُّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا؛ فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مُجْتَلَدٍ^(٧) القوم، فقال: «الآن حَمِي الوَطِيس».

(١) الضَّغْن: الحقد.

(٢) الأزلام: السهام التي يستقسم العرب بها.

(٣) يَرَبَّنِي: يكون رباً لي، أي مالئاً علي.

(٤) شيبه بن عثمان: (٥٩... هـ = ٦٧٩ م) شيبه بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار: صحابي من أهل مكة. أسلم يوم الفتح. وكان حاجب الكعبة في الجاهلية. ورث حاجبتها عن آبائه، وأقره النبي ﷺ على ذلك، ولا يزال بنوه حاجبها إلى اليوم. (الأعلام: ٣: ١٨١).

(٥) الحَكْمَة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجأه.

(٦) شَجَرْتَهَا بها: أي وضعها في شجرها، وهو مجتمع اللحين.

(٧) مجتلد القوم: مكان جلادهم بالسيوف.

قال جابر بن عبد الله: فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سليم ابنة ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد لها، وإنها لحامِل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جَمَل أبي طلحة، فقال رسول الله ﷺ: «أم سليم؟» قالت: نعم، بأبي وأمي يا رسول الله! أقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ: «أو يكفي الله يا أم سليم؟» قال: ومعها خِنْجَر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجرٌ أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بِعَجْته^(١) به.

وقال محمد بنُ إسحاق: حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ وَالنَّاسِ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْبِحَادِ^(٢) الْأَسْوَدَ أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا نَمْلٌ أَسْوَدٌ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي، لَمْ أَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَأُكَّةُ، وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةَ الْقَوْمِ.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٣)، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن رُفيع بن أهبان - وهو ابن الدُّعْنَة - دُرَيْدَ بن الصَّمَّة وهو في شجارٍ له أي هودج، فأخذ بخِطَام^(٤) جَمَلِهِ وهو يظن أنه امرأة، فأناخ به، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دُرَيْد: ما تريد بي؟ قال: أقتلك؛ قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رُفيع السُلَمي، ثم ضربه بسيفه فلم يُغن فيه شيئاً، فقال: بئس ما سلَّحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرِّخْل في الشَّجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإنني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّة، فرُب والله يوم قد منعَتْ فيه نساءكَ؛ فقتلَه، ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إيَّاه، فقالت: أما والله لقد أعنتْ أمهات لك ثلاثاً.

قال ابن هشام: ويقال أن الذي قَتَلَ دُرَيْدَ بْنَ الصُّمَّةِ هو عبد الله بن قُنَيْع بن

(۱) مع بطنه : شقه .

(٢) البجاء: الكساء، وجمعه: يُجَدُّ بضمّتين.

(٣) يريد نخلة اليمامة.

(٤) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير.

أُهْبَان بن ثعلبة بن ربيعة؛ قال: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ فِي آثَارِ مَنْ تَوَجَّهَ قَبْلَ أُوطَاسِ أَبِي عَامِرِ الْأَشْعَرِيِّ، فَأَدْرَكَ بَعْضُ مَنْ انْهَزَمَ، فَنَاوَشُوهُ الْقِتَالَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ تِسْعَةَ مُبَارَزَةٍ وَهُوَ يَدْعُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ؛ ثُمَّ بَرَزَ لَهُ الْعَاشِرُ مُعَلِّمًا بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ، فَضْرَبَ أَبِي عَامِرٍ فَقَتَلَهُ. وَاسْتَخْلَفَ أَبُو عَامِرٍ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ^(١)، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقُتِلَ قَاتِلُ أَبِي عَامِرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ وَاجْعَلْهُ مِنْ أَعْلَى أُمَّتِي فِي الْجَنَّةِ»، وَدَعَا لِأَبِي مُوسَى.

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي خَبَرِ أَبِي عَامِرٍ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ مُبَارَزَةٍ يَدْعُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُهُ أَبُو عَامِرٍ، وَيَبْقَى الْعَاشِرُ، فَحَمَلَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، فَدَعَاهُ أَبُو عَامِرٍ إِلَى الْإِسْلَامِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ لَا تَشْهَدْ عَلَيَّ، فَكَفَّ عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ، فَأَقْلَتَ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَاهُ قَالَ: «هَذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ»، وَرَمَى أَبَا عَامِرٍ أَخْوَانُ: الْعِلَاءُ وَأَوْفَى ابْنَا الْحَارِثِ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَصَابَ أَحَدَهُمَا قَلْبَهُ. وَالْآخَرُ رَكْبَتَهُ، فَقَتَلَاهُ، وَوَلَّى النَّاسَ أَبُو مُوسَى فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا.

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ: إِنَّ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِرٍ فَأَصَابَ رَكْبَتَهُ هُوَ سَلْمَةُ ابْنِ دَرِيدٍ^(٢) بَنِ الصُّمَّةِ. وَإِنَّهُ ارْتَجَزَ فَقَالَ:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ إِنْ سَمَادِيرَ^(٣) لِمَنْ تَوَسَّمَةٌ
* أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رِءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

قَالَ: وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ فَوَقَفَ فِي فَوَارِسَ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى ثَنِيَّةٍ مِنَ الطَّرِيقِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضِعْفَاؤُكُمْ وَتَلْحَقَ أَخْرَاكُمُ، فَوَقَفَ حَتَّى مَضَى مِنْ لِحَقِ بِهِمْ مِنْ مَنِهْزَةِ النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي أَنَّ خَيْلًا طَلَعَتْ وَمَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الثَّنِيَّةِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: نَرَى قَوْمًا وَاضِعِي رِمَاحَهُمْ بَيْنَ آذَانِ خَيْلِهِمْ، طَوِيلَةَ بَوَادِهِمْ^(٤) فَقَالَ: هَؤُلَاءِ بَنُو سُلَيْمٍ، وَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ؛ فَلَمَّا أَقْبَلُوا سَلَكُوا بَطْنَ

(١) أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: (٢١ ق هـ ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥ م) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ بْنِ سَلِيمٍ. أَبُو مُوسَى، مِنْ بَنِي الْأَشْعَرِ مِنْ قَحْطَانَ، صَحَابِي مِنَ الشَّجْعَانِ الْوَلَاةِ الْفَاتِحِينَ. وَأَحَدُ الْحَكَمِيِّينَ الَّذِينَ رَضِيَ بِهِمَا عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَةُ بَعْدَ حَرْبِ صَفِينٍ. وَلَدَ فِي زَبِيدَ بِالْيَمَنِ، وَفَدَّ مَكَّةَ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ. تَوَفَّى بِالْكُوفَةِ. (الأعلام: ٤: ١١٤).

(٢) فِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّينَ: «زَيْد».

(٣) سَمَادِيرُ: امْرَأَةُ دَرِيدِ بْنِ الصُّمَّةِ.

(٤) الْبَوَادِ: جَمْعُ بَادٍ، وَهُوَ بَاطِنُ الْفَخْذِ.

الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالا^(١) على خيلهم، فقال هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل الباداً واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللات ليخالطنكم، فاثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية، أبصر القوم فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها.

قالوا: ولما انهزم القوم أمر رسول الله ﷺ بقتل من قُدر عليه، فحقيق المسلمون عليهم؛ فقتلوا الذرية والنساء، فمَرَّ رسول الله ﷺ يومئذٍ بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد، فقال: «ما هذه؟» قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرك خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة؛ وأنزل الله تعالى في يوم حُنين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَتْكُمْ فَرَأَيْتُمُ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْإِثْمُ عَنَّا وَإِنَّ الْأَرْضَ بِمَآءٍ رَجَبَتْ ثُمَّ أَلْبَسْتُمْ مُدْرِيكَ ۚ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُوداً لَوْ تَرَوْهَا وَعَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

قال الثعلبي: قال سعيد بن جبير: أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين^(٢).

وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف.

وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفاً؛ قال سعيد بن جبير: حدثني رجل كان في المشركين يوم حُنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا جلبة شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء - يعني رسول الله ﷺ - فتلقانا رجال بيض الثياب حسان الوجوه، فقالوا لنا: شأهت الوجوه، ارجعوا فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها. يعني الملائكة.

قال: وفي الخبر أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق، والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهية الشامة، وما كان قتلنا إلا بأيديهم، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: «تلك الملائكة».

وقال محمد بن سعد: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراء قد أرخوها بين أكتافهم.

(١) الأغفال: جمع غفل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به.

(٢) مسومين: معلمين.

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم حنين من بني هاشم أيمن بن عبيد، ومن بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود، ومن الأنصار سراقه بن الحارث بن عدي، ومن الأشعرين أبو عامر.

وقال ابن سعد: ورقيم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان، واستحرّ القتل في بني نصر ابن معاوية، ثم في بني رثاب، فقال عبد الله بن قيس، وكان مسلماً. هلكت بنو رثاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مصيبتهم». قال: وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال، فجمعت وحُدرت إلى الجعرانة، وعليها مسعود بن عمرو الغفاري، فوقف بها بالجعرانة حتى انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظلون بها من الشمس، ثم قسمها ﷺ بعد ذلك، على ما تذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدوسي^(١) إلى ذي الكفّين

بعثه رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمانٍ عند منصرفه من غزوة حنين، وتوجّهه إلى الطائف ليهدم ذا الكفّين صنم عمرو بن حُمّة الدوسي، وأمره أن يستمدّ قومه ويأتيه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قومه، فهدم ذا الكفّين وجعل يحشّ النار في وجهه ويقول: [من الرجز]

يا ذا الكفّين لست من عبّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

* إني حششتُ^(٢) النارَ في فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعاً، فوافقوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مقدّمه بأربعة أيام، وقدم الطفيل معه بدّابة^(٣) ومُتَجَنِّق.

ذكرُ غزوة الطائف

غزاها رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمانٍ من مُهاجره، وذلك أنه لما انهزمت هوازن وثقيف يوم حنين، وجمعت السبايا والغنائم، سار رسول الله ﷺ من حنين يريد

(١) الطفيل الدوسي: (... - ١١هـ = ٦٣٣ م) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي. صحابي من الأشراف، في الجاهلية والإسلام. كان شاعراً، غنياً، كثير الضيافة، مطاعاً في قومه. استشهد في الإمامة. (الأعلام: ٣: ٢٢٧).

(٢) حش النار: أوقدها.

(٣) الدبابة: آلة تتخذ في الحروب يدخل في جوفها الرجال، ثم تدفع في أصل الحصن. فينقبونه وهم في جوفها.

الطائف، وقَدَّم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رُمُوا^(١) حصنهم، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما انهزموا من أوطاس، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤوا للقتال، وسار رسول الله ﷺ وسلك على نخلة اليمانية، ثم على قَرْن، ثم على المُلِيح، ثم على بُخرة الرُّغاء من لِيَّة^(٢)، فابتنى بها مسجداً يُصَلِّي فيه.

قال ابن إسحاق: وأقاد^(٣) رسول الله ﷺ يومئذٍ ببحرة الرُّغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أُقيدَ به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلاً من هُذَيْل، فقتل به؛ قال: وأمر رسول الله ﷺ وهو بِلِيَّةٍ بحصن مالك بن عوف، فهديم، ثم سلك في طريق يقال لها: الضُّبَيْقَة، فسأل عن اسمها. فقال: «ما اسم هذه الطريق؟» فقالوا: الضُّبَيْقَة، فقال: «بل هي اليسرى»، ثم خرج منها على نَجَب^(٤) حتى نزل تحت سِدْرَة^(٥) يقال لها: الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، يقول: «إِذَا تَخَرَجَ وَإِنَّمَا أَنْ نَخْرَبَ عَلَيْكَ حَائِطُكَ»؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرَجَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِخْرَاجِهِ؛ ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ قَرِيباً مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ، فَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمِيّاً شَدِيداً حَتَّى أَصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا.

قال ابن إسحاق: وهم سعيد بن سعيد بن العاص، وعُرْفُطَة بن جناب، حليف لهم من أسد بن الغوث.

وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، رُمِيَ فاندمل جُرحُه، ثم انتَقَضَ^(٦) بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه.

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

ومن بني كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سعد بن ليث جليحة بن عبد الله.

ومن الأنصار ثابت بن الجذع، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبد الله، ورُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة الأوسي.

قال: فارتفع رسول الله ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه ﷺ من

(١) رموا حصنهم: أعادوه إلى وضعه الجيد.

(٢) أسماء مواضع بالطائف.

(٣) أقاد: القود: قتل القاتل مقابل القاتل.

(٤) نَجَب: وادٍ بالطائف.

(٥) السدرة: نوع من الشجر.

(٦) انتقض: يقال: انتقض الجرح: إذا فسد.

نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قُبَّتَيْن، وحاصرهم رسول الله ﷺ ثمانية عشر يوماً، ويقال: خمسة عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ورَمَى عليهم به، وأهل الطائف أول من رُمي بالمنجنيق في الإسلام.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشُّدْخَةِ^(١) دخل نفر من المسلمين تحت دِبابَةٍ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سيكك الحديد مُحَمَّاةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل منهم رجال، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أدعها لله وللرحم»، ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرّ؟» فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم: أبو بكر، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَمُونَهُ، فسق ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي، فقال: «ما ترى؟» فقال: ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضررك.

قال محمد بن إسحاق: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «يا أبا بكر، إني رأيت آتي أهديث لي قَعْبَةٌ مملوءة زُبْدًا، فنقرها ديك فهراق ما فيها»، فقال أبو بكر: ما أظن أن تُدرِك منهم يومك هذا ما تريد؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك».

قال: ثم إن حُوَيْلَةَ بنت حكيم بن أمية السُلَمِيَّة، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله، [أعطني]^(٢) إن فتح الله عليك الطائف حُلِّيَّ بادية بنت غَيْلان بن سلمة، أو حُلِّيَّ الفارعة بنت عَقِيل، وكانتا من أحلى نساء قريش. قال: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لا يؤذن لي في ثقيف يا حُوَيْلَةَ؟» فخرجت حُوَيْلَةَ فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديث حدَّثْتَنِيهِ حُوَيْلَةَ فزعمت أنك قد قلت؟ قال: «قد قُلْتُهُ». قال: أو ما أذن فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال: أفلا أوْذَن بالرحيل؟ قال: «بلى»، قال: فأذن عمر في الناس بالرحيل، فضجَّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله ﷺ: «فاغدوا على القتال»؛ فَعَدَّوا، فأصابَت المسلمين

(١) يوم الشُّدْخَةِ: سمي يوم الشدخة، لما شدخ فيه من الناس. والشدخ: كسر كل شيء أجوف (المواهب: ٣: ٣٧).

(٢) التكملة عن ابن هشام: ٤: ١٢٧.

جراحات، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون إن شاء الله»؛ فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرتحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وقال لهم: «قولوا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»؛ فلما ارتحلوا واستقلوا قال: «قولوا آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون»؛ وقيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ادعُ على ثقيف؛ فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم».

ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم مغانم حُنين، وما أعطاه المؤلفة

قال ابن إسحاق: ولما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف رجع إلى الجعرانة فانتهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً، وقسم الفيء.

قال محمد بن سعد: كان السبي ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والورق أربعة آلاف أوقية فضة، فاستأني رسول الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدهم، وبدأ بالأموال فقسّمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس.

قالوا: فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل. قال: وابني يزيد؟ قال: «أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل»؛ قال: وابني معاوية؟ فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى الثّضير بن الحارث بن علقمة بن كلدّة مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية الثّقفيّ مائة من الإبل، وأعطى العلاء ابن جارية الثّقفيّ خمسين بعيراً، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عديّ مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامريّ خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى غيّنة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس^(٢) أربعين من الإبل، وقيل: أربعة، فقال في ذلك: [من المتقارب]

(١) استأني: انتظر.

(٢) العباس بن مرداس: (... - نحو ١٨ هـ = ... - ٦٣٩ م) العباس بن مرداس بن أبي عامر =

كانت زهاباً تلاقِيَتْها بكَرِّيَ على المُهَرِّ في الأَجْرَعِ^(١)
 وإيقاظي القومَ أن يَرقلوا إذا هَجَعَ الناسُ لم أَهَجَعَ
 فأصَبَحَ نَهْيِي ونَهَبِ العُبَيْدِ لِـ بَيْنِ عَيْنِنَا والأَقْرَعِ^(٢)
 وقد كُنْتُ في الحربِ ذا تُذَرِّلِ فلم أعطَ شيئاً ولم أَمْنَعِ^(٣)
 ألا أفاثِلَ أُعْطِيَتْها عديدَ قوائِمِها الأربعِ^(٤)
 وما كان جِصْنَ ولا حابِسَ يفوقان مِرْدَاسَ في المَجْمَعِ^(٥)
 وما كُنْتُ دون امرئٍ منهما ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ
 فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»، فأعطوه حتى رضي، قيل: أعطاه مائة من الإبل.

قال ابن سعد: أعطى رسول الله ﷺ ذلك كله من الخمس، وهو أثبت الأقاويل عندنا، ثم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم قَضَها^(٦) على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل، وأربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد.

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال: وقدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زُهَيْر بن صُرْد^(٧)، وفيهم أبو بُرْقَان، عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي.

= السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم وكان بدوياً قحاً لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. ومات في خلافة عمر. (الأعلام: ٣: ٢٦٧).

(١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. الأجرع: المكان السهل.

(٢) العُبَيْد: اسم فرس عباس بن مرداس.

(٣) ذا تُذَرِّلِ: ذا دفع عن قومي.

(٤) الأفاثِل: الصغار من الإبل، الواحد: أفيل.

(٥) يعني أباه مرداساً.

(٦) فَضّ: يقال: فَضّ الشيء على القوم: إذا فرّق وقسمه.

(٧) زهير بن صُرْد: زهير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول. ويقال: أبو صرد. راجع الإصابة في

تمييز الصحابة: ١: ٥٥٣ رقم الترجمة ٢٨٢٦.

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو: إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا.

قال وقام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر يقال له: زهير، يكتئب بأبي صُرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر^(١) عَمَاتُك، وخالاتك وحواضنك اللاتي كن معك يكفلنك، ولو أنا مَلَحْنَا^(٢) للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن أبا صُرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك: [من البسيط]

أُمنُن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
أُمنُن على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ	ممزق شملها، في دهرها غَيْرٌ ^(٣)
يا خير طفلٍ ومولودٍ ومنتجبٍ	في العالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح حلماً حين يُختبر
فامنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من محضها دررٌ ^(٤)
إذ كنت طفلاً صغيراً ترضعها	وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإننا معشر زهرٌ ^(٥)
يا خير من مَرِحَتْ كُفَّتُ الجِياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا لنشكر آلاءَ وإن كُفِرَتْ	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا نوُمِلَ عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت واهبه	يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خيّرنا بين أموالنا وأحسابنا، فرد إلينا أبناءنا ونساءنا

(١) الحظائر: جمع حظيرة وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها.

(٢) ملحن: يقال: ملحن فلان أي أرضعناه (اللسان: ملح).

(٣) البَيْضَةُ هنا: مجتمع الناس، الغير: المصائب.

(٤) إشارة إلى حليلة السعدية، مرضعة الرسول ﷺ.

(٥) يقال: شالت نعامتهم: إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية. والنعام: الجماعة انظر (اللسان: شول).

فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم»، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ؛ وقالت الأنصار مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو قُرارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال: يقول عباس لبني سليم: وَهَنْتُمُونِي^(١)؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بسبيهم، وخيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمن كان عنده منهم فطابت نفسه أن يرده فسيبل ذلك، ومن أبى فليرد عليهم، وليكن ذلك قرضاً علينا، فله بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفىء الله علينا»، قالوا: رَضِينَا وَسَلَمْنَا، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرَ عِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَرُدَّ عَجُوزاً صَارَتْ فِي يَدِهِ مِنْهُمْ، ثُمَّ رَدَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وقد حكى محمد بن إسحاق سببَ تَمَسُّكِ عِيْنَةَ بِهَا وَرَدَّهَا، قَالَ: فَقَالَ حِينَ أَخَذَهَا: أَرَى عَجُوزاً إِنِّي لِأَحْسِبُ لَهَا فِي الْحَيِّ نِسْباً، وَعَسَى أَنْ يَعْظُمَ فِدَاؤُهَا؛ فَلَمَّا رَدَّ النَّاسَ السَّبَايَا بَسَّتْ فَرَائِضُ أَبِي أَنْ يَرُدَّهَا، فَقَالَ لَهُ زَهِيرُ بْنُ صُرْدٍ: خَذْهَا عَنْكَ، فَوَاللَّهِ مَا فُوهَا بِبَارِدٍ، وَلَا ثَدْيُهَا بِنَاهِدٍ، وَلَا بَطْنُهَا بِوَالِدٍ، وَلَا زَوْجُهَا بِوَاجِدٍ وَلَا دَرَّهَا^(٢) بِمَا كِدَ؛ فَرَدَّهَا بَسَّتْ فَرَائِضُ حِينَ قَالَ لَهُ زَهِيرُ مَا قَالَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَسَا السَّبْيَ قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً، وَالْقَبَاطِيُّ: ثِيَابٌ بَيْضٌ تُتَخَذُ مِنَ الْكَتَانِ بِمِصْرَ.

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حصن في هذه القصة قال: لما قدم وفدُ هوازن على رسول الله ﷺ، وردَّ عليهم السبي، كان عيينة قد أخذ رأساً منهم، فنظر إلى عجوزٍ كبيرة، فقال: هذه أمُّ الحَيِّ، لعلَّهم أَنْ يُغْلَوْا بِفِدَائِهَا، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهَا فِي الْحَيِّ نِسْبٌ. فجاء ابنها إلى عيينة فقال: هل لك في مائةٍ من الإبل؟ قال: لا، فرجع عنه، فتركه ساعة، وجعلت العجوز تقول لابنها: مَا إِرْبُكَ^(٣) فِي بَعْدِ مِائَةِ نَاقَةٍ، أُرِكَهَ فَمَا أُسْرِعَ مَا يَتْرَكُنِي بِغَيْرِ فِدَاءٍ؛ فَلَمَّا سَمِعَهَا عِيْنَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ خُدْعَةً، وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ هَذِهِ إِلَّا فِي غُرُورٍ؛ وَلَا جَرَمَ وَاللَّهِ لِأَبْعِدَنَّ أَثْرَكَ مِنِّي؛ قَالَ: ثُمَّ مَرَّ ابْنُهَا فَقَالَ لَهُ عِيْنَةُ: هَلْ لَكَ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: لَا أَزِيدُكَ

(١) وهتُموني: أضعفتُموني.

(٢) الدَّر: اللبن. الماكِد: الغزير.

(٣) إربك في: حاجتك بي.

على خمسين؛ فقال عيينة: لا أفعل، ثم لبث ساعة، فمرّ به وهو معرض عنه، فقال له عيينة: هل لك في الذي بذلت لي؟، قال له الفتى: لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة؛ قال عيينة: والله لا أفعل، فلما تخوّف عيينة أن يتفرّق الناس ويرتحلوا قال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ فقال الفتى: هل لك إلى عشر فرائض؟ قال: لا أفعل؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ قال الفتى: أرسلها وأحمدك، قال: لا والله ما لي حاجة بحمدك؛ فأقبل عيينة على نفسه لائماً لها ويقول: ما رأيت كالיום أمراً أنكد، قال الفتى: أنت صنعت هذا بنفسك، عمدت إلى عجوز كبيرة، والله ما نديها بناهد، ولا بطئها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد، فأخذتها من بين من ترى؛ فقال له عيينة: خذها لا بارك الله لك فيها؛ قال: فيقول الفتى: يا عيينة، إن رسول الله ﷺ قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة، فهل أنت كاسيها ثوباً؟ قال: لا والله ما لها ذاك عندي، قال: لا تفعل، فما فارقه حتى أخذ منه سَمَل ثوب^(١). ثم ولّى الفتى وهو يقول: إنك لغير بصير بالقرض، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قُبْطِيَّة قُبْطِيَّة، والقَبَاطِي: ثياب بيض تتخذ من الكتان بمصر.

قال محمد بن إسحاق: وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل^(٢)؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال: «أخبروا مالكا إن هو أثناني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل»، فأخبر بذلك. فخرج من الطائف فأدرك رسول الله ﷺ بالجرعانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشيداً: [من الكامل]

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسّمهريّ وضرب كل مهند^(٣)
فكأنه ليث على أشباله وسط الهبأة خاذر في مرصد^(٤)

(١) سمل ثوب: الثوب القديم.

(٢) مالك بن عوف: (... - نحو ٢٠ هـ = - نحو ٦٤٠ م) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصرى من هوازن: صحابي من أهل الطائف. كان رئيس المشركين يوم حنين... ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية وفتح دمشق وكان شاعراً رفيع القدر في قومه. راجع: (الأعلام: ٥: ٢٦٤).

(٣) السّمهري: الرمح. المهند: السيف الهندي.

(٤) الهبأة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً لخوفه على أشباله، يصفه بالقوة. المرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة.

فاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ: ثُمَالَةُ، وَسُلَمَةُ، وَفَهْمٌ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا؛ لَا يُخْرِجُ لَهُمْ سَرَجًا^(١) إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو مِخْجَنَ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ: [مَنْ الْمَدِيدُ] هَابَتِ الْأَعْدَاءُ

جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَزَوْنَا بَنُو سَلِمْهَ
وَأَنَا مَالِكُ بِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نَقْمِهِ

ذكر تسمية من بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغانم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين: أبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد بن أبي العيص^(٣)، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بَعَكْكَ بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَةَ، وأبو جَهْم بن حَذِيفَةَ بن غانم، والعدويان، وصفوان بن أمية بن خلف الجُمَحِيِّ، وأُحَيِّحَةُ بن أمية بن خلف، وعُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ بْنِ خَلْفٍ، وعدِيَّ بن قيس بن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر الدِّيلِيِّ، وعلقمة بْنُ عَلَاثَةَ بن عوف، وَلَبِيدُ بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هُوْذَةَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرمة بن هُوْذَةَ بن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعبَّاس بن مرداس السُّلَمِيِّ وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأقرع بن حابس بن عقال المُجَاشَعِيِّ.

(١) السرج: المال الساتم.

(٢) أبو محجن الثقفي: (.... - ٣٠ هـ = ٦٥٠ م) عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير أبو عوف: أحد الأبطال الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩ هـ وروى عدة أحاديث. توفي بأذربيجان أو بجرجان. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٣) كذا في ابن هشام: ٤: ١٣٧ والاستيعاب. والذي في الأصلين: «العاص».

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفيء، وما أجابهم به رسول الله ﷺ، ورضاهم به

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه أنه قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا^(٢) في أنفسهم حتى كثرت بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي الله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عباد فقل: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؛ قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قاله بلغثني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، الله ورسوله أمّن وأفضل ثم قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل، قال رسول الله ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقم: أتينا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أو جدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لعاعة^(٣) من الدنيا تألفت بها قوماً ليُسليموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبيعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكُم! فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً^(٤) وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»؛ قال: فبكى القوم حتى أخضلوا^(٥) إحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحطاً؛ ثم انصرف رسول

(١) أبو سعيد الخدري: (١٠ ق هـ - ٧٤ هـ = ٦١٣ - ٦٩٣ م) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ. وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. توفي في المدينة. (الأعلام: ٣: ٨٧).

(٢) وجد: حنق.

(٣) اللعاعة: الجرعة من الماء يريد الشيء السيئ.

(٤) الشعب: الطريق بين الجبلين.

(٥) أخضلوا: أي بلوها بدموعهم.

الله ﷺ وتفرقوا، ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذي القعدة؛ فأحرم بعُمرة، ودخل مكة فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجعرانة من ليلته.

ذكر استخلاف رسول الله ﷺ عُتَابَ بْنِ أُسَيْدٍ^(١) عَلَى مَكَّةَ وَرَجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

قال محمد بن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته استخلف عُتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ، وخلف معه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ.

قال ابن هشام: لما استعمل رسول الله ﷺ عُتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمًا، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاج الله كَيْدَ مَنْ جَاعَ عَلَى دِرْهَمٍ، قد رزقني رسول الله ﷺ دِرْهَمًا كُلَّ يَوْمٍ، فليست بي حاجةٌ إِلَى أَحَدٍ.

قال: وحجَّ عُتَابُ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَلَى مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحْجُّ عَلَيْهِ.

قال ابن سعد: ولما انصرف رسول الله ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ سَلَكَ فِي وَادِي الْجِعْرَانَةِ، حَتَّى خَرَجَ عَلَى سَرَفٍ^(٢)، ثُمَّ أَخَذَ الطَّرِيقَ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ^(٣)، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَهَا ﷺ فِي بَقِيَةِ ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ.

قال ابن هشام: لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ. وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

ذكر سرية عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ

بعثه رسول الله ﷺ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ مُهَاجِرِهِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ، لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ، وَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ - وَكَانُوا فِيمَا بَيْنَ السُّقْيَا وَأَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ، وَقَدْ حَلَّوْا وَسَرَّحُوا مَا شِئْتَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَّوْا - وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا؛ وَوَجَدُوا فِي الْمَحَلَّةِ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا، فَجَلَبَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَبَسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ: عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ،

(١) عُتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ: (١٣ ق هـ - ١٣ هـ = ٦١٠ - ٦٣٤ م) عُتَابُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ

شَمْسٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَالِ أُمَوِيٌّ، قُرَشِيٌّ مَكِّيٌّ، مِنَ الصَّحَابَةِ، كَانَ شَجَاعًا، عَاقِلًا مِنْ أَشْرَافِ

الْعَرَبِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ. أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ. مَاتَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ. (الأعلام: ٤: ١٩٩).

(٢) سَرَفٌ: مَوْضِعٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ (يَاقُوت).

(٣) مَرِّ الظُّهْرَانِ: مَوْضِعٌ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ.

والزُّبَيْرِ قَانِ بْنِ بَدْرٍ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وَرَبِيعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَجَاشِعٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ، وَنُعَيْمُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ زُفَيْعٍ، وَسَيْبَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَوَرْدَانُ بْنُ مُحَرِّزٍ، وَمَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، وَفِرَاسُ بْنُ حَابِسٍ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَكَلَامِ خُطْبَتِهِمْ وَشَاعِرِهِمْ مَا نَذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِهِمْ فِي وَفَادَاتِ الْعَرَبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَذَلِكَ فِي السَّفَرِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا مِنْ هَذِهِ النُّسخة^(١).

قال: وردَ عليهم رسولُ الله ﷺ الأسرى والسبي.

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يومئذٍ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له: بنو وهب، وشَدَادُ بْنُ فِرَاسٍ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ دَارِمٍ، وَكَانَ مَعَهُ سَبِي يَوْمئِذٍ أَسْمَاءُ بِنْتُ مَالِكٍ، وَكَأْسُ بِنْتُ أَرِيٍّ، وَنَجْوةُ بِنْتُ نَهْدٍ، وَجُمُيعَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، وَعُمَرةُ بِنْتُ مَطَرٍ.

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢) مع بني المصطلق

قال محمد بن سعد: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خُزاعة يُصدِّقُهُمْ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنُوا الْمَسَاجِدَ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِدَنُو الْوَلِيدِ خَرَجَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ رَجُلًا يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْجُزُورِ وَالْغَنَمِ فَرَحًا بِهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلَّى رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ لَقَوْهُ بِالسَّلَاحِ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَغْزُوهُمْ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَوْمَ، فَقَدِمَ الرُّكْبُ الَّذِينَ لَقُوا الْوَلِيدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَجْعَلُونَ فَنَصِيحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَتَذَكِّرُكُمْ﴾ [الحجرات: ٦]، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ عَبَادَ بْنَ بِشْرِ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَيَقْرَهُهُمْ الْقُرْآنَ، ففعل، وَأَقَامَ عَنْدهم عَشْرًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

بعثه رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع من هُجْرِهِ إِلَى حَيٍّ مِنْ خَثْعَمٍ بِنَاحِيَةِ تَبَالَةَ

(١) من تجزئة المؤلف، ويوافق ج ١٨: ٣٢ (طبع الدار).

(٢) الوليد بن عقبة: (... - ٦١ هـ = ... - ٦٨٠ م) الوليد بن عقبة بن أبي معيط. أبو وهب، الأموي، القرشي، وإل من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخ عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة. ولده عثمان الكوفة سنة ٢٥ هـ. فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فغزله، وحده وحبسه. ولما قتل عثمان، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية. مات بالرقعة. (الأعلام: ٨: ١٢٢).

في عشرين رجلاً، وأمره أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فأخذوا رجلاً، فسألوه فاستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم، فضربوا عنقه، ثم امهلوا حتى نام الحاضر، فشنوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة وجاء سيلٌ فحال بينهم وبين قطبة؛ فما يجدون إليه سبيلاً، وكانت سيهامهم بعد الخمس لكل رجل أربعة أبعرة يُعدل بعشرة من الغنم.

ذكر سرية الضحّاك بن سُفيان الكلابي^(١) إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرظاء^(٢) عليهم الضحّاك بن سُفيان بن عوف الكلابي، ومعه الأُصَيْدُ بن سلمة بن قُزط، فلقّوهم بالزُّج^(٣)، زُجٌ لاوّة، فدعّوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموا، فليق الأُصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير الزُّج، فدعا أباه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبّه وسبّ دينه، فضرب الأُصيد عُرقوبي فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عُرقوبيه ارتكز سلمة رمحه في الماء، ثم استمسك به، حتى جاءه أحدهم فقتله، ولم يقتله ابنه، وفي هذه السرية وفي الضحّاك بن سُفيان يقول عباس بن مُزداس: [من الكامل]

إن الذين وقوا بما عاهدتهم جيشٌ بعثت عليهم الضحّاكاً
أمرته ذرب اللسان كأنه لما تكئفه العدو يراكا^(٤)
طوراً يعانق باليدين وتارة يفري الجماجم صارماً بتاكاً^(٥)

ذكر سرية علقمة بن مُجَزّز المدلجي^(٦) إلى الحبشة

كانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وذلك أن رسول

(١) الضحّاك الكلابي: (.... - ١١ هـ = ٦٣٢ م) الضحّاك بن سُفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد، شجاع صحابي، اتخذ النبي ﷺ سيفاً فكان يقوم على رأسه متوشحاً بسيفه. قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم راجع (الأعلام: ٣: ٢١٤).

(٢) القرظاء: بطن من بني بكر، واسمه عبيد بن كلاب.

(٣) زج ولادة: موضع بنجد.

(٤) في ابن هشام: ٤: ١٠٣: «رجل به ذرب السلاح».

(٥) البتاك: البتاك والفتاك بمعنى واحد.

(٦) علقمة بن مُجَزّز: (.... - ٢٠ هـ = ٦٤١ م) علقمة بن مجزّز بن الأعور الكناني المدلجي: =

الله ﷺ بلغه أَنَّ ناساً من الحبشة تراآهم أهلُ جُدّة، فبعث إليهم علقمة بن مجز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم، فهربوا منه، فلما رجع تعجل^(١) بعض القوم إلى أهلهم، فأذن لهم، وفيهم عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره علقمة على من تعجل، وكانت فيه دُعاة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يضطلون عليها، فقال لهم: عزمْتُ عليكم إلا تَواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم حتى طُنَّ أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا، إنما كنتُ أضحك معكم؛ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ أَمَرَكَم بمَعْصية فلا تطيعوه».

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طيء

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلس (صنم طيء) ليهدمه - (والفُلس بضم الفاء وسكون اللام) - بعثهم على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشئتوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلس وخربوه وملأوا أيديهم من السبي والتَّعَم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال: ووجدوا في خِزانة الفُلس ثلاثة أسياف: رَسُول، والمُخَذَّم، واليَمان؛ وثلاثة أدرُع، فلما نزلوا رَكَك^(٢) اقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله ﷺ صَفِيَّه^(٣): رَسُوب، والمُخَذَّم، ثم صار له بعدُ السيف الآخر، وعزل الخُمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قَدِم بهم المدينة على رسول الله ﷺ.

ذكر سرية عكاشة بن مِخْصَن الأسدي إلى الجَناب

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مُهاجرِه إلى الجَناب، أرضِ عُدْرة وِليي، ولم يذكر ابنُ سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غَزوة تَبُوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب ستة تسع من مُهاجرِ رسول الله ﷺ، وكان سببها

= قائد من الصحابة، شهد اليرموك، وحضر الجابية. مات غريقاً في طريقه إلى الحبشة غازياً على رأس جيش بعثه به عمر. (الأعلام: ٤: ٢٤٨).

(١) أرادوا الرجوع قبل بقية الجيش.

(٢) ركك: (بالتحريك): محلة من محال سلمى أحد جبلي طيء.

(٣) صفيه: الصفي: ما يأخذه الرئيس لنفسه من القِيء قبل القسمة.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جَمُوعاً كَثِيراً بِالشَّامِ، وَأَنَّ هِرَقْلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسِنَةً، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لُحُومٌ، وَجُذَامٌ، وَعَامِلَةٌ، وَغَسَّانٌ، وَقَدَّمُوا مَقْدَمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ، فَغَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ، وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ لِيَتَأَقَّبُوا لَذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، وَذَلِكَ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَأَمْرِهِمْ بِالصَّدَقَةِ، فَحَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً، وَقَوُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض».

وجاء البكاءون وهم سبعة: سالم بن عمير، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف، وعُلبه بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني، وعمرو بن عنمة، وسلمة بن صخر، والعرباض بن سارية الفزاري.

قال: وفي بعض الرواة من يقول: إن فيهم عبد الله بن مغفل المزي، ومعل ابن يسار، وبعضهم يقول: البكاءون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة، فأتوا رسول الله ﷺ يستحملونه، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»؛ فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا ما ينفقون، فعذرهم الله تعالى.

قال: وبلغ رسول الله ﷺ أَنَّ نَاساً مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُؤْلِمَ الْيَهُودِيِّ، يَشْطُطُونَ النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْرِقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُؤْلِمَ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ، فَاقْتَحَمَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ فَأُفْلِتُوا، فَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي ذَلِكَ: [من الكامل]

كَادَتْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أَبِي رِقٍ

فَظَلْتُ وَقَدْ طَبَقْتُ كَيْسَ سُؤْلِمَ أَنْوَأُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِزْقِي^(١)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ، وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرِقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلف من غير علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلاً.

وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعْذِرْهُمْ، وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سُلُوقٍ قَدْ عَسَكَرَ عَلَى ثِيَّةِ الْوَدَاعِ فِي حَلْفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَكَانَ يَقَالُ: لَيْسَ عَسْكَرُهُ بِأَقْلَ

العسكريين، وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فصلّى بالناس، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عبد الله بن أبي، ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرة بن الربيع، وأبو خيثمة مالك بن قيس السلمي، وأبو ذر الغفاري؛ وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية، ومضى ﷺ لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيول عشرة آلاف فرس، فأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذر.

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيثمة إلى رسول الله ﷺ: إنه جاء يوماً إلى أهله بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين^(١) لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيات طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله في الضح^(٢) والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهين، وامرأة حسنة، في ماله مقيم، ما هذا بالنصف!، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيناً لي زاداً، ففعلتا، ثم قدم ناصحه^(٣) فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

قال: ولما دنا من رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة؛ فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له: «أولى لك يا أبا خيثمة!»، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال: خيراً ودعا له.

وأما أبو ذر الغفاري، فإنه أدرك رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، وكان بعيره قد أبطأ عليه، فحمل متاعه على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ حتى أدركه، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده» فكان كذلك.

قال: وقدم رسول الله ﷺ تبوك وهرقل يومئذ بحمص، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر.

(١) العريش: شبيه بالخيمة. الحائط: بمعنى البستان.

(٢) الضح: الشمس.

(٣) الناصح: البعير يستقى عليه. ارتحله: شد عليه الرحل.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك^(١)

قالوا: بعث رسول الله ﷺ بتبوك خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد: «إنك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من الهجرة حتى كان من حصن أكيدر بمنظر العين في ليلة مقمرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: ما رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفزسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ، فشدت عليه، فاستأسر أكيدر، وامتنع أخوه حسان، وقاتل حتى قتل، وكان عليه قباء^(٢) من ديباج مخوص^(٣) بالذهب، فاستلبه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فالذي نفسي بيده لمتأذيل سعد بن مُعاذ في الجنة أحسن من هذا». قال: ولما أسير أكيدر وقُتل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجاز خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمئة فرس، وأربعمئة درع وأربعمئة رمح، فعزل للنبي ﷺ صفيّاً خالصاً، ثم أخرج الخمس، وقسم ما بقي بين أصحابه، ثم خرج خالد بأكيدر وبأخيه مُصَاد - وكان في الحصن - وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة، فقدم على رسول الله ﷺ بأكيدر، فأهدى له هدية، وصالحه على الجزية، وحَقَنَ دمه، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال بُجير بن بَجْرة^(٤): [من الوافر]

تبارك سائق البَقَرَات إنّي رأيتُ الله يَهْدِي كلَّ هَادٍ

(١) أكيدر بن عبد الملك: (... - ١٢ هـ = ... - ٦٣٣ م) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة

الجندل (الجوف) في الجاهلية. له حصن وثيق. قيل أسلم. ولما قبض رسول الله ﷺ نقض أكيدر العهد. فأمر أبو بكر خالد أن يسير إليه، فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل. (الأعلام: ٢: ٦).

(٢) القباء: نوع من الثياب.

(٣) التخويص: التخويص بالذهب: أن يجعل للشئ صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل وفي صورته.

(٤) بجير بن بَجْرة: بجير بن بَجْرة (يفتح أوله وسكون الجيم) الطائي. له في قتال أهل الردة آثار وأشعار ذكرها ابن سحاق. وذكر أنه استشهد بالقادسية انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١ - ١٣٨، رقم الترجمة ٥٨٩).

فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

قال محمد بن إسحاق: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن ربيعة صاحب أيلة^(١)، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جزياء^(٢)، وأذرح^(٣)، فأعطوه الجزية، وكتب رسول الله ﷺ ليُحَنَّة كتاباً، وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة^(٤) من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّة بن ربيعة وأهل أيلة؛ سُفْنهم وسياراتهم في البر والبحر، ولهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونه من برٍّ أو بحر».

قال: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على حرسه بتبوك عبّاد بن بشر، ثم انصرف رسول الله ﷺ ولم يَلَقْ كيداً.

وقدِم المدينة في شهر رمضان من السنة وجاءه من كان قد تخلف عنه، فحلفوا له، فعذرهم، واستغفَر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه، حتى نزلت توبتهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة.

قال: وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم، وقال: «لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال».

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدّمناه، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع. منها خبر مرور رسول الله ﷺ بالحجر.

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين.

ومنها خبر الثلاثة الذين خُلّفوا، وما أنزل من توبتهم.

ذكر خبر مرور رسول الله ﷺ بالحجر وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق: لما مرّ رسول الله ﷺ في سفره إلى تبوك بالحجر من مَدِين، نزلها واستقى الناس من بثرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام.

(٢) جزياء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام (ياقوت).

(٣) أذرح: بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء (ياقوت).

(٤) أمانة: عهد.

مائها شيئاً، ولا يُتوضأ منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه للأبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه^(١)؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الرّيح حتى طرحته بجبل طيء، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «ألم أنهكم ألا يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه»! ثم دعا للذي أصيب^(٢) فشفي، وأما الآخر فإن طيئاً أهده لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالججر سَجَى^(٣) ثوبه على وجهه، واستحث راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

قال ابن إسحاق: لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

وفي هذه الغزوة ضلّت ناقة رسول الله ﷺ، وقال زيد بن لُصَيْب^(٤) ما قال، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال: فأخبر بشأنها ووُجِدَت كما وَصَفَ ﷺ على ما قدّمنا ذلك في أخبار المنافقين.

ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تبوك وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الجذّ بن قيس، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي ولا تفتني؛ وقد تقدّم خبره مع أخبار المنافقين.

وقال قوم منهم: لا تنفروا في الحرّ زهادة في الجهاد، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٢]، وقال رهط من المنافقين: منهم

(١) خنق: صرح. المذهب: هنا، الموضع الذي يقضي فيه المرء حاجته.

(٢) عبارة الزرقاني: ٣: ٨٧: «ثم دعا للذي خنق على مذهبه».

(٣) سَجَى: غطى ثوبه، وضمنه معنى وضع فقال: على وجهه.

(٤) ويقال فيه: «اللصيت» بالتاء. والخبر في ابن هشام: ٤: ١٦٦.

ودبعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له: مُحْشُ بْنُ حُمَيْرٍ - وقيل: مَحْشِيٌّ - وغيرهما بعضهم لبعض: أتَحْسِبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُمْ غَدًا بِهِمْ مَقْرَنِينَ فِي الْجِبَالِ، يَقُولُونَ ذَلِكَ إِرْجَافًا^(١) وترهيباً للمؤمنين.

فقال مَحْشِي: وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنْ أَقَاضِيَ عَلَى أَنْ يَضْرِبَ كُلَّ رَجُلٍ مِثْلَ مِائَةِ جِلْدَةٍ، وَأَنَا نَفْلِتُ أَوْ يَنْزِلَ فِينَا قِرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ^(٢): «أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ لَهُمْ: بَلَى قَدْ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عِمَارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ودبعة بن ثابت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَقَالَ مَحْشِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعْدَ بِي اسْمِي وَاسْمَ أَبِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآلِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَقَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. فَكَانَ مَحْشِيٌّ بْنُ حُمَيْرٍ مِمَّنْ عَفِيَ عَنْهُ، فَتَسَمَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَقْتُلَ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ مَكَانَهُ، فَقَتَلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ. وَاللَّهُ الْمُوفِقُ لِلصَّوَابِ.

ذكر خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا، وما أُنْزِلَ فِيهِمْ وَفِي الْمَعْذِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا لَمْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ شَيْءٍ وَلَا نِفَاقٍ، وَهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةٍ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الشَّيْخَانِ الْمَعْمُرَانِ الْمُسْنَدَانِ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نِعْمَةُ الصَّالِحِيِّ الْحَجَّارِ، وَسِتُ الْوُزَرَاءِ أُمُّ مُحَمَّدٍ وَزِيرَةُ بِنْتُ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنْجِيِّ التَّنُوحِيَّةِ الدُّمَشْقِيَّانِ قِرَاءَةً عَلَيْهِمَا، وَأَنَا أَسْمَعُ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ بِالمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ الْمَعْرِزِيَّةِ، قَالَا: حَدَّثَنَا الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى الزُّبَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَقْتِ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنُ عَيْسَى بْنُ شَعِيبٍ السَّجْزِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ

(١) إِرْجَافًا: تَهْوِيلًا.

(٢) عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ: (٥٧ ق هـ - ٣٧ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٧ م) عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ بْنِ عَامِرِ الْكِنَانِيِّ. أَبُو الْيَقْظَانِ: صَحَابِيٌّ مِنَ الْوَلَاةِ الشَّجْعَانِ ذَوِي الرَّأْيِ. وَهُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْجَهْرُ بِهِ: هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْخَنْدَقَ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا فِي الْإِسْلَامِ. شَهِدَ الْجَمْلَ وَصَفِينَ مَعَ عَلِيٍّ وَقَتَلَ فِي الثَّانِيَةِ وَعَمَرَهُ ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ سَنَةً. (الأعلام: ٥: ٣٦).

الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حنويه السرخسي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر القرطبي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك، - وكان قائد كعب من بني حنينا - قال: سمعت كعب بن مالك^(١) يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد؛ ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى^(٢) بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(٣) وعدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت شمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أجدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى شمر بالناس بالجد. فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، ورجعت

(١) كعب بن مالك: (.... ٥٠ هـ = ٦٧٠ م) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري، السلمي الخزرجي: صحابي من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي، وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه. وعفي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة راجع. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٢) ورى: أوهى.

(٣) المفازة: الأرض التي لا يسكنها إنسان.

فلم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت، ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفرط^(١) الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم أحزنني آتي لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٢) عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُزْداه ونظره في عطفه^(٣). فقال معاذ بن جبل: بش ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم^(٤) قادمًا راح عني الباطل، وعرفت أنني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قديم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم يجلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجثته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجثت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلقت ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى والله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً^(٥)، ولكنتي والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسطحك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد^(٦) عليّ فيه إني لأرجو فيه عفي الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه

(١) تفرط: فات وسبق.

(٢) مغموصاً: مطعوناً عليه في دينه، متهماً بالنفاق. وفي ابن هشام: ٤ : ١٧٦ : «في النفاق».

(٣) عطفه: كنى هنا عن إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره.

(٤) أظلم: قرب وأشرف.

(٥) أعطيت جدلاً: أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلي ولا يرد.

(٦) تجد: تغضب.

المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله ﷺ، فوالله ما زالوا يؤثّبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقبل لهما مثل ما قيل لك؛ فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة ابن الربيع العُمري^(١)، وهلال بن أمية الواقفي^(٢)، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ فيهما أسوة؛ فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالتي أعرف، فلبينا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفّتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت^(٣) جدّار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمّي، وأحبّ الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار.

قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيّ من أنباط أهل الشام ممن قدّم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضّيعة، فالحق بنا نؤاسيك». فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت^(٤) بها التنور، فسجّرت^(٥) بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن

(١) مرارة بن الربيع: مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. صحابي مشهور، شهد بدرأ، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٧٨٦٥).

(٢) هلال بن أمية: هلال بن أمية بن عامر بن قيس. الواقفي. شهد بدرأ وما بعدها. وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٨٩٧٨).

(٣) تسوّرت: تسلقت.

(٤) تيممت: توخيت، قصدت.

(٥) سجّرت بها: أوقدته بالصحيفة.

تعتزل امرأتك. فقلت: أطلّقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربنها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: ألحقني بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدّمه؟ فقال: «لا، ولكن لا يقربنك» قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب! فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبحَ خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى^(١) على جبل سلع^(٢) بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبيل^(٣) صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى، نزع ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، واللّه ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»؛ قال: قلت: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت:

(١) أوفى: أشرف.

(٢) سلع: جبل بالمدينة.

(٣) قبيل صاحبي: نحو صاحبي.

يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله؛ قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، قلت: فإني أملك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، والله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١)، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَهْمٌ رَحِيمٌ ٧٧ وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ ٧٨ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ٧٩﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ ألا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَعْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٥﴾ ﴿يَعْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٩٦﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قال كعب: وكنا نخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا^(٢) فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيَتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾.

وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . انتهت غزوة تبوك، فلنذكر ما سواها من السرايا .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدان بنجران

بعثه رسول الله ﷺ إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من هجرته، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره .

(١) في كلا الأصلين: «بقيت» وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) عبارة ابن هشام ٤ : ١٨١ : «حين حلفوا له فعذرهم» .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن

يقال: بعثه رسول الله ﷺ مرتين: إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجره ﷺ، وعقد له لواء، وعممه بيده، وقال: «إمض لا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم، فلا تقايلهم حتى يقايلوك»، فخرج في ثلثمائة فارس، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، وهي بلاد مذحج، ففرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل على الغنائم بريدة بن الحُصيب^(١) الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم علي رضي الله عنه بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وباعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله، وجمع علي الغنائم فخمسها، وقسم على أصحابه بقية المغنم، ثم قفل، فوافي رسول الله ﷺ بمكة حين قدمها للحج سنة عشر. حكاه ابن سعد^(٢).

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فوجدتها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله ﷺ؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمره فحللنا، ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك» قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت^(٣)؛ قال: «فارجع فاحلل كما حل أصحابك» قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرم: اللهم إني إهل بما أهل به نبيك، وعبدك ورسولك محمد، قال: «فهل معك من هذي»؟ قال: لا؛ فأشركه رسول الله ﷺ في هذيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهذي.

قال: ولما أقبل علي من اليمن تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من

(١) بريدة بن الحُصيب: (.... - ٦٣ هـ = ٦٨٣ م) بريدة بن الحُصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدا. وشهد خيبر وفتح مكة. انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. (الأعلام: ٢: ٥).

(٢) ٢: ١٢٢ (قسم أول).

(٣) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

(٤) أهلت: الهل: التلبية.

الْبَزْ^(١) الذي كان مع عليّ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا إذا قَدِمُوا في الناس؛ قال: انزعها ويلك! قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البَزْ، فاشتكى الناس عليّاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «أيها الناس، لا تشتكوا عليّاً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله» أو «في سبيل الله^(٢)».

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشّراء^(٣) ناحية البلقاء

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله ﷺ، ومات قبل إنفاذها، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله ﷺ، وكان فيها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقَتادة بن النعمان، وسَلَم بن أسلم بن حَرِيش، فتكلم قوم وقالوا: نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة^(٤)، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغثني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وإيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لِمَن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم»، ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وخرج الناس إلى الجُزف، فتوفي رسول الله ﷺ قبل خروج هذه السرية، فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه. كان أول ما بدأ به بعث أسامة. هذا ما أمكن إيراده من غزوات رسول الله ﷺ وسراياه. فلنذكر حجّه وعمره ﷺ.

ذكر حج رسول الله ﷺ وعمره

قالوا: حج رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة حجتين، ولم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع، وهي في السنة العاشرة، وكانت فريضة الحجّ نزلت في السنة السادسة من الهجرة، وفتحت مكة في سنة ثمان، فاستخلف رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، فحج بالناس تلك السنة، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر الصديق رضوان الله عليه

(١) حلة من البز: نوع من الثياب.

(٢) في ابن هشام: ٤: ٢٥٠: «في سبيل الله من أن يشتكي».

(٣) الشّراء: شرة الشام، وهي أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم. (معجم البلدان).

(٤) قطيفة: دثار.

بالناس، كما قدّمنا ذكر ذلك في مواضعه، فلما كان في السنة العاشرة أذن في الناس أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشرّ كثير كلّهم يلتمس أن يأتّم برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة مغتسلاً مذهباً مترجلاً متجرداً في ثوبين صحرّيين^(١): إزار^(٢) ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة سنة عشر من مهاجرة، واستعمل على المدينة أبا دُجّانة الساعدي - ويقال: سباع بن عُرفطة الغفاري - قالوا: وصلى الظهر بذِي الحليفة ركعتين، وأخرج معه نساء كلّهن في الهوداج، وأشعر^(٣) هديه وقلّده، ثم ركب ناقته، فلما استوى عليها بالبيداء أحرم من يومه، وكان على هديه ناجية بن جُنْدَب، وقيل: إنه أهلّ بالحج مفرداً، وقيل: قرّنه بعُمرة، ومضى ﷺ يسير المنازل ويؤم أصحابه في الصلاة في مساجد له قد بناها الناس، فكان يوم الاثنين بمرّ الظّهْران، فغربت له الشمس بسرف، ثم أصبح فاغتسل ودخل مكة نهائراً وهو على راحلته القُصواء، وكان تحته ﷺ رخل رث عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال: «اللهم اجعله حجّاً لا رياء»^(٤) فيه ولا سُمعة، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شَيْبة، فلما رأى البيت رفع يديه فقال: «اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وعظمه متن حجّه واعتمره تشريقاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبرّاً»؛ ثم بدأ فطاف بالبيت، ورَمَلَ^(٥) ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر، وهو مضطجع^(٦) برِداءه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من قُورِه ذلك، وكان قد اضطرب بالأبطح، فرجع إلى منزله، فلما كان قبل يوم التروية^(٧) بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية إلى مِنى، فبات بها، ثم غدا إلى عرفات، فوقف بالهضاب منها وقال: «كلّ عرفة [موقفٌ إلّا بطن عُرّة]»^(٨)، فوقف على راحلته يدعو، فلما غربت الشمس دفع فجعل يسير العنق^(٩) حتى جاء المزدلفة، فنزل قريباً من الغار، فصلى المغرب

(١) ثوب صحاري: نسبة إلى قرية في اليمن اسمها: «صحار».

(٢) إزار: ملحفة.

(٣) أشعر هديه: الهدى: الأضحيان، وأشعرها: جعل لها علامة مميزة.

(٤) رياء: خداع.

(٥) رمل: هرول.

(٦) اضطجع بالرداء: أدخله تحت إبطه الأيمن، ورد طرفه على يساره وأبدي منكبه الأيمن وغطى الأيسر.

(٧) التروية: يوم قبل يوم عرفة. الثامن من ذي الحجة راجع (اللسان: روي).

(٨) الزيادة عن ابن سعد: ٢: ١٢٥.

(٩) العنق: ضرب من السير.

والعشاء، بأذان وإقامتين، ثم بات بها، فلما برق الفجر صلى الصبح، ثم ركب راحلته، فوقف على قُزَح^(١) وقال: «كَلَّ المزدلفة موقِفٌ إِلَّا بطن محسّر^(٢)»، ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ إلى محسّر أوضع^(٣)، ولم يزل يلتي حتى رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، ثم نحر الهذلي وحلّق رأسه، وأخذ من شاربيه وعارِضيه، وقلم أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن تُدفن، ثم أصاب الطيب، ولبس القميص، ونادى مناديه بمئى؛ إنها أيام أكل وشرب وباءة^(٤)، وجعل يرمي الجِمار في كل يوم عند زوال الشمس، ثم خطب الغد من يوم التَّخَرُّع بعد الظهر على ناقته القُضواء، ثم صَدَرَ يَوْمَ الصَّدَرِ الآخر، وقال: «إنما هن ثلاث يقيّمهن المهاجر بعد الصَّدَر»، يعني بمكة، ثم ودّع البيت، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر الخطبة التي خطبها رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: خطب رسول الله ﷺ خطبته التي بين فيها ما بين فحميد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قلبي، فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، وإن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية».

«أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يقطع فيما سوى ذلك فقد رضي به، مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم».

«أيها الناس، إن النسيء^(٥) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يُحِلُّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلّوا ما حرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا

(١) قزح: جبل بالمزدلفة.

(٢) بطن محسّر: واد بالمزدلفة.

(٣) أوضع: من الوضع (محرقة) وهو أهون سير الدواب.

(٤) الباءة: الاعتراف (اللسان - يوا).

(٥) النسيء: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية (اللسان: نسا).

عَشْرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبُ مُضَرِّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

«أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً، عليهنّ أن لا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنّهنّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قلوي، فإنّي قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيناً: كتاب الله وستة نبيّه».

«أيها الناس، اسمعوا قلوي، واعقلوه، تعلّمن أن كلّ مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرءٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمنّ أنفسكم، اللهم هل بلغت؟»، فقال الناس: اللهم نعم، فقال: «اللهم اشهد».

وقال ابن إسحاق أيضاً: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أميّة بن خلف. قال: يقول له رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ شهر هذا؟ فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة شهركم هذا». ثم يقول: «قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ بلد هذا؟ قال: فيصرخ به، قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا»، ثم يقول: «قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول هل تدرون أيّ يوم هذا؟ فيقولون: يوم الحجّ الأكبر؛ قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا».

وعن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله ﷺ، وإنّ لغامها^(١) ليقع على رأسي، فسمعتة وهو يقول: «أيها الناس؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حقّ حقّه، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

(١) لغم الجمل: رمى بلغامه، أي بزبده.

وَأَمَّا عُمَرُ ﷺ

فقد رَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ: عُمَرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَهِيَ عُمَرَةُ الْحَصْرِ، وَعُمَرَةُ الْقَضَاءِ مِنْ قَابِلٍ، وَعُمَرَةُ الْجِعْرَانَةِ، وَالرَّابِعَةُ الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعًا عَدَّ مِنْهَا عُمَرَتَهُ مَعَ حَجَّتِهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ذَكَرَ عُمَرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ مَعَ الْغَزَوَاتِ، وَذَكَرْنَا عُمَرَةَ الْجِعْرَانَةِ عِنْدَ ذِكْرِنَا لِقَسَمِ مَغَانِمِ حُنَيْنٍ وَعُمَرَتَهُ مَعَ حَجَّتِهِ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا.

وَأَمَّا عُمَرَةُ الْقَضَاءِ

فَقَدْ أَوْرَدَهَا بَعْضُ أَهْلِ السِّيَرِ فِي الْغَزَوَاتِ وَتَرْجَمَ عَلَيْهَا: «عُمَرَةُ الْقَضِيَّةُ» وَحُجَّةٌ مِنْ أَوْرَدَهَا فِي الْغَزَوَاتِ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ مَعَهُ السِّلَاحَ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ ﷺ لِقَصْدِ الْغَزَاةِ، وَإِنَّمَا خَرَجَ بِهِ احتياطاً. وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْعُمَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا اسْتَهْلَ هَلَالُ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ مِنْ مُهَاجِرِهِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ لِعَمَرَتِهِمُ الَّتِي صَدَّاهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِنْ شُهَدِ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفَ مِنْهَا إِلَّا مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ بِخَيْبَرٍ، وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عُمَاراً مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدِ الْحُدَيْبِيَّةَ، فَكَانُوا فِي عُمَرَةِ الْقَضِيَّةِ أَلْفَيْنِ، وَاسْتَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ذَرَّ الْغِفَارِيِّ، حَكَاهُ ابْنُ سَعْدٍ - وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عُوَيْفُ بْنُ الْأَضْبَطِ الدِّيلِيُّ - وَسَاقَ ﷺ سَتَيْنِ بَدَنَةً، وَجَعَلَ عَلَى هَذِيهِ نَاجِيَةً بَنَ جُنْدَبُ الْأَسْلَمِيُّ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: وَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّلَاحَ وَالْبِيضَ وَالْدُرُوعَ وَالرِّمَاحَ، وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ، عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، وَقَدَّمَ السِّلَاحَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْرَمَ ﷺ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ يَلْبُونُ. وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ فَوَجَدَ بِهَا نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْبِحُ هَذَا الْمَنْزَلَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَتَوْا قُرَيْشًا بِالْخَبَرِ، فَفَزَعُوا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ، وَقَدَّمَ السِّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَأْجُجٍ حَيْثُ [يَنْظُرُ] ^(١) إِلَى أَنْصَابِ ^(٢) الْحَرَمِ، وَخَلَّفَ عَلَيْهِ أَوْسُ بْنُ حَوَلِي الْأَنْصَارِيُّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْهَذْيَ أَمَامَهُ، فَخُسِبَ بِذِي طُوًى، وَخَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءَ وَالْمُسْلِمُونَ مَتَوَشِّحُونَ السِّيُوفَ، مُحَدِّقُونَ بِهِ ﷺ يَلْبُونُ، فَدَخَلَ عَلَى الثَّنِيَّةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْحَجُّونِ، وَعَبَدَ

(١) التكملة عن الزرقاني: ٢: ٣٠٥ وابن كثير: ٤: ٢٣١.

(٢) الأنصاب: الأصنام.

الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول: [من الرجز]

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله^(١)
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل على خليله^(٢)

قال ابن هشام: قوله: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم.

قال ابن سعد: ولما ارتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب: إيهأ^(٣) يا بن رواحة! فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، إني أسمع»؛ فأسكت عمر، وقال رسول الله ﷺ: إيهأ يا بن رواحة!، قل لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده»، فقالها ابن رواحة. ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمخجنه مضطرباً بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بشياهم، ثم طاف بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال: «هذا المنحر^(٤)»، وكل فجأج مكة منحر، فنحر عند المروة، وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون، وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم؛ ففعلوا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وخويطب بن عبد العزى فقالا: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين، وأخرج عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل سرف وتنام الناس إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى أمسى، فحمل إليه ميمونة فبتى^(٥) عليها ﷺ بسرف، ثم أدلج^(٦) فسار حتى قدم المدينة صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كمل الجزء السابع عشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري رحمه الله. ويليه الجزء الثامن عشر وأوله: (وفادات العرب على رسول الله ﷺ).

(١) قبله: دعواه.

(٢) الخليل: الحبيب.

(٣) إيهأ: كلمة استزادة واستنطاق.

(٤) المنحر: المكان الذي تنحر عنده الأضحيات.

(٥) بنى عليها: تزوجها.

(٦) أدلج: سار ليلاً.

فهرس المحتويات

٣	ذكرُ غزوات رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تُذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات
٤	ذكر أول لواء عقده ﷺ
٤	ذكر سرية عُبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رايغ
٥	ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار
٦	ذكر غزوة الأنباء وهي غزوة وَدَّان وبينهما ستة أميال
٦	ذكر غزوة بُواط
٧	ذكر غزوة بدر الأولى
٧	ذكر غزوة ذي العُشيرة
٨	ذكر سرية عبد الله بن جَحْش الأسدي إلى نَخْلة
١٠	ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها
١١	ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر
١٤	ذكر خروج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين إلى بدر
	ذكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش وهلاك
٢٦	أبي لهب بن عبد المطلب
٢٧	ذكرُ تسمية من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله ﷺ
٣٣	ذكرُ تسمية من استشهد من المسلمين في غزاة بدر
٣٤	ذكرُ تسمية من قُتل من المشركين في غزوة بدر

- ٣٨ ذكر تسمية من أُسِر من المشركين في غزوة بدر
- ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن منّ عليه رسول الله ﷺ (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك ٤١
- ٤٣ ذكر خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه
- ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه وإرساله زينب بنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك، وردّ زينب عليه بغير نكاح جديد ٤٣
- ٤٦ ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة
- ذكر من منّ عليه رسول الله ﷺ من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء ٤٦
- ٤٧ ذكر خبر عُمير بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير
- ذكر سرية عُمير بن عديّ بن خَرْشَة الحَظْمِيّ إلى عَصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ٤٩
- ٥٠ ذكر سرية سالم بن عُمير العُمريّ إلى أبي عَفْكَ اليهوديّ
- ذكر غزوة بني قَيْنُقَاع (وهي بضم النون وقيل بكسرهما) ٥٠
- ٥٢ ذكر غزوة السَّوَيْق
- ذكر غزوة قَرْقَرَة الكُذْر ويقال قَرَارَة الكُذْر وهي غزوة بني سُلَيْم ٥٣
- ٥٣ ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ وخبر سرّيته
- ذكر غزوة غَطَفَان إلى نجد (وهي غزوة ذي أَمَر؛ ناحية النُّخَيْل، وقصة دُعْثُور بن الحارث) ٥٧
- ٥٨ ذكر غزوة بني سُلَيْم بِبُحْرَان
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة (بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة) ٥٩
- ٥٩ ذكر غزوة أحد

- ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وما فعلته هند بنت
عتبة، وما قالته من الشعر، وما أجيب به ٧٣
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد ٧٦
- ذكر تسمية من قُتل من المشركين يوم أحد ٧٩
- ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة أحد، وما ورد في
تفسير ذلك ٨٠
- ذكر غزوة حمراء الأسد ٩١
- ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ٩٢
- ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سُفْيَان بن خالد الهذلي ٩٢
- ذكر سرية المُنذر بن عمرو السَّاعِدِيّ إلى بئر مَعُونَة ٩٤
- ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد العَنَوِيّ إلى الرّجيع ٩٦
- ذكر غزوة بني النضير ٩٩
- ذكر قصة بَرْصِيصَا ١٠٦
- ذكر غزوة بدر الموعِد ١١٠
- ذكر غزوة ذات الرِّقَاع، وخبر صلاة الخوف وقصة غورث بن الحارث
المحاربي، وخبر جابر بن عبد الله ١١٣
- ذكر خبر غَوْرَث بن الحارث المحاربي لما أراد أن يفتك برسول الله ﷺ
فحمّاه الله منه وأمكن نبيه ﷺ من عدوّه وعفوه عنه ١١٤
- ذكر خبر جابر بن عبد الله في جَمَلِه، واستغفار النبي ﷺ لأبيه ١١٥
- ذكر غزوة دُومة الجَنْدَل ١١٧
- ذكر غزوة بني المُضَطْلِق، وهي غزوة المُرَيْسِع ١١٧
- ذكر غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب ١١٩
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين ١٢٨

- ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك ١٢٨
- ذكر غزوة بني قُرَيْظَةَ ١٣٤
- ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ وسؤال الأوس فيهم؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم ١٣٦
- ذكر سرية عبد الملك بن عَتِيكَ إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحُقَيْق النضريّ بخيبر ١٤٠
- ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القُرطاء، وهم بنو قُرط وقُرَيْط من بني كلاب ١٤٢
- ذكر غزوة بني لُخَيان بناحية عُسفان ١٤٣
- ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد وهي على بريد من المدينة في طريق الشام ١٤٣
- ذكر سرية عُكاشة بن مِحْصَن الأسديّ إلى العَمْر غمر مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فَيْد ١٤٥
- ذكر سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى بني ثعلبة بذي القَصَّة ١٤٥
- ذكر سرية أبي عُبَيْدة بن الجراح إلى ذي القَصَّة ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بني سُلَيْم بالجَمُوم ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لِعَيْر قريش ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف إلى بني ثعلبة ١٤٧
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى جِسْمَى، وهي وراء وادي القُرَى ١٤٧
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القُرَى ١٤٨
- ذكر سَرِيَّة عبد الرحمن بن عَوْف إلى دُومة الجندل ١٤٨
- ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بَقْدَك ١٤٩

- ١٤٩..... ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى وقتل أم قرفة
- ١٥٠..... ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير ابن رزام اليهودي بخير
- ١٥١..... ذكر سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العُرنين
- ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة
- ١٥٢.....
- ذكر غزوة الحُدَيْيَّة وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك
- ١٥٤.....
- ذكر بيعة الرضوان
- ١٦١.....
- ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط
- ١٦٢.....
- ذكر رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح
- ١٦٥.....
- ذكر خبر أبي بصير ومن لحق به وانضم إليه
- ١٧٣.....
- ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك
- ١٧٥.....
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر
- ١٨٣.....
- ذكر قسم غنائم خيبر
- ١٨٤.....
- ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها
- ١٨٥.....
- ذكر خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله ﷺ حتى استوفى أمواله
- ١٨٧.....
- ذكر انصراف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح
- ١٨٩.....
- ذكر سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ثُرَّة
- ١٩٠.....
- ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد
- ١٩١.....
- ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فَذَك
- ١٩١.....

- ١٩٢..... ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميمنة
- ١٩٣..... ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار
- ١٩٣..... ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم
- ١٩٣..... ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوحة بالكديد
- ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مصاب أصحاب بشير بن
سعد بذلك ١٩٤.....
- ١٩٥..... ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبي
- ١٩٥..... ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق
- ١٩٥..... ذكر سرية مؤتة
- ١٩٩..... ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة
- ١٩٩..... ذكر سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل
- ٢٠٠..... ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح، وهي سرية الخط
- ٢٠١..... ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة وهي أرض محارب بنجد
- ٢٠١..... ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم
- ذكر غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح والسبب الذي أوجب نقض العهد
وفسخ الهدنة ٢٠١.....
- ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى
نبيه ﷺ بذلك، وأخذه الكتاب، وما أنزل الله عز وجل في ذلك من
القرآن ٢٠٤.....
- ذكر خروج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، ومن جاءه في طريقه قبل
دخول مكة ٢٠٨.....
- ذكر مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ، وإسلام أبي
سفيان، وخبر الفتح ٢١٠.....

- ذكر دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكة شرفها الله تعالى صلحاً، ودخول
 خالد بن الوليد ومن معه من القبائل غنوة ٢١٢
- ذكر من أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل
 منهم، ومن نجا بإسلامه ٢١٦
- ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
 تيم بن مرة بن كعب ٢١٧
- ذكر دخول رسول الله ﷺ المسجد، وطوافه بالبيت ودخوله الكعبة، وما
 فعل بالأصنام ٢١٩
- ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها ٢٢١
- ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكسره ٢٢١
- ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة ٢٢٢
- ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة،
 وهو يوم الغميضاء ٢٢٢
- ذكر غزوة حنين، وهي إلى هوازن ونقيف ٢٢٨
- ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفئين ٢٣٦
- ذكر غزوة الطائف ٢٣٦
- ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم مغانم حنين، وما أعطاه
 المؤلف ٢٣٩
- ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وإسلامهم ورد السبايا إليهم ٢٤٠
- ذكر تسمية من بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغانم حنين ٢٤٤
- ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفيء، وما أجابهم به رسول الله ﷺ،
 ورصاهم به ٢٤٥
- ذكر استخلاف رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة ورجوعه إلى المدينة ٢٤٦

- ذكر سرية عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ الفَزَارِيِّ إلى بني تميم ٢٤٦
 ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط مع بني المُصْطَلِق ٢٤٧
 ذكر سرية قُطْبَةَ بن عامر بن حديدة إلى خُثْعَم ٢٤٧
 ذكر سرية الضحَّاك بن سُفْيَانَ الكلابيَّ إلى بني كلاب ٢٤٨
 ذكر سرية عُلقمة بن مُجَزَّز المَدْلِجِيِّ إلى الحَبْشَةِ ٢٤٨
 ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طِيء ٢٤٩
 ذكر سرية عُكَّاشَةَ بن مِخْصَنِ الأَسَدِيِّ إلى الجَنَاب ٢٤٩
 ذكر غَزْوَةُ تَبُوك ٢٤٩
 ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك ٢٥٢
 ذكر خبر مرورِ رسولِ الله ﷺ بالحِجْر وما قاله لأصحابه ٢٥٣
 ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تَبُوك وما أنزل الله عز وجل
 فيهم من القرآن ٢٥٤
 ذكر خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا، وما أنزل فيهم وفي المعذِّرين من الأعراب ٢٥٥
 ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَانِ بَنَجْرَانَ ٢٦٠
 ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ٢٦١
 ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشَّراة ناحية البَلْقَاء ٢٦٢
 ذكر حجِّ رسولِ الله ﷺ وعُمَرِهِ ٢٦٢
 ذكر الخُطْبَةِ التي خطبها رسولُ الله ﷺ ٢٦٤